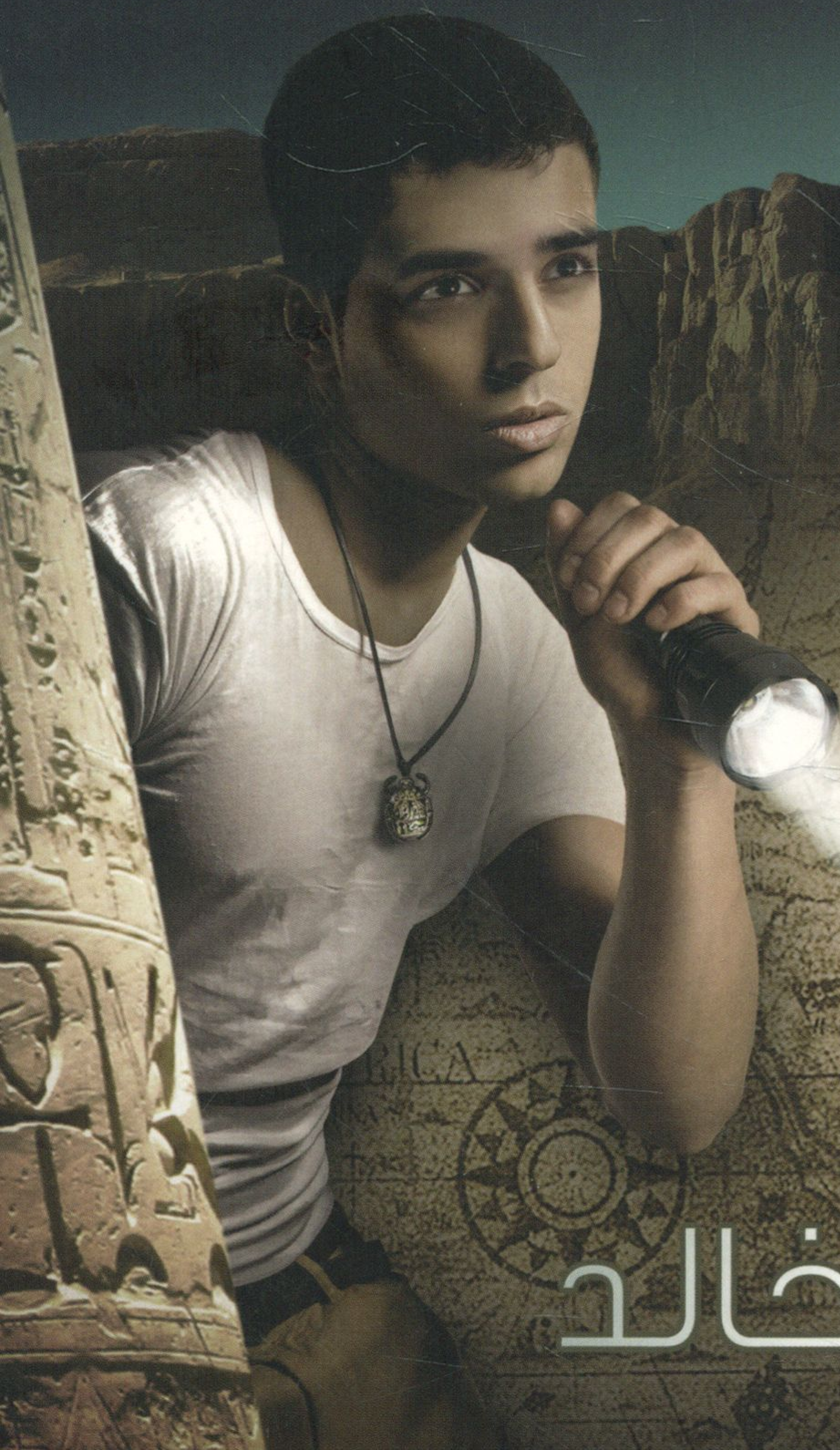
رافي بركات

وسر الرمال الغامضة



عمرو خالد

رافي بركات

وسر الرمال الغامضة

رافي بركات

وسر الرمال الغامضة

د. عمرو خالد

دار نهضة مصر للنشر

العنوان: رافي بركات وسر الرمال الغامضة

تأليف: د. عمرو خالد

إشراف عام: أسكيب الاستشارية

التدقيق اللغوي: مؤسسة أوراق

الموقع الإلكتروني: www.RafiBarakat.com

الترقيم الدولـي: 5-5181-14-977-978

رقـــم الإيـداع: 19672 / 2014

الطبعة الأولـى: ينـايـــر 2015

طبع في الصين



تليفـــون: 33466434 - 33472864 02

فاكـــــس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

شــكــر وتــقــديــر

شكرًا لكل من بذل الجهد لإخراج هذا الكتاب، ولمن أقنعني أني أستطيع أن أكتب هذه الرواية، وأمدني بالطاقة الروحية والمعنوية لأستمر في الكتابة حتى أُتِم هذا العمل.

شــكرًا لصديقي عبد المنعم خلف الذي أشرف على تنفيذ هذا العمل، وحمل على عاتقه تجهيز وإعداد الكتاب حتى يصل بين يدي القارئ.. لا أجد كلمة أصفه بها إلا أنه المخلص المتقن..

شــكرًا لتلميذي ومساعدي حمدي رزق حمادة، الذي بذل مجهودًا كبيرًا في قراءة خطي الصعب القراءة، وتحمل عشــرات التعديلات التــي قمت بها فأعادها مرات ومرات دون ملل أو ضجر.. لا أجد كلمة أصفه بها إلا أنه الوفي الصبور..

شكرًا لداليا إبراهيم (نهضة مصر) على دعمها المتواصل عبر السنين إيمانًا بالرسالة.

شكرًا ليوسف عبد الجليل الذي صحح هذا الكتاب.
شكرًا لهالة الحناوي التي ساعدتني في البحث.
شــكرًا لعم فضل الذي ســاعدني في رحلة المقابر لاكتشاف أســرار عالم سكان المقابر وإن كنت لم أقدر على ذكر اسمه الحقيقي.
شكرًا لجيمس واليس الذي صمم غلاف الكتاب.
شكرًا لأوكاشــا أرورا المرشد السياحي الهندي الذي رافقني في رحلة الهند حتى تاج محل، وأمدني بالمعلومات الغزيرة عن تاريخ الهند.
شكرًا لمعتز حسنين لتنسيق الكتاب.

وأخيرًا فالشكر مُقدم لكل من سيقرأ هذا الكتاب لعله يجد فيه فكرًا جديدًا يدفعه نحو النجاح في الحياة وينير له آفاق المستقبل.

مقدمة

هل بقي لنا أمل في مستقبل أفضل؟

نعم.. لا.. نعم.. لا..

نعم هناك أمل في الجيل القادم بشرط التجديد.

نحتاج إلى التجديد ونحتاج إلى إنسان جديد.

إنسان مبادر يقدس العمل.

إنسان يؤمن بثقافة الكفاح والعرق.

إنسان يملك إصرارًا يحرك الجبال ويحقق المعجزات.

إنسان مؤمن يحب الإيمان بلا عنف أو تشدد.

إنسان وطني يحب بلده ويعشق ترابها.

إنسان لديه أخلاق.. أخلاق.. أخلاق..

لذلك مزجت كل هذه الصفات في شكل درامي مشوق، ليتجسد الإنسان الجديد في بطل القصة «رافي بركات» وفريقه؛ لأبشر به كنواة لتجديد فكري وروحي للجيل القادم.

إهـــداء

قليل من البشــر مــن يمتلك القدرة على تحريك وتفعيــل وتحفيز الآخرين، ليبدعوا وينتجوا ما لم يتخيلوا أنهم قادرون على إنتاجه.

إنهم أُناس مُلهِمون، والعالم يحتاج لهذا النوع من البشر.

أهدي كتابي.. إلى هذا الإنسان المُلهم.

عـمـرو خـالـد

2014/8/2

هديــة طـائــر العنـقـاء

-1-

2 يناير 2014.. اليوم عيد ميلاد رافي، واليوم يتم رافي 14 سنة.

لــم يتوقع أي هدية أو احتفال من أي أحد، فقد مضت أربع ســنوات وهو بعيد عن أبيه وأمه.. أربع سنوات في بيت عمه لم يعرف فيها معاني الحب أو الدفء التي كان يتذوقها في أحضان والديه، لكن الحقيقة أن رافي اشتاق في ليلة ميلاده لأبيه وأمه شوقًا غير عادي؛ فقرر أن يقوم بمغامرة من مغامراته.

قرر أن يحتفل بعيد ميلاده وحده في البيت المهجور، البيت الذي عاش فيه مع أبيه مراد وأمه ليلى. لم يذهب أبدًا إلى البيت في الليل.. مؤكد سيكون البيت مخيفًا، لكن رافي كان داخله حنين كبير لحضن أبيه وأمه. لقد قرر أن يتســلل الليلة من بيت عمه، وأن يبيت في سرير والده ووالدته حتى الفجر، ليعود بعد صلاة الفجر مباشرة إلى سريره في بيت عمه دون أن يشعر به أحد.

يالها من مغامرة! قد تكلفه علقة ساخنة من عمه، لكن المبيت في سرير أبيــه وأمه أغلى في عين رافي من كنــوز الدنيا، وتهون معه كل علقة.. قرر رافي قائلًا:

«سأحتفل بعيد ميلادي في حضن أبي وأمي».

نامت عائلة عم رافي، أما هو فأخذ بطارية صغيرة ومفتاحًا كان يخفيه لجراج بيت والده، وخرج من الباب الخلفي لمنزل عمه ولم يغلق الباب تمامًا، بل وضع قطعة كرتون سميكة ليمسك بها الباب دون أن يغلق، وجرى في ظلمة الليل وحده حتى دخل البيت. في البداية كان قلبه يدق من الخوف، لكن بعد دقائق داخل البيت شعر بأمان عجيب.. إنه أمان الذكريات الجميلة. دخل غرفة أبيه وأمه، وركز البطارية على صورة لأبيه وأمه، وبدأ يقول:

«سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا رافي».

بدأت دموعه تسيل على خده بغزارة، وأحس أن الصورة تتحرك ويخرج منها أبوه وأمه يحملان له الهدايا. جرى رافي من شدة العاطفة نحو الصورة واحتضنها، وجلس في سرير والديه، وسرح مع الذكريات الجميلة، وما هي إلا دقائق حتى غلبته عيناه فراح في سبات عميق، ليرى في المنام رؤيا عجيبة.. رأى أن طائرًا كبيرًا يرفرف بجناحيه أمام نافذة الحجرة، وإذا به يدق على النافذة بمنقاره؛ فقام رافي ينظر إليه وهو حائر ما هذا الطائر؟ فإذا به طائر ضخم له جناحان كبيران لم ير مثلهما من قبل، وله عنق طويل، ومع ذلك فهو ليس مخيفًا، بل على العكس له عينان فيهما رقة الطيور رغم حجمه الكبير. ولما دقق فيه النظر عرفه.. إنه طائر العنقاء[1] الذي رآه رافي مرسومًا على كثير من المعابد الفرعونية، وإذ بطائر العنقاء يحمل بين مخالبه صندوقًا صغيرًا مغلقًا، ويحمل في منقاره رسالة.

(1) طائر العنقاء: العنقاء أو الفينكس هو طائر طويل العنق، لذا سماه العرب «عنقاء»، أما كلمة «الفينكس» فهي يونانية الأصل. وهو طائر أسطوري يرمز إلى العزة والشرف.

تحـرك الفضول في رافي فقام يفتح النافـذة، فأدخل العنقاء عنقه من النافذة وألقى الرســالة من فمه، ثم حرك عنقه لأسفل ما يستطيع حتى أخذ بمنقاره الصندوق الصغير من بين مخالبه، ثم رفع عنقه مرة أخرى وأدخله مــن النافذة، وألقــى الصندوق داخل حجرة رافي، ثــم أخرج عنقه ورفرف بجناحيه في الهواء كأنه يُحيِّي رافي، ثم طار وانصرف؛ فأخذ رافي الرسالة بسرعة، فإذا بها:

ابني الحبيب رافي..

كل سنة وأنت طيب.. اليوم عيد ميلادك أجمل أيام العمر..

سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا رافي..

أرسلنا إليك حبًّا وشوقًا على أجنحة طائر العنقاء، ومعه هدية عيد ميلادك.

بابا وماما

طار رافي فرحًا واحتضن الرســالة، وجرى ليفتــح العلبة ليرى الهدية، فــإذا هي كتاب عنوانه «**أيقظ قواك الخفيــة**». لم يفهم رافي معنى عنوان الكتاب، لكنه وجد مع الكتاب بطاقة تذكار؛ فأسرع وفتح البطاقة فوجد أنه كارت مرســوم عليه صورة غريبة لأرض رملية، وحبات الرمال تلمع وكأنها نجوم السماء، تحوم فوقها طيور العنقاء، ومكتوب على الكارت:

«احلم واقرأ وابحث لتصل إلى الحقيقة».

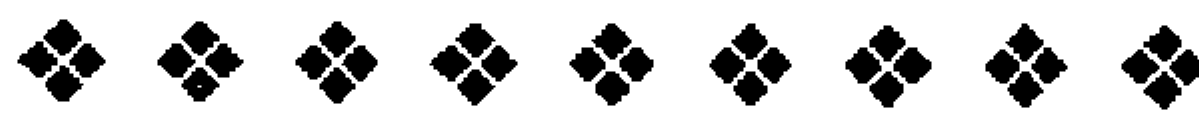
انتفض رافي من نومه ينادي بأعلى صوته:

- بابا.. ماما!

ســأل نفســه: ما الذي يرمز له طائــر العنقاء؟ وما هي قــواي الخفية؟ وكيف أوقظها؟

تلمس بيده يبحث عن الهدية فلم يجد شيئًا.. اكتشف أنه كان يحلم، لكنه لم يكن حلمًا عاديًّا، بل كان الحلم هدية له من الله، فالله لطيف بعباده يبتليهم ليربيهم، لكنه في النهاية أحن عليهم من آبائهم وأمهاتهم، وكيف لا وهو الذي أهداهم أصلًا آباءهم وأمهاتهم!

حرك الحلم ذكريات رافي، فعاد بذاكرته إلى الوراء عندما كان عمره 10 سنوات، وبدأ يتذكر أباه مراد وأمه ليلى، وسرح طويلًا ليسترجع قصة حياته التي يعلم بعضها، ويجهل الكثير منها.



بدأت القصة في قرية «بطن النعمة» إحدى قرى صعيد مصر بمحافظة بني سويف على بعد 80 كيلومتر من القاهرة، وفي بيت كبير لعائلة عريقة ومتحضرة اشتهرت بحب العلم والثقافة، وساعدهم غناهم النسبي على السفر ورؤية العالم.

في عصر يوم من أيام الشتاء الباردة، جلس مراد بركات على مقعده المفضل بغرفة المعيشة أمام التليفزيون، ينتظر زوجته ليلى التي تعد له طعام الغداء، بينما ذهب ابنهم الوحيد رافي إلى غرفته لينام قليلًا بعد يوم دراسي طويل. لكن النوم كان أسرع إلى عيني الأب؛ فاستسلم مراد للنوم على مقعده المفضل في غرفة المعيشة. لقد كان متعبًا بعد يوم عمل شاق؛ فهو عمدة البلد وكبيرها وأحن أهلها على أهلها، حتى اعتبره الناس أبًا لهم وهو مازال في الأربعين من عمره، ثم هو مع ذلك يرعى مزرعة العائلة التي يعيشون منها، وهو زوج حنون وأب حنون، فلا عجب أن ينام في لحظات كالأطفال؛ فالنوم وسام من السماء للمكافحين.

حاولت ليلى أن توقظ مراد فلم يستجب، فجلست بجواره وظلت تمسح بيدها على شعر رأسه لتوقظه برفق، وهي تداعبه بكلمات رقيقة:

- أجمل ما فيك أنك تنام عندما تشاء، في أي مكان تشاء، بلا أرق أو عناء.

فتح مراد عينيه ورد عليها بابتسامة هادئة:

- ينام المجتهد ولو على وسادة من حجر، أما الكسول فلا يجد طعم الراحة ولو نام على وسادة من ريش.

ليلى: كم أتمنى أن يكون ابننا رافي عظيمًا مثلك يا مراد!

مراد: وأنا أتمنى أن يكون ابننا رافي حنونًا مثلك يا ليلى!

ليلى: هل تعرف أن ابنك رافي سيكون ولدًا غير عادي؟

مراد: ولماذا تعتقدين ذلك؟

ليلى: أنا قرأت كتابًا عن علم الفراسة[RB] وفن قراءة الوجه، ووجدت أن ملامح وجه ابننا رافي تنطبق على صفات إنسان غير عادي نادر الذكاء.

مراد: يا سلام! وماذا يقول علم الفراسة عن رافي إن شاء الله؟

ليلى: لا تأخذ الموضوع باستهتار.. هذا علم معترف به، وليس أوهامًا أو تخاريف.

اعتدل مراد في جلسته، ثم قال:

- حاضر أنا آسف.. اشرحي لي أكثر.

اقتربت ليلى أكثر من مراد حتى جلست في حضنه، وفتحت صورة لابنها رافي على هاتفها المحمول:

RB:www.RafiBarakat.com

- انظر يا مراد إلى وجه رافي.. وجه رافي مستطيل، وهذا الوجه في علم الفراسة معناه أنه وجه يتمتع بالذكاء الحاد.

مـراد: صحيـح رافي وجهه مسـتطيل[RB]، لكن مع ذلك جبهته واسـعة، وحواجبه معتدلة لها شكل الخط المستقيم.

ليلـى: في علم الفراسـة الجبين الواسـع دليل الإصـرار والتحدي، وأما الحواجب بهذا الشـكل فتشـير إلى رقة القلب والـروح الحلوة. وحتى هذه الشـامة فوق حاجبه الأيسـر التي خلق بها وزادت وجهه وسامة، يقول علم الفراسة إنها تكون مثل علامة مميزة لهذا الشخص، تجعله دائمًا في ذاكرة الناس ومحور اهتمامهم.

مراد: هل رافي يشبهك أكثر أم يشبهني أنا؟

تركت ليلى الهاتف المحمول وراحت تنظر إلى زوجها بعمق وابتسمت:

- رافي يشبهك أنت أكثر ويشبه عائلة بركات، فهو مصري الملامح مائل إلى السـمرة، مائل إلى الطول، لين الشـعر، أسود العينين، عندما تنظر إلى وجهه تجد ملامح الطيبة تكسـو وجهه الوسـيم، ثم هو دائم الابتسـام في هدوء.

مـراد: لكنه رغم كل هذه الصفات الوديعة ذو عينين ثاقبتين.. ذات مرة قال لي أحد العمال في المزرعة: «عندما ينظر رافي ويركز في عيني، أشعر أني عاجز عن الحركة أمام قوة عينيه، وأتسـمر في مكاني أو أعترف بخطأ فعلته دون أن يتكلم أو يسألني.. فقط من قوة نظرة عينيه».

ليلى: عرفت لماذا أقول لك إن ملامح وجه ابنك تدل أنه سـيكون إنسانًا غير عادي؟

مراد: أنا كأب لا أهتم كثيرًا بشكل رافي.. لكن رافي فيه صفة رائعة هي التـــي تثير اهتمامي وفخري به.. رافي فيه إصرار وتحدٍّ يندر أن تجدي في ســـنه من لديه هذا الإصرار والتحدي، ثم إن لديه صفة ليست لدى كثير من الشـباب في سنه، وهي حب الاستكشـــاف والمغامرة.. وهي صفات رائعة، لكنها بالتأكيد ستعرضه للكثير من المخاطر.

ليلى: أنا أدعو الله ليل نهار أن يحفظ رافي ويسعده، ويجعل له نصيبًا من اسم عائلة بركات، فتكون حياته خيرًا وبركة على الناس جميعًا.

مراد: بالمناسبة.. أين رافي الآن؟

ليلى: عاد من المدرسة واجمًا، ودخل حجرته ولم يخرج منها حتى الآن على غير عادته.. لا بد أنه قد حدث شيء أزعجه اليوم في المدرسة.

قبـل أن يـرد مراد دق جـرس تليفون المنـزل. التقط مراد السـماعة دون اهتمام، لكنه انتبه بشـدة عندما عرّف المتصل نفســه: «أنا طاهر كمال المدير الجديد لمدرسة ابنك رافي، وأريد أن أجلس معك غدًا ضروري بخصوص ابنك».

مراد: هل أخطأ رافي في شيء؟ هل هناك شكوى معينة من ابني؟

لـم يرد الأسـتاذ طاهر إلا بكلمـات مختصرة، وكأنـه يتجنب الكلام في التليفون لسبب ما. كل ما قاله: «لا تقلق.. غدًا نلتقي ونتكلم في الموضوع».

نظر مراد إلى زوجته ليلى والقلق يملأ عينيه؛ فقد ربط بين هذه المكالمة وبين الحالة التي جاء عليها رافي من المدرسة.

ليلى: ماذا حدث؟

مراد: هذا الأستاذ طاهر المدير الجديد لمدرسة رافي.

ليلى: وماذا يريد؟

مراد: أعتقد أنه.. استدعاء لولي الأمر لسبب ما لم يصرح به.

ليلـى: لا تقلق يا مراد.. ابنك صحيح عمره عشـر سـنوات، لكنه سـبق بعقله أغلب شـباب القرية، ثم سـبقهم مرتين بقلبه الطيب، ومن رزقه الله العقل والقلب الطيب فلا خوف عليه.

مراد: عمومًا غدًا ليس ببعيد، وسنعرف كل شيء.

فـي صباح اليوم التالي، توجه مراد إلى مدرسـة رافي لمقابلة الأسـتاذ طاهـر. وأثنـاء الطريق وكالعـادة أدار عم إدريس (سـائق سـيارة مراد) الراديو؛ ليسـمع مراد الأخبار، لكن مراد أغلق الراديو، وسرح طويلًا يبحث فـي كل فكرة مـن الممكن أن تكون هي سـبب المقابلة، حتـى فوجئ بعم إدريس يردد: «وصلنا المدرسة يا فندم».

صعد مراد السلالم المؤدية إلى حجرة المدير، وعرف نفسه لسكرتارية الأستاذ طاهر، وما هي إلا لحظات حتى خرج إليه الأستاذ طاهر من حجرته ليسـتقبله بنفسـه بترحاب كبير، حتى شعر مراد أن الأستاذ طاهر يريد أن يطمئنـه بهذا الترحاب أن الأمور على ما يرام. لكن هذا الاسـتقبال لم يقلل من حيرته، فما الذي يدعو مدير المدرسـة أن يسـتقبل ولي أمر تلميذ بهذا الاهتمام، خاصة أنه لا يعرفه من قبل؟!

بادر مراد بالسؤال:

- يا أستاذ طاهر، ماذا فعل رافي؟

أ/ طاهر: أنا سأدخل في الموضوع مباشرة حتى لا أضيع وقتك.

مراد: تفضل.. أرجوك!

أ/ طاهر: ما هي انطباعاتك يا سيد مراد عن شخصية ابنك رافي؟

ضاق مراد بهذا السـؤال؛ فهو يريد أن يعرف مباشـرة ما هي المشكلة، لكنه تمالك نفسه ورد بهدوء:

- رافي ولد رائع، مؤدب، عاقل، وأيضًا ذكي.

أ/ طاهر: ذكي فقط أم إنه شديد الذكاء؟

أجاب مراد وقد زاد قلقه:

- هـو في الحقيقة لديه ذكاء فطري، تـرى في عينيه بريقًا عجيبًا يدلك من أول لحظة أن هذا الفتى شديد الذكاء.

أ/ طاهر: فعلًا.. كلامك صحيح، وهذا هو سبب اللقاء.

مراد: ماذا تقصد؟ أرجوك أوضح الموضوع بشكل مباشر!

أ/ طاهر: أنا أصبحت مسئولًا عن إدارة المدرسة من شهر واحد فقط، لكن الأسبوع الماضي لاحظت عدة أشياء على ابنك رافي في أكثر من ثلاثة مواقف، كان آخرهم الأمس.. هذه المواقف تجعلني أقول إن ابنك ولد غير عادي.

مراد: غير عادي؟! كيف؟

أ/ طاهـر: الأسـبوع الماضــي كان هنـاك امتحان رياضيـات للصف الخامـس الابتدائي حيـث ابنك رافــي، والامتحان كان فيــه عمليات ضرب وقسمة معقدة، وأعطينا كل طالب ورقة بيضاء فارغة ليضرب ويقسم فيها قبــل أن يضع الإجابة النهائيــة في ورقة الإجابة؛ فدخلــت أطمئن على أداء الطلاب، فلاحظت أن ابنك رافي ســرحان، ولا يســتخدم الورقة الفارغة في الحســاب؛ فنظرت في ورقة إجابته فوجدته قد وضــع الإجابات الصحيحة دون أي حســابات في الورقة الخارجية، فظننــت أنه يغش من طالب آخر، فســألته: كيف حســبت هذه الأرقام؟ فقال لي: «أنا فقط أركز في شيء في

الحجـرة، وأتخيل الأرقـام أمامي على الحائط، وأحسـب وأضـع الإجابة». شـككت فـي كلامه؛ فقلت له: اضرب لـي الآن بطريقتك هذه 475 × 629، فسـكت وركز في حائط الفصل، ثم كتب 775, 298 دون أن يحسبها على ورقة خارجية.

قاطع مراد الأستاذ طاهر قائلًا:

- أنـت تقصد أن رافـي عبقري في الرياضيات مثل هـؤلاء الذين لديهم ذكاء حاد في الأرقام والحساب؟

أ/ طاهر: أنا ظننت ذلك، لكن حدث شـيء آخر الأسـبوع الماضي بعيد كل البعد عن الرياضيات جعلني أتعجب أكثر!

مراد: ماذا حدث؟

أ/ طاهر: أول أمس كان هناك يوم رياضي ترفيهي لكل المدرسـة، وقد حرصت على أن يجتمع كل الطلاب والمدرسين في فناء المدرسة للمشاركة فـي هـذا اليوم، حتى العمـال والفراشـين كلهم حضـروا، وكان من ضمن المسـابقات مسابقة رياضية بالكرة عبارة عن مجموعة من طلاب المدرسة نغمـي أعينهـم، ونطلـب مـن كل منهم أن يصوب عشـر كرات مـن أماكن ومسـافات مختلفة في المرمى.. ابنك كان واحدًا منهم، وهناك من هو أمهر منه في كرة القدم، لكن رافي أدخل الكرات العشـر كلها في المرمى وكأنه مفتـوح العينين مما أذهل الجميـع، فطلبت منهم تصغيـر المرمى ليكون يـاردة واحدة فقط، ووضع الكرات على مسـافات أبعد، لكنه أيضًا سـجل الكـرات كلها مرة أخرى وهو مغمض العينين؛ فسـألته للمرة الثانية: كيف فعلت هذا؟ فرد علي: «مسـألة تركيز لا أكثر». ثم ضحك وقال لي: «تعرف يا أستاذ طاهر؟ أنا أكسب أصحابي في البنج بونج وأنا مغمض العينين!»،

فقلت لـه: معقول؟! فقال لـي: «نعم.. أركز في صوت الكـرة، وألعب على الصوت».

مراد: تقصد أن رافي من الممكن أيضًا أن يكون بطلًا رياضيًّا كبيرًا؟

أ/ طاهر: لا.. الموضوع أبعد من ذلك.

مراد: كيف؟

أ/ طاهر: الأمس في الصباح اكتشفنا سرقة 10,000 جنيه من خزينة المدرسـة، وعرفنا أن السـرقة تمت وقت اليوم الرياضي؛ لأن الخزينة مثبت عليها (Timer) يحدد الوقت، وقد تعطل تمامًا عند كسر الخزينة، وكان ذلك في السـاعة الثالثة عصرًا، واتهمنا أحد فراشي المدرسة واسمه «عم أيوب»؛ لأن بعض الإداريين والعمال شـهدوا أنه غاب عن فناء المدرسة من الساعة الثانية إلى السـاعة الرابعة عصرًا، وجـاء البوليس وأيوب يبكي ويحلف أنه ما ترك فناء المدرسة ولم يسرق شيئًا.. ابنك تأثر لبكاء عم أيوب ويبدو أنه صدقه؛ فدخل حجرة مخصصة للطلاب للكتابة على الكمبيوتر، وكتب بريدًا إلكترونيًّا في خمس صفحات، وأرسـله علـى الإيميل الخاص بي. لما قرأته أذهلني، وتأكدت أن ابنك فعلًا غير عادي.

مراد: ماذا كتب في الإيميل؟

أ/ طاهر: اليوم الرياضي بدأ من السـاعة العاشـرة صباحًا إلى الساعة الخامسـة عصرًا، ورافي كتـب بالتفصيل ماذا حدث في كل سـاعة، وكتب أسماء من ترك فناء المدرسة بالساعة والدقيقة، وإلى أين اتجه، وكم تغيب، ومتى عاد بالسـاعة والدقيقة.. شـيء غير طبيعي، وكأنه قد ركب في رأسه كاميـرات يراقب بها الفنـاء! وقد حدد أن عم أيوب كان يقف في الفناء على

بعـد 2 يـاردة من الكانتين، وحـدد اثنين من العمال اختفـوا من الفناء من الساعة 2 ½ إلى الساعة 3 ½، واتجهوا نحو مبنى الإدراة المالية حيث توجد الخزينة، وكتب في آخر الإيميل: «إذن السـارق ليـس عم أيوب، ولكن فلان وفلان».

مراد: وكيف عرف رافي كل هذا؟!

أ/ طاهر: بالضبط هذا ما فكرت فيه، فناديت رافي وسألته: كيف كتبت كل هذا؟! فأجابني أنه هو نفسه لا يعرف كيف تذكر كل هذا، وأنه لما رأى عم أيوب يبكي تأثر، وقرر أن يسـاعده، فجلس وحده وركز بشـدة ليتذكر الأحداث؛ فوجد نفسـه بالفعل يتذكر كل شيء، وحدد السارق رغم أنه كان مشغولًا باللعب مثل باقي الطلاب.

مراد: وهل كان كلامه صحيحًا؟

أ/ طاهـر: نعم كان كل كلامه صحيحًا.. أنـا حققت مع العاملين الذين دل عليهمـا رافي، فانهارا حينمـا حددت لهم أين كانـوا، ومتى اختفى كل واحـد منهم، واعترفوا بالحقيقة! ولما سـألت رافي: ولماذا كنت متأكدًا من بـراءة عـم أيوب؟ قال لي: «نظـرتُ بقوة في عينيه، فعرفـت من وجهه أنه صادق وليس بكاذب».

مراد: معقول رافي ابني عنده كل هذه القدرات؟!

أ/ طاهـر: ابنـك أعطاه اللـه موهبة نـادرة.. ابنك لديه قـدرات هائلة، وليسـت مجـرد ذكاء عال.. لا.. هذه قـدرة على توجيه واسـتخدام طاقاته العقلية بشـكل غير عادي، لكن المثير أنه لا يعرف ذلك ولا يشـعر أنه غير

عادي، هو فقط يتصرف بتلقائية، إلا أن موقف الأمس هزه بشـدة، وتعجب هو نفسه مما فعله، وأعتقد أنكم لاحظتم ذلك عليه في البيت.

مـراد: نعم لاحظنا ذلك، والآن فهمت السـبب.. لكن أنـت ماذا تقترح يا أستاذ طاهر؟

أ/ طاهر: يا سـيد مراد.. ربنا سـبحانه وتعالى عادل، أعطى كل إنسان هبة من عنده في شـكل مواهب وقدرات معينة، فما كان الله ليعطي بعض الناس قدرات ويحرم الآخرين، لكن كثيرًا من الناس لا يبذلون الجهد لمعرفة ما خبـأ الله فيهم من كنوز القدرات، وهنـاك ملايين يموتون وتموت معهم مواهبهم لأنهم لم يكتشـفوها، وهناك ملايين آخرون يكتشـفون مواهبهم، لكن للأسف بعد فوات الأوان.. ابنك موهبته واضحة جدًّا.. أرجوك نمّ موهبة ابنـك؛ لأنه ينتظره مسـتقبل رائع غير عادي. هذا الولـد قد يحقق إنجازات عالمية تجعله شخصية فريدة ونادرة في تاريخ البشرية.

مراد: أنت وضعت بين يدي أشياء كبيرة جدًّا.. أنت غيرت نظرتي لابني!

أ/ طاهر: لكن انتبه يا سيد مراد، فموهبة ابنك سلاح ذو حدين؛ لأنه من الممكن أن يسـتخدم قدراته هذه في الخير مثلما أنقذ عم أيوب.. لكن أيضًا من الممكن أن يستخدمها في الشر، وعندها سيكون شخصية مدمرة.

مـراد: أسـعدتني وأخفتني يا أسـتاذ طاهر بكلماتك هـذه، فرافي لديه نعمـة نادرة مـن الله، وفي نفس الوقت قد تتحول إلى سـلاح مدمر.. كيف لشاب صغير في سن رافي أن يحافظ على هذه النعمة الكبيرة؟!

أ/ طاهر: هذا دورك كأب، أن تدرب رافي باستمرار على شكر نعمة الله بالـكلام وبعمل الخير. لا بد أن يفهم رافـي أن ما لديه من قدرات هو نعمة

من الله، إن لم يستخدمها فيما يرضي الله سيأخذها منه، أو تكون هي سر تعاسته وشقائه، وهكذا كل نعمة في حياة الناس إذا استخدموها في الخير نماها الله لهم: «لئن شكرتم لأزيدنكم»، وإذا نسوها أو استخدموها في الشر أخذها الله منهم، وحول النعمة إلى نقمة عليهم.

مراد: يا أستاذ طاهر هذه مهمة ثقيلة.. إذا كان ابني غير عادي، فأكيد أن التعامل معه يحتاج مهارات غير عادية.. أعتقد أني أحتاج لمن يساعدني في هذه المهمة.

أ/ طاهر: شخص واحد أنصحك أن تقابله وتتعرف عليه عن قرب، وتخبره عن موهبة ابنك.. اسمه الأستاذ شهاب فهمي. هذا الرجل خبير في تنمية القدرات الخاصة للشباب، ومدير مركز عالمي لتنمية القدرات الخاصة. أنا أعرف الأستاذ شهاب جيدًا وأثق به.. هذا الرجل يمكنك أن تصفه بكلمة واحدة: إنه رجل شهم.. هذا هو الكارت الخاص به ورقم تليفونه.

أخذ مراد ينظر إلى الكارت باهتمام، وردد اسم الأستاذ شهاب فهمي، ثم نظر إلى الأستاذ طاهر:

- أشكرك يا أستاذ طاهر، ألف شكر.. الرجل الشهم عملة نادرة في هذه الحياة.. أكيد سأحتاج إليه.

أ/ طاهر: شيء أخير يا سيد مراد.. أرجو أن يبقى هذا الكلام سرًّا بيننا، حتى رافي قد لا يفيده معرفة أنه ولد غير عادي؛ لأنه لو عُرف الكنز الذي يملكه ابنك قبل أن يكبر وينضج، فقد يحاول كثير من الناس أن تستغله للشر أو تضره وتؤذيه.

- 2 -

انصرف مراد عائدًا إلى سـيارته، وجلس فـي مقعده بجوار عم إدريس الذي أدار الراديو كالعادة، لكن مراد أغلقه مرة أخرى دون أن يتكلم بكلمة أو يوجه أي إشارة إلى إدريس ليتحرك بالسيارة، وبقي جالسًا مشغولًا بما سـمعه عن رافي.. حتى كلمات عم إدريس: «إلى أين يا فندم؟» لم يسمعها مراد.

فقط بقي في سيارته أمام باب المدرسة يفكر في أشياء كثيرة، بعضها إيجابي وبعضها سـلبي.. فهو فعلًا فخور بابنه، لكن في نفس الوقت هذه الموهبة بالتأكيد سـتعرض ابنه لمخاطر كثيـرة.. كيف يحمي ابنه؟ وماذا يقول له؟

وبدأ يستعرض شريطًا طويلًا من الذكريات، وكأنه يتذكر أحداث حياته ويفهمها بشكل جديد تمامًا مرتبطًا بما عرفه اليوم عن ابنه رافي.

تذكر «بطن النعمة»، القرية التي ولد ويعيش فيها رافي.. تذكر التاريخ العريق لهذه القرية منذ أيام مصر الفرعونية؛ فبطن النعمة جزء من منطقة ميـدوم[1]، حيث عاش في هذا المكان الملك سـنفرو أبـو الملك خوفو وجد خفرع. وهنـاك بنى أقدم هرم في التاريخ، ومازال موجودًا إلى الآن، وأودع

(1) تقـع ميـدوم الآن شـمال محافظة بني سـويف، على حافة الصحـراء الغربية على بُعـد 80 كيلو من القاهرة. ومعنى ميدوم باللغة المصرية القديمة:(مر – تم)، أي المحبوب من الإله.

به أسـرارًا عجيبة لم تكتشـف حتى الآن[1]. فهل لقـدرات رافي علاقة بهذا التاريخ القديم؟ وهل للفراعنة علاقة بهذه القدرات؟

ابتسم مراد بسخرية؛ لأنه تذكر أن القرية رغم عراقة ماضيها الفرعوني، ورغم أن اسمها «بطن النعمة»، إلا أن أهلها الآن ليس لهم نصيب من اسمها؛ فقد خسروا أهم وأعز نعمة.. نعمة العلم؛ فأهل القرية لا يقرؤون ولا يكتبون، وكأن القراءة عدو لهم، أو كأنهم يتبرؤون من أجدادهم الذين علموا العالم.

سـرح مراد في بلده وأهل بلده، فالأرض غنية بالخيرات، لكن المشـكلة في الإنسان.. الإنسان الذي يحلم.. الإنسان الذي يعشق العلم كالماء والهواء.. الإنسان الذي يقدس العمل كما يقدس الصلاة.. الإنسان الذي يمتلك الإصرار والتحدي.. الإنسان الذي يحقق ثلاثية النجاح: العلم والعمل والعطاء.

وأخذ مراد يتساءل في نفسه: ما حكمة القدر أن يولد طفل لديه قدرات هائلة غير عادية مثل رافي في قرية أهلها أميون، وأغلبهم لا يعملون؟ أهي من سـخرية الأيام؟ أم إن هذا من تدابير القـدر ليكون له دور في إنقاذهم مما هم فيه؟

اعتـدل مراد في جلسـته، فقد أعجبته فكـرة أن يكون ابنـه هو المنقذ للقريـة، وبرقت عينـاه فخرًا بنفسـه كأب بما فعله مع رافـي منذ الصغر، فالقرية لم يكن بها مدرسـة. أقرب مدرسـة كانت في قرية «ميت نما» على بعـد 3 كـم من «بطـن النعمة».. لكن مـع ذلك بحث مراد لابنـه عن أفضل تعليم، فلم يجد إلا مدرسـة الجيل الجديد للغات قرب القاهرة على بعد 40 كم من القرية. ورغم البعد أصر مراد أن يتعلم رافي أفضل تعليم.

(1) في الموقع الإلكتروني صورة فوتوغرافية لهرم سنفرو.

شـــعر مراد بالفخر أنه كان حكيمًـــا في إصراره على تعليم ابنه، وغاص أكثر وأكثر في مقعده، وغاص أكثر وأكثر في الذكريات؛ فتذكر والده الحاج بركات.. جد رافي.

الحـــاج بركات كان عمــدة القرية وكبيرهـــا.. كانوا يســـمونه في القرية بـــركات الكبيـــر، وأحيانًا ينادونه «بركات الخيـــر»؛ لأن خيره كان على البلد كلها، فقد كان رجلًا كريمًا ومحبوبًا.

تذكر مراد فجأة كلمات أبيه الحاج بركات عندما ولد رافي، وكانت العائلة كلهـــا مجتمعة.. حمل الحاج بـــركات رافي وهو مازال رضيعًا ودعا: «يا رب أنت جعلت اسم هذه العائلة عائلة بركات.. بارك في ابننا هذا واجعله بركة على أهلنا وبلدنا والناس جميعًا». وتمتم مراد بصوت خفيض: سبحان الله! معقول استجيبت الدعوة هكذا بسهولة؟

ثم قال لنفســـه: ولم لا والدعوات المســـتجابة ليس بينها وبين السماء إلا لحظة صدق ونية طيبة؟ زادت ابتسامة مراد وهو يتذكر كلمات أبيه الحاج بركات عندما بلغ رافي 5 ســـنوات.. كان يقـــول لمراد: «تأمل نظرات عيني ابنك.. إنه يخترق النـــاس بنظراته، كأنه يقرأهم ويقرأ ما بداخلهم، ابنك لو تعلم تعليمًا جيدًا سيكون فخرًا لكل عائلة بركات.. هو اسمه رافي وستكون معه الرفاهية لبلدنا». وتعجب مراد مرة أخرى.. هل كان أبي يتنبأ بأن رافي ستكون له قدرات غير عادية؟!

تحركت عاطفة الأب في نفس مراد؛ فوجد نفسه يتمتم بدعاء من أعماق قلبـــه لرافي: يا رب اجعل الإصـــرار طريقه، والكفاح ســـبيله، والعلم دليله، والعمل معشوقه ومتعته!

اعتدل مراد مرة أخرى في جلسته وقد اختفت ابتسامته، وأغمض عينيه وتذكر لقطة أخرى حزينة. تذكر حسرة قلب أبيه الحاج بركات، فقد أنجب الحاج بركات ولدين وبنتًا.. الكبير أسـماه مراد (أبو رافي)، والآخر أسـماه عباس، والبنت أسـماها سـلمى.. أصر الحاج بـركات أن يعلم أولاده فتعلم مراد وسلمى، ولكن عباس كان كسولًا وعنيدًا؛ فبقي أميًّا بدون تعليم، فكان الحاج بركات يقول بحسـرة لابنه مراد: «أشـعر بالعار أن بلدنا كلها أمية، حتـى أخوك عباس.. أتمنى أن أقابل اللـه وأقول له: علمت أهل بلدي». لكن الحاج بركات مات ولم يتحقق حلمه، وأصبح مراد هو العمدة، وظل يتمنى أن يحقـق أمنيـة أبيه، لكن الأحـلام الكبيرة تحتاج أحيانًا عـدة أجيال لكي تتحقق، هكذا خلق الله الكون.

بقي مراد طويلًا وهو غارق في ذكرياته وأفكاره، حتى جاء موعد انتهاء اليوم الدراسي، وهو مازال في سيارته بجوار عم إدريس السائق الذي كان مصدومًـا من صمت مراد طوال هذا الوقت، حتى خرج رافي من المدرسـة ليجد والده في انتظاره.

كانت مفاجأة سـارة لرافي؛ فهو لم يتعـود مثل هذه المفاجآت الرائعة، فهو يقطع يوميًّا مسـافة بعيدة من البيت إلى المدرسـة بمرافقة شخص لا يحبه ولا يستريح له.. إنه عم إدريس سائق والده، فهو يراه غامضًا، وكثيرًا ما قال رافي لأمه: «أنا لا أسـتريح لهذا الرجل، وسـكوته الطويل يزيد قلقي منه».

لكن فرحة رافي زادت وزادت عندما طلب والده من عم إدريس أن يعود إلى بيته ويترك لهما السيارة، فهو يريد رافي بمفرده.

قاد مراد السيارة وبجواره ابنه رافي، وفي الطريق أخذ مراد يسأل رافي عن أشـياء كثيرة.. عن المدرسة وعن أصدقائه وعن أمنياته في الحياة. ولم يفهم رافي سـر هذه الأسـئلة المتتالية على غير العادة، وشعر مراد بحيرة ابنه؛ فأراد أن يغير الحوار في اتجاه آخر، فسأل رافي:

- أتعرف لماذا أسميتك رافي؟

رافي: كل الناس تستغرب اسمي.

مراد: رافي[RB] هو المصلح الذي يصلح الأشياء.

رافـي: نعم أعرف، لكن اسـمي جديد وغيـر معتاد، ويبـدو غريبًا عند معظم الناس.

مراد: لا، غير صحيح.. اسـمك ليس بجديد.. اسـمك اسـم عربي أصيل؛ فالرافي عند العرب هو الذي ينشر الأمان إذا خاف الناس، وهو الذي يصلح ما أفسـده النـاس، بل يصلح كل شـيء ممـزق، حتى الملابـس إذا مزقت نرفيها أي نصلحها، ومازال في البلد إلى اليوم محلات الرفة ترفي الملابس الممزقة، فكل ما هو ممزق يحتاج إلى رافٍ.. وأنت رافي.

رافي: على العموم أنا سـعيد باسمي.. أشـعر أنه اسم نادر ومتفرد عن باقي أصحابي.

فجأة ضغط مراد على الفرامل وأوقف السيارة، والتفت بكل جسده إلى رافي، وأخذ يد رافي ووضعها في يده، وقال له:

- عِدني يا رافي أن يكون اسـمك هـو طريقة تصرفك في الحياة، تكون رافيًا تصلح ولا تفسد حتى آخر يوم في حياتك!

غير رافي الموضوع بذكاء؛ فهو لا يريد أن يعد دون أن يفهم فقال:

RB:www.RafiBarakat.com

- أشعر أن هناك شيئًا ما تخفيه عني!

مراد: ليس في الأمر شيء سوى أن تعدني.

رافي: إذن فلماذا حضرت إلى المدرسة اليوم؟

مراد: كنت أطمئن عليك وعلى دراستك.

رافي: وهل اطمأننت؟

مراد: اسـمع يا رافي.. أعتقد أنه سـيكون لك مستقبل كبير، وقد تحقق إنجازات نادرة في الحياة، وقد تكون حديث الملايين.

رافي: وكيف عرفت كل ذلك؟!

لم يرد مراد أن يذكر أي شيء يتعلق بالقدرات غير العادية لرافي، فقال:

- هذه أحاسيســي وتوقعاتي.. لذلك فمن الواجب علي أن أوصيك وصية مهمة.

رافي: وما هي؟

مـراد: أوصيـك بأمرين: أحدهمـا بينك وبيـن الله، والآخـر بينك وبين الناس. أما الذي بينك وبين الله فهي الصلاة.. لا تترك الصلاة أبدًا. يا رافي، صل فالصلاة هي صلة توصل بين الأرض والسـماء. الصلاة دورة تدريبية مسـتمرة تمدك بالطاقة للنجاح في الحياة. يا رافي، أقم الصلاة وأقم معها الحياة؛ فكلما قمت لتقيم الصلاة، انو أن تأخذ منها طاقة لتقيم الحياة.

وأما الذي بينك وبين الناس فهو الحب.. أحبب الناس وأحبب لهم الخير بصرف النظر عن دينهم أو لونهم أو جنســهم؛ لأنك إذا أحببت الناس عشت سعيدًا بقدر السعادة التي ستدخلها على قلوب الناس.

رافي: الصلاة والحب.. حاضر فهمت.

مراد: لا.. عدني.. ضع يدك في يدي وعدني.

مد رافي يده ووضعها في يد والده:

- أعدك يا أبي.

قــرر مراد أن يخفي عن الجميــع أن ابنه رافي يمتلك قدرات غير عادية، إلا أنه بدأ يتواصل بقوة مع الأســتاذ شهاب فهمي خبير تنمية القدرات غير العاديــة، حتى صارت بينهما علاقة صداقة قوية لم يخبر بها رافي أو حتى زوجته ليلى، لكن ليلى شــعرت بتغير في علاقــة مراد بابنه رافي.. لقد زاد اهتمــام مراد بشــدة بابنــه رافي، وصــار يعطيه جرعات كبيــرة من الحب والحنان والعطف.

صــار مراد كلما عاد رافي من المدرســة يســتقبله بحــب يملأ قلب هذا الطفــل بالحنان والرحمة.. كانت كلمات مراد الشــهيرة: «أهلًا أهلًا، حبيب القلب.. أنــت حبيبي وصديقي قبل أن تكون ابنــي». وتنظر ليلى وتتعجب مــن هــذه العاطفة الكبيرة، وتقــول: «يا عم، كفاك هذا الحب والدلع.. شــد عليــه بدلًا من هذا الدلع». فيــرد عليها بكلمات: «الجبارون في الأرض كانوا أطفالًا تعســاء.. أنا أزرع الرحمة في قلبه ليعيش ســعيدًا في نفسه رحيمًا بمن حوله، وهل تكون الرحمة والسعادة إلا بالحب؟!».

لذلك كله كان رافي يعيش حياة عائلية رائعة ودافئة بين أبوين متحابين، يسقونه الحب والرأفة والرحمة، ويا لها من ثلاثة أشياء رائعة في حياة أي طفل تجعله إنسانًا رائعًا ومبدعًا!

ومرت أيام وشهور والأمور على ما يرام، لكن مراد كان يحمل على عاتقه همًّا كبيرًا يخص القرية، وبدأ يشعر أن هناك شيئًا يدفعه دفعًا ليشرك ابنه رافي في هذا الأمر، وليحمله مسـئولية كبيرة يعجـز عنها الرجال. صحيح رافـي ما زال صغيرًا، لكن قدراتـه العالية إذا لم توظف لأمر كبير فما قيمة هـذه القدرات؟ وكانت كلمات الأسـتاذ طاهر في أذنـه دائمًا: «موهبة ابنك سـلاح ذو حدين، ممكن أن تسـتخدم في الخير، وممكن أن تسـتخدم في الباطل»؛ فقرر أن يطلع رافي على سر كبير، لكنه كان ينتظر الوقت الأفضل ليحدث رافي.. حتى جاءت اللحظة المناسبة.

كان يومًـا كبيرًا في حياة رافي.. كان رافي عائدًا من المدرسـة، وكانت عادة مراد أن يسـأل رافي كل يوم كما يفعل أغلب الآباء: «ماذا أخذت اليوم في المدرسة؟».

ولأن الطـلاب عادة يجيبون إجابـات عادية تقليدية، لذلـك فقد كان رد رافي مفاجأة لمراد:

- تعلمت كيف أسأل.

مراد: ماذا تقصد يا رافي؟!

رافي: تعلمت كيف أسأل السؤال الصحيح.

مراد: تعرف يا رافي أن فن السـؤال أهم من فن الإجابة؟ لأنك لو عرفت كيف تسـأل سـؤالًا صحيحًا فمن المؤكد أنك سـتفهم.. لكن لو عرفت كيف تجاوب فقط، من الممكن أن تكون حافظًا مثل الببغاء، لكن بلا فهم.

رافي: اليوم المدرس قال: «رافي أحسـن واحد يعرف كيف يسأل سؤالًا صحيحًا».

فكر مراد للحظات، ثم ابتسم قائلًا:

- اسـألني يا رافي.. اسـألني سؤالًا.. اسـألني وأنا أجيبك.. أريد أن أرى كيف تجيد فن السؤال.

فكر رافي محاولًا إيجاد سـؤال مثير لم يسـأله لأبيه من قبل، لكنه غير رأيه وقرر أن يسأل سؤالًا سهلًا جدًّا، فقال بصوت هادئ لوالده:

- لماذا سُمّيت قريتنا بـ «بطن النعمة»؟

صمت مراد فجأة، وتغيرت ملامح وجهه واختفت الابتسامة، وكأن سؤال رافي ذكره بحمله الثقيل الذي يحمله منذ سنين. شعر رافي أن سؤاله أتعب والده، وبدأ يسأل نفسـه: «هل أخطأت في شيء بهذا السؤال؟ لماذا صمت أبـي هكذا؟ ليتني لم أسـأله هذا السـؤال»! لكن صمت أبيـه زاد من غريزة الفضول وحب الاستكشـاف في نفسه، فمن المؤكد أن هناك سرًّا وراء هذه التسمية!

وبينما رافي غارق في التفكير، قطع أبوه كل الصمت قائلًا:

- قم معي يا رافي!

رافي: إلى أين يا أبي؟

مراد: سأحكي لك كل شيء في الطريق.

رافي: في الطريق إلى أين؟

مراد: سـتركب معي على الكاريته[RB]، وسـنقوم برحلة في بلدنا لتعرف إجابة سؤالك.

RB:www.RafiBarakat.com

بـدت ملامح وجه مراد شـديدة الجدية، حتى انتقلت بسـرعة إلى رافي الذي شعر أنه يقترب أكثر وأكثر من أمر كبير، وليس مجرد اسم بلده.

عـاد الأب إلى صمته وتحرك الحصان بسـرعة، وكأنه يريد هو أيضًا أن يعرف السر.. أما رافي فشعر برهبة شديدة قطعها مرة أخرى صوت أبيه:

- يا رافي، هذه البلد لم يكن اسمها «بطن النعمة».

رافي: فماذا كان اسمها؟!

مراد: كان اسمها قرية الرملية.

رافي: الرملية؟!

مراد: نعم الرملية.. حتى جاء جدك بركات وغير اسمها لبطن النعمة.

رافـي: ولمـاذا كان اسـمها الرمليـة؟ ولمـاذا غير جدي اسـمها لبطن النعمة؟!

مراد: رافي، سـأعلمك درسًـا مهمًا في الحياة.. كل شـيء في الدنيا من الممكـن أن تراه بطريقتين.. ممكن أن تراه سـيئًا جـدًا، وهو هو ممكن أن تراه جيدًا جدًا، حسب نظرتك له، وطريقة تعاملك معه.

رافـي: طيب.. لكن ما علاقة هذا الكلام بتغيير اسـم بلدنـا من الرملية لبطن النعمة؟

مراد: نحن بلدنا طبيعة أرضها عجيبة غير كل قرى مصر.

رافي: كيف يا أبي؟

كان مراد يقود الحصان ببطء بين مزارع كلها خضار وفاكهة وطماطم، فنظر إلى رافي قائلًا:

- نحـن يا رافي أناس مزارعـون فلاحون.. كل أرضنـا نزرعها خضارًا وفاكهة، ويأتي التجار ساعة جمع المحصول ليشتروا إنتاجنا، ونعيش على ذلك السـنة كلها.. لكن وسط أرض بلدنا هناك منطقة رملية كبيرة مقدارها حوالي 25 فدانًا، وسـط القريـة تمامًا، كلها رملة ولا تصلـح أبدًا للزراعة. ولما كثر عدد سـكان البلد ضاقت علينـا الأرض، وحاولوا أن يزيدوا الأرض المزروعة بأي طريقة، لكن كان من المستحيل زراعة هذه الأرض فقل رزقنا وضاقت علينا بلدنا، فمن هنا أسماها الناس «أرض الرملية».

تحرك مراد بسـرعة ليدفع الحصان بقوة، وكأنـه يريد أن يكمل القصة قبـل أن يفيق رافي من دهشـته. وفجأة انحرف بسـرعة مـن بين المزارع لتظهر صحراء كبيرة، صمتها يشبه صمت رافي الذي شعر أنه يرى القرية بعين جديدة لم يرها بها من قبل، رغم أنه يعيش فيها من سنين.

وفجأة أوقف الأب الكاريته بقوة، وقطع الصمت هذه المرة صوت صهيل الحصان من قوة شد مراد للجام.

مـراد: انظـر يا رافـي.. نحن لسـنا خـارج القرية، نحن في وسـطها بالضبط.. هذه هي أرض الرملية.

رافي: أبي إنها فعلًا رملية، فمسـاحة الرمال شاسعة. أهل القرية معهم الحق أن يسموها الرملية.. لكن لا أفهم لماذا سماها جدي بطن النعمة؟!

مراد: ألم أقل لك إن كل شيء في الحياة من الممكن أن تراه بطريقتين؟ هـذه الأرض رآهـا أهل البلد نقمة ورآها جدك نعمة، بـل أكثر من هذا، رآها بطن النعمة.. يعني أن النعمة مخبأة في بطنها.

رافي: أي نعمة يا أبي؟! أنا لا أرى إلا رمالًا ممتدة لا نهاية لها!

مـراد: هكذا تراها من بعيد، لكن انزل معي إلى داخل الأرض، وسـترى شيئًا عجيبًا.

نزل مراد من الكاريته، وبدأ يمشي في الأرض يتأملها.

مـراد: انظـر جيدًا إلى لـون الرمال.. إنها ليسـت رمالًا صفـراء كباقي الرمال.

رد رافي بدهشة:

- ما هذا؟! كأنها قطع من فضة! أنا لم أر في حياتي رمالًا لونها فضي!

مـراد: لكن اللون الفضي مخلوط بلـون الرمال الأصفر اختلاطًا عجيبًا، حتـى تبدو لـك أرض الرملية وكأنها طبق فضي كبيـر، عليه حبات الرمال الصفراء، أو كأنها حقل برتقال كبير أشجاره من الفضة اللامعة.

رافـي: نعم يا أبي إن الرمال تلمع لمعانًا عجيبًا من أثر انعكاس أشـعة الشـمس على هذا اللون الفضي المثير للدهشـة، ولـولا أنها مخلوطة بلون الرمـال الأصفـر، لما اسـتطعنا أن نفتح أعيننا فيها من شـدة لمعان اللون الفضي.

مراد: وانظر يا رافي إلى هذه الفجوات الكثيرة الموجودة بهذه الأرض.

رافي: نعم هي ليسـت رمالًا مسـتوية، ولكن بها حفـر عميقة في كثير من أجزائها، وكأن كتلًا كبيرة سـقطت عليها من السماء فأحدثت فيها هذه الفجوات.

مراد: اسـمع يا رافي.. سأقول لك كلامًا كبيرًا أتمنى أن تستوعبه، فربما لا أقدر أن أقوله لك بعد ذلك، وربما لا يقوله لك أحد غيري.

رافي: أنا أسمعك يا أبي.. قل لي.

مراد: هذه الأرض فيها سر يا رافي، لا أحد يعرفه إلا جدك يرحمه الله.. مـن حوالي 10 سـنين جاءت مجموعة مـن علماء الآثار إلـى قريتنا لإجراء أبحاث عن هرم الملك سـنفرو، وبعدها بعدة أشهر بدأت مجموعات متتالية من علماء وشركات تأتي لبلدنا، ليس لزيارة الهرم، ولكن لاستكشاف أرض الرملية. كانوا يحضرون كل سنة يحفرون في هذه الأرض بالأيام والأسابيع، ومعهـم معدات وآلات يحملونها بالطائرات خصيصًا ليأتوا لبلدنا.. يقومون بمعاينات، ويقيسون أشـياء بالشهور، ويأخذون عينات، ويشترون كميات قليلـة من الرمال ذات اللون الفضي، ونحن لا ندري ولا نفهم ماذا يفعلون، ولماذا يشترون الرمل ويروحون ويرجعون مرة واثنتين وثلاثًا في السنة!

رافي: وهذه الأرض أصلًا ملك من؟!

مراد: هذه الأرض كانت ملك جدك، ولكن جدك فجأة جعلها وقفًا لله[RB]، فـكان جدك يوزع الأموال التي تدفعها هذه الشـركات على كل أهل القرية، فيكـون نصيـب كل عائلـة 1000 أو 2000 جنيـه في السـنة، وأهل البلد كانوا سـعداء بهـذه النقود.. لكن جدك بدأ يشـعر أن اهتمـام هؤلاء الناس بأرض الرملية مثير للشـك، حتـى تعرف على رجل وطنـي مخلص يعمل في إحدى هذه الشـركات اسـمه الدكتور نبيل أبو العز، وهـو عالم وخبير في التكنولوجيا. صار الرجل صديقًا لجدك، وبذل كل جهده ليسـاعد جدك في معرفة السـر فلم يصلا إلى شـيء. وذات مرة أثناء زيارات فرق البحث للأرض، وقعت في يد جدك بالصدفة ورقة سـرية عن أرض الرملية وعرف سـر الأرض.. ومن يومها تغيرت نظرة جدك لهذه الأرض، فجمع أهل البلد وسماها بطن النعمة.

رافي: وجدي قال لهم السر؟!

مراد: للأسف.. لا.

رافي: ولا لك يا أبي؟

مراد: ولا لي.

رافي: هل سألته؟

مراد: طبعًا سألته.

رافي: ماذا قال لك؟

مـراد: قال لي: «لـن يفيدك يا بني معرفة السـر والبلد كلهـا أمية.. لو علمتم أولادكم هم سـيعرفون السـر». لكن من يومها تغير جدك، وبدأ يرى أن مشـكلة الأرض ومشكلة الفقر تبدأ من الإنسـان نفسه وتصوراته للدين وللحيـاة؛ فبدأ يتحـرك بين أهل القريـة الذين يعانون مـن البطالة والفقر ينادي فيهم بكلماته الشهيرة.

رافي: وما هي كلماته الشهيرة؟

مـراد: كان يقـول لهم: «فـرص الحياة بعدد أنفاس البشـر لمن يبحث عنها بإصرار». وكان يقول لهم: «فقر القادر على العمل عجز وكسل». لكن بعدها بشـهور مات جدك ونسـي أهل البلد كلامه، وعادت الشـركات تريد أرض الرملية، وصرت أنا والدكتور نبيل أصدقاء، نحاول سـويًّا معرفة سر الأرض.

رافـي: وكيف لم يعرف الدكتور نبيل سـر أرض الرملية وهو يعمل في إحدى هذه الشركات؟!

مـراد: الدكتور نبيل تخصصه علـوم التكنولوجيا وليـس علوم الأرض والجيولوجيا، فمجال عمله مع هذه الشـركات لم يوصله إلى معرفة السـر.

لكن عمله معهم أفاد جدك كثيرًا وأفادني كثيرًا، حتى أدركنا أن هناك خطرًا كبيرًا يهدد أرضنا من هذه الشركات للوصول للخيوط الأولى لسر الأرض.

رافي: لكن هل توصلتم إلى سر أرض الرملية بعد كل هذا الجهد؟

مراد: للأسف لم نصل إلى سر أرض الرملية، لكن يومًا ما سنصل إلى السر مهما كان الثمن.

رافي: ولم كل هذا الجهد يا أبي؟

مراد: تراب الوطن غال يا رافي، لذلك أي تفتيت لأرض بلدنا في مصر أو المغرب أو الشام أو الخليج هو شر وضرر كبير، حتى لو كان باسم المصلحة أو الدين، فإنه يكون باطلًا؛ فلو ضاع الوطن يا رافي ضاع كل خير في المستقبل.

ظلت هذه الكلمات تتردد في نفس رافي مثل صدى صوت يملأ كل كيانه، فأخذ يرددها بصوت مسموع: تراب الوطن غال.

مراد: ومن تراب الوطن تبدأ المعادلة يا رافي.

رافي: أي معادلة يا أبي؟!

مراد: معادلة تغيير واقع الناس الحزين في بلادنا.

رافي: وما هي المعادلة يا أبي؟

مراد: المعادلة هي: أرض غنية + إنسان فعال يتعلم ويعمل + قيم وأخلاق = حضارة تسعد الناس وتغنيهم.. هذا هو الحلم الكبير يا رافي.

رافي: الآن فهمت لماذا تراب الوطن غال؛ لأنه أول جزء في المعادلة. لكن ما هي المشكلة ليتحقق هذا الحلم الكبير يا أبي؟!

نظر مراد إلى الأرض ثم قال:

- المشكلة ليست في الأرض؛ فالأرض الغنية موجودة، والإنسان موجود، لكنه غير فعال؛ فهو بلا تعليم ولا تدريب، وبالتالي فهو لا يعمل، وقد فقد ثقافة الكفاح ورغبة البحث والاكتشاف، وضاعت منه الأخلاق؛ فصار موجودًا، لكنه غائب عن الوعي.

رافي: إذن لا بد أن نحلم يا أبي بعودة الإنسان الغائب.. لا بد أن يتغير الإنسان.. لكن كيف يتغير؟

مراد: التغيير يبدأ بتغيير المفاهيم الخاطئة، والتصورات الخاطئة عن الحياة، ثم يتغير السلوك والعادات، وأهم هذه المفاهيم التي يجب تصحيحها هي المفاهيم الخاطئة عن الدين.

رافي: ولماذا الدين بالذات يا أبي؟

مراد: الدين يعتبر أكبر مكون يشكل عقل ووجدان الناس في بلادنا يا رافي، فلو فهموا الدين خطأ لحدثت أخطاء فادحة. فالمفروض أن الدين جاء ليدل الناس على خيري الدنيا والآخرة، وليلبي احتياجات الناس ويجيب على أسئلة العصر، فإذا لم يحدث ذلك فهناك خلل في فهم الدين يؤثر على معادلة النجاح في الحياة.

رافي: يا أبي هذا موضوع كبير وصعب.. أنا تعبت من التفكير.

نزل مراد على ركبتيه وحضن رافي وقال له:

- أنا يا بني لن أعيش لك طويلًا.. أريدك طموحًا لك حلم ورسالة.. انظر يا رافي، انظر فوق إلى السماء، اجعل سقف حلمك هو السماء.. اجعل حلمك يعانق السحاب، واجعل سر أرض الرملية جزءًا من حلمك الكبير!

نظـر رافي إلى السـماء وأغمض عينيـه كأنه بدأ يحلـم بالفعل، ثم قال لأبيه:

- وهل ستساعدني لأحلم وأحقق حلمي؟

ابتسم مراد فرحًا بابنه:

- طبعًا سأساعدك، وأفضل شيء أساعدك به أني تركت لك كنزًا يا رافي.

رافي: كنز؟!

مراد: نعم.. تركت لك مكتبة في البيت مليئة بالكتب، كل كتاب سـتقرأه سـيرفع سقف عقلك 1000 درجة ودرجة. كل كتاب كأنه بئر بترول جديد تحفـره في عقلك، يفتـح لك كنوزًا وكنـوزًا.. هذه هـي أول خطوة لتحقق أحلامك.

حضـن مراد رافي حضنًـا أخيرًا.. حضنًـا عميقًا جدًا ودافئًـا جدًا كأنه يودعه، وهمس له في أذنه:

- احلم واقرأ وابحث لتصل إلى الحقيقة.

احلم واقرأ وابحث لتصل إلى الحقيقة.

بقـي هذا الموقـف، وبقيت هذه الكلمات ثابتة فـي عقل رافي وقلبه، لم ينسها أبدًا، بل كانت هي الطاقة المحركة لرافي ليصل إلى الحقيقة.

– 3 –

مر أسبوع على هذا الموقف حتى كان صباح يوم مؤلم وحزين في حياة رافـي. لقد كان يومًا عاصفًا كئيبًا، فمنذ سـاعات الصباح الأولى والسـحب الكثيفة القاتمة تغطي وجه الشمس، وكأنها تحجب عيون الشمس أن تشهد أحداث ذلك اليوم الحزين، ثـم هاجت الرياح وبدأت الأمطار تهطل بغزارة، وكأنها دموع تبكي مقدمًا لما سيحمله هذا اليوم من أخبار مؤلمة.

أما رافي فقد قام مبكرًا كعادته ليذهب إلى المدرسـة، لكن والدته ليلى نظـرت من النافـذة لترى هذا الجو السـيئ؛ فقـررت ألا يذهـب رافي إلى المدرسـة في ذلك اليوم. وفي حدود السـاعة العاشرة صباحًا قرر مراد أن يسافر إلى القاهرة، فقد جاء اتصال من تاجر فواكه بالقاهرة يريد بصورة عاجلة شـراء إنتاج المزرعة التي تمتلكها عائلة بـركات والتي يديرها مراد بنفسه، فلم يجد مراد أمامه سوى أن يسافر فورًا إلى القاهرة.

وقبـل أن يطلـب مراد مـن عم إدريس تجهيز السـيارة للسـفر، إذ بعم إدريـس يطرق البـاب ويطلب إجازة لمـرض ابنه؛ فاضطر مـراد أن يقود السيارة بنفسـه. شعرت ليلى بعدم الراحة أن يسـافر مراد وحده، فقررت أن تسـافر هي أيضًا معه لتؤنسه في الطريق، وألح رافي أن يسافر معهما، فتحركت السيارة بهم جميعًا.

لـم يكن مراد مبتسـمًا كعادته، ولم تكن ليلى تجاذبـه أطراف الحديث كعادتها، أما رافي فقد ظل صامتًا وهو يجلس في المقعد الخلفي. وما هي

إلا دقائق قليلة بعد أن خرج مراد من مدخل القرية وسلك الطريق السريع المؤدي إلى القاهرة، حتى أخذ مراد يضغط على دواسة البنزين ليزيد من سرعة السيارة، وزادت سرعة السيارة، لكن بعد لحظات بدأ يظهر على وجه مراد الاضطراب الشديد.

فجأة صرخت ليلى:

- مراد.. هل أنت بخير؟!

مراد: أشعر أني غير قادر على التحكم في السيارة.

ليلى: ما هي المشكلة؟!

مراد: لا أدري.. أنا غير قادر على التحكم!

رافي: بابا أرجوك أخفض سرعة السيارة.. أرجوك قف يا بابا.. قف!

لم يرد مراد ولم يوقف السيارة، وما هي إلا عدة ثوان حتى اصطدمت السيارة بشجرة في الطريق، وتحطمت السيارة تمامًا.. وفي الحال توفي مراد وليلى، ولم ينج إلا رافي.. خرج سليمًا ولم يصب إلا بجرح في جبينه فوق حاجبه الأيسر، في نفس مكان الشامة التي ولد بها، وكأن الجرح ركب بالضبط فوقها ليؤكدها، وليترك أثرًا لا تمسحه السنون.

كانت وفاة مراد وليلى بمثابة زلزال لحياة رافي. كان صامتًا واجمًا طوال أيام العزاء، يسلم على الناس ويتقبل عزاء والديه، ودموعه تسيل في صمت عجيب دون أن يكلم أحدًا.. فلما انتهى العزاء جرى نحو عمته سلمى وانفجر بالبكاء في حضنها.

سلمى: ارض بقضاء الله يا رافي؛ فالله رحيم حكيم عليم.

رافي: اشتقت لأبي وأمي.

سلمى: كلما اشتقت إليهما أرسل لهما الهدايا.

رافي: وكيف أرسل لهما الهدايا؟

سلمى: الصلاة والصدقات والدعاء كلها هدايا ترسلها إليهما، وسيعرفان ذلك ويفرحان بها.

رافي: من اليوم لن أنام ولن أستيقظ إلا وقد دعوت لهما في صلاتي وفي سجودي.

سلمى: لكن أعظم هدية ترسلها لهما أن تنجح في حياتك، وتكثر من عمل الخير، فإنما أنت حسنة من حسنات أبيك وأمك، وكلما نجحت وفعلت الخير زاد رصيدك ورصيدهم من الحسنات.

رافي: كيف أنجح والصعوبات التي ستواجهني بعدهما أكبر مني بكثير؟

سلمى: انجح لترضي أباك وأمك في قبرهما، وتذكر أنه من قلب الألم يولد الأمل.

رافي: أشعر أن سمائي كلها غيوم.

سلمى: كن مثل قوس قزح، كلما ازدادت غيوم السماء زاد بريقه ولمعت ألوانه.

لم تكن سلمى امرأة عادية، فهي مثقفة غزيرة القراءة، وقد تفوقت بشدة في دراستها حتى صارت تدرس في الجامعة الفلسفة وعلم المنطق، وكان رافي في هذه المرحلة يحتاج لمن يجيبه عن الأسئلة الصعبة في الحياة، والتي عادة يخجل الشباب مثله أن يسألوا عنها، وتبقى دفينة في صدورهم دون جواب، لكن وجود سلمى شجع رافي أن يسأل بحرية.

رافي: لماذا خلق الله الكون؟

سلمى: إنه الإبداع يا رافي.

الصانع عندما يبدع صنعته يحب أن يرى العالم كله صنعته.

الفنان عندما يبدع لوحته يحب أن يرى العالم كله لوحته.

الأديب عندما يبدع روايته يحب أن يقرأ العالم روايته.

المهندس المعماري عندما يبدع بناءه يحب أن يُشاهد العالم منتجه.

الإبداع لا يقاوم ولا يكتم؛ لأنه سـر من أسـرار الوجود.. جاليليو[RB] أبدع في اكتشـافه وهو يعلم أن ذلك سـيعرضه للموت، ومع ذلك لم يسـتطع أن يكتم إبداعه.

فكيف نعطي لأنفسنا حرية الإبداع، ونعجب من الله إذا أبدع خلقنا، وهو الذي أوجد وخلق الإبداع فينا؟

الإبداع هو الشـيء الوحيد الذي لا يُسـأل صاحبه لماذا أبدعه.. لا يسأل الفنان لماذا أبدعت هذه اللوحة، ولا يسـأل الصانع ولا الأديب ولا المهندس المعماري عن سبب إبداعه.. الإبداع لا يحتاج إلى مبرر؛ فهو مبرر في ذاته.

رافي: هذا عن الكون.. ولماذا خلقنا نحن البشر؟

سلمى: أراد الله أن يظهر جمال صفاته، من رحمة ومغفرة وعفو وقدرة وغيرهـا، فتجلى على مخلوق يتذوق هذه الصفات فخلق الإنسـان، وأعطاه الله العقل والشـعور والإحسـاس ليتذوق صفات الخالـق، ثم طلب منه أن يعمر الأرض ويجملها.

رافي: إذن فالإنسان هو خلاصة خلق الله.

RB:www.RafiBarakat.com

سـلمى: صحيـح.. ولذلك سـجدت له الملائكـة، ولذلك أيضًـا كلفه بمهمة عظيمة، هي إصلاح وتعمير الأرض، واختار الإنسان دون غيره لأداء هذه المهمة.

رافي: لكن ما هو السبب في وجود الشيطان؟

سـلمى: خلق الله الإنسـان فيه الخير والشـر، وترك له حرية الاختيار، وأخبر سـبحانه أن الإنسـان الصالح الـذي يفعل الخير هـو أفضل وأقوى مخلوقاته، فكان لا بد من تجربة ذلك.

رافي: وكيف ذلك؟

سـلمى: عندما يبدع الصانع صنعتـه، يقول لك: جربها للتأكد أنها مثلًا ضد الكسر، فيقول: ألقها وسترى أن صنعتي أقوى من الصدمات. والفنان عندمـا يبدع لوحته يقـول لك: جربها وسـترى مدى ثبـات ألوانها. وكذلك أراد الله عندما أبدع الإنسـان؛ فكان وجود الشيطان دليلًا على أن المؤمنين والصالحين وأهل الخير هم أقوى وأعظم مخلوقات الله.

تردد رافي قائلًا:

- هل خطأ يا عمتي أن أسأل هذه الأسئلة؟

سـلمى: أبدًا.. اسـأل يا رافي كما سـأل إبراهيم عليه السلام.. فوالله يا رافـي لأن تقابل الله يـوم القيامة بمحاولاتك لتعرفـه وقد تخطئ وتصيب، أفضـل من أن تقابلـه يوم القيامة ومعك إجابات جاهـزة قدمها لك آخرون وأنـت لم تفهمها، فإذا تعب عقلك ولم تقتنع فاذهب إلى الله خالقك وقل له بإخلاص وبصدق: أعِنّي وفهِّمني.

ظلت سـلمى تقوي رافي، وظل هو يسألها بلا حرج. كانت مؤمنة قوية الإيمـان، وكأن اللـه منَّ عليها بالإيمان لتثبت رافـي في هذا الوقت الصعب،

حتى تماسك رافي بالفعل وزاد تصميمه وإصراره على إسعاد أبيه وأمه بأن يتعلم وينجح في الحياة ويعرف سر أرض الرملية. لكن سلمى بعد ستة أشهر تزوجت من الدكتور زاهر مهران مدرس في كلية العلوم، ثم جاءته منحة في أمريكا لدراسة الدكتوراه في الجيولوجيا[RB]، ولم يكن أمام سلمى إلا أن تسافر معه وتترك رافي.

وفي لحظات الوداع قبل السفر، أعطت سلمى رافي جهاز لاب توب كانت قد اشترته له، مع مجموعة من الملابس الأنيقة، ثم خلعت من صدرها سلسلة عليها صورة الخنفساء الفرعونية القديمة[RB] وأعطتها لرافي.

سلمى: خذ هذه يا رافي.. علقها في رقبتك ولا تنزعها أبدًا.. إنها أغلى ما ورثته عن جدك بركات ولها سر.

رافي: وما سرها؟

سلمى: سرها من سر أرض الرملية.

رافي: كيف هذا؟!

سلمى: هذه السلسلة وجدها جدك بركات من 30 سنة مدفونة في أرض الرملية، فاحتفظ بها وأعطاها لي وهو يموت، وأوصاني أن أضعها في رقبة من يحمي أرض الرملية.

أخذ رافي السلسلة وعلقها في رقبته:

- أعدك يا عمتي أني لن أنزعها أبدًا حتى أكشف سر أرض بلدي.

سافرت سلمى وتركت رافي، ولم يبق بينهما إلا إيميلات تهون عليهما الفراق.

RB:www.RafiBarakat.com

واضطر رافي أن يذهب ليعيش مع عمه عباس، الذي أصبح عمدة القرية بعد وفاة مراد، ليجد رافي نفسه عضوًا في أسرة جديدة مختلفه تمامًا في طباعها عن أسرته.. عائلة عمه عباس المكونة من ثلاثة أفراد.. عباس وزوجته سعاد وابنهما أحمد 14 سنة وشهرته في القرية «أحمد الحوت»، لحبه الشديد للأكل، وبالطبع أصبح رافي رابعهم وكبر وعاش معهم.

لم تكن عائلة عباس مرحبة برافي، ولم يكونوا ودودين معه، وكان تفضيلهم لابنهم أحمد أمرًا معلنًا لا يخفونه ولا يدارونه. وعندما توفي والد رافي حاول عباس بيع بيت مراد؛ مدعيًا أنه هو الأحق بهذا المال ليصرف على رافي، فرفضت سلمى البيع حتى لا يضيع حق رافي، فغضب عباس وأغلق البيت، واحتفظ بأوراق البيت ومفاتيحه عنده.

عباس كان يختلف كثيرًا عن مراد، عباس حاد جاف عنيف، رجل صارم لا يعرف الابتسام، وكان يبالغ في هذه الصرامة أكثر مع رافي؛ حتى لا يطالب يومًا بحقه في ميراث أبيه أو نصيبه في المزرعة. وكان شكل عباس يبعث الخوف في نفس كل من يتعامل معه، فهو ضخم عريض الجسد، له يدان غليظتان تجعل كل من يتعامل معه يخشى أن يسلم عليه بيده فيعصرها، ويخشى أكثر لو غضب عباس فسلم بيده على وجهه! وزاد من صرامة شكله ذلك الشارب الكثيف الذي يغطي وجهه، وكان ابنه أحمد في مثل هيأته، وكانت زوجته سعاد مثلهما لكن بدون شارب.

وعندما جاء موعد السنة الدراسية الجديدة، رفض عباس أن يذهب رافي إلى المدرسة وقال له:

- انت فاكر أني سأصرف عليك وأعلمك وأكلك وأشربك؟ أنت لن تتعلم.. لن تذهب إلى المدرسة.. مثلك مثل باقي أولاد البلد.. أنت ستنزل معي إلى المزرعة وتشتغل فيها مثل أي عامل هناك.. أمثالك لن يتعلموا!

كان عباس يخشـــى إن تعلم رافي أن يطالــب بحقوقه، وكان أيضًا يغار أن يرى رافي متعلمًا وســط عائلة أمية. ومن يومها صار رافي محرومًا من التعليم، ومن يومها صار الكتاب والقراءة خطأ كبيرًا يستوجب عقاب العم.

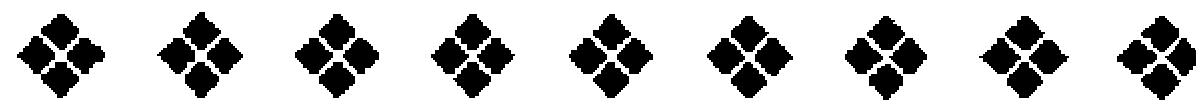
لكن رافي بشخصيته شديدة الإصرار ظل يذاكر ويتعلم، ويدخل امتحانات المدرسة انتسابًا وينجح، وينتقل من عام إلى عام سرًا دون علم عمه، ودون أن يذهب إلى المدرســة أو يأخذ أي دروس مدرسية أو خصوصية. أما كيف فعــل ذلك؟ فعندما ينــام كل من في البيت يبدأ رافي المذاكــرة.. تقريبًا في منتصــف الليل يقوم من ســريره، وعلى أطراف أصابعــه يتحرك ببطء نحو دولاب ملابســه، ويبحث فــي الظلام عن بطارية يضعهــا دائمًا في أول رف في الدولاب، وفي ضوء البطارية يبحث تحت ملابســه هناك في قعر الدولاب حيث يخبئ كتابًا مدرســيًا. يأخذه ويعود بسرعة إلى سريره ويغطي رأسه إلى قدميه ببطانية ســميكة حتى لا تكشــف الضــوء، ويرفع ركبتيه، ويضع الكتاب على بطنه، ويمســك البطارية بيد ويفتح الكتاب بيده الأخرى، ويظل هكذا ســاعة أوســاعتين لا يمــل، وإذا تعبت يــداه يضع البطاريــة في فمه، ويمســكها بأســنانه ليكمل القراءة. أما إذا شــعر بحركة في الغرفة أو سمع صوت أقدام تتحرك بالخارج أو تفتح باب الغرفة، فهو مستعد دائمًا ليطفئ نور البطارية في أقل من ثانية واحدة، ويمثل أنه نائم في سُبات عميق.

هكذا تشــكلت شــخصية رافي بكل مــا فيها من إصرار وتحــدٍ، ورغم كل الصعاب التي يواجهها.. واستمر في التعليم، ثم زاد عشقه للتعلم فصار يحلم بقــراءة كل الكتب الموجودة في مكتبة والده الموجــودة في بيته القديم، ولم يكــن عباس عم رافي يتخيل أن رافــي معه مفتاح جراج بيت أبيه، فقد أعطاه والــده مفتــاح الجراج لأن عجلة رافــي كانت دائمًا توضع هنــاك ومازال معه

المفتـاح. ومـن يومها ورافي كل يـوم جمعة بعد الصلاة يتـرك عمه مع أهل القريـة، ويتسـلل إلى جراج البيت المهجـور، ويدخل إلى مكتبـة أبيه فيزيل التـراب عن الكتب وعن صورة أبيـه وأمه، ويحضن الصـورة، وكثيرًا ما كان يتأثر فتدمع عيناه، ثم يهدأ ويختار كتابًا لهذا الأسبوع، ويتذكر كلمة أبيه:

«احلم واقرأ وابحث لتصل إلى الحقيقة».

هكذا قضى رافي 4 سنوات من عمره منذ وفاة والديه وعمره 10 سنوات، حتى جاء يوم عيد ميلاده ليتم اليوم 14 سنة.



أصبح رافي شـابًّا محبوبًا من شـباب القرية؛ فهم يرون فيه شـخصية فريـدة في إصرارها. تميز بينهـم بأخلاقه العالية وإيمانه القوي، ومع ذلك فهو شـاب (Cool) يحب الحياة ويعشق الموسيقى، حتى صار مثلًا يتمنى كل شـاب أن يقلده حتى في (Style) ملابسه، فهو يرتدي دائمًا بنطالًا بنيًّا رملـي اللـون كأرض بلده، وتيشـيرت أبيض أو أزرق فاتـح اللون. أما في الشـتاء فهو يرتدي نفس التيشرتات عليها جاكيت أنيق. وهو صيفًا وشتاء يلبس نفس الحذاء الرياضي، حذاء ذو ألوان زاهية يشـبه حذاء لاعب الكرة الشهير كرستيانو رونالدو. وفي يده اليسرى يلبس ساعة رقمية لها استيك مطاطـي، ويحمـل دائمًا حقيبة شـبابية بنيـة اللون لها يـد طويله يعلقها (Cross) على كتفه الأيمن لتصل الحقيبة إلى جنبه الأيسـر، يضع بها دائمًا اللاب توب ومجموعة (CDs) ومصحفًا صغيرًا. وطبعًا بطاريته الشـهيرة، فهي ليسـت مجرد بطاريـة عادية، إنما هي معه دائمًا، ولها عنده فلسـفة،

فهي تسـلط له الضوء ليس على كل الحياة، ولكن على ما يجب أن يراه من الحياة، وكأنها تهتف به في الأوقات الصعبة: ركز هنا يا رافي.

كانت حياة رافي مقسـمة بيـن المذاكرة بالليل، والعمل فـي المزرعة طوال النهـار، فمع شـروق الشـمس يوقظه عمه ليذهـب إلى المزرعـة، فقد صار هو المسئول عن العمل اليومي الشاق في المزرعة، دون أجر أو مطالبة بربح، فقط يكفيه كما يقول له عمه دائمًا أن يأكل ويشرب ويقيم معهم في البيت.. وكالعادة يقـوم رافي ليصلي الفجر، ويأخذ عجلتـه إلى المزرعة، بينما عمه وابن عمه في نومهما العميق، وربما ينتصف النهار ولم يظهر أحد منهما في المزرعة.

كان رافـي يعمل طـوال النهار مع باقـي العمال، فمزرعـة العائلة كانت عبـارة عن 15 فدانًا كلها أشـجار برتقال. وكانت قـدرات رافي غير العادية تذهل العمال، فأحيانًا يكون جالسًا وسط العمال والسماء صافية بلا سحب، فيقـوم رافـي يجري فجـأة نحو صومعة الأسـمدة المكشـوفة فـي العراء، فيغطيها بسـرعة بمشـمع كبير، ثم يعود فيجلس، وما هي إلا دقائق وتمتلئ السماء بالغيوم وتسقط أمطار غزيرة. وأحيانًا يكون رافي في مكان آخر في المزرعة، وفجأة يأتي 2 من العمال مسرعين يقولان له: نعم يا رافي سمعناك تنادينـا.. فيرد رافي: لا أنـا لم أنادكما، ولكني فعلًا كنت أحدث نفسـي أني أريدكـم أن تأتوا الآن.. ومع ذلك لم يخبر العمال عم رافي بهذه الأشـياء، فلا أحـد يجـرؤ أن يحدثه أصلًا.. حتى رافي لم يكن يجـرؤ أن يحدث عمه بهذه الأشـياء غيـر العادية؛ لأنه أصلًا لم يكن يجرؤ أن يحكي لعمه أي شـيء عن المزرعة.. بل ولا يجرؤ حتى على مغادرة المزرعة إلى أن يأتي عمه ويطمئن على العمـل، وأحيانًا يتأخر كثيـرًا حتى يغادر العمال، ويبقـى رافي وحيدًا حتى تغلبه عيناه فينام، فلا يوقظه إلا صريخ عمه مؤنبًا له على نومه.

وفـي يـوم ورافي عائد مـن المزرعة بعـد يوم عمل شـاق، وقد أحرقته الشـمس بلهيبها وهو يجـر أقدامه من الإجهـاد والتعب، اسـتوقفه بهلول المجنون (هكذا يسـميه أهل القرية)، يلبس سبحًا كثيرة معلقة على رقبته، وعلى رأسه طرطور ملون بألوان الطيف، وملابسه ممزقة ومضحكة للغاية، فكلها مرقعة وكل رقعة بلون مختلف.

صاح بهلول بصوت عال:

- يا رافي يا بركات.. البيت بيت أبونا وأعمامنا يطردونا.

رافي: يا عم الألوان الكثيرة أنا تعبان من الشغل طوال النهار في مزرعة عمي.

ضحك بهلول بصوت عال:

- ها ها ها.. مزرعة من؟ مزرعة عمك؟ سلم لي على عمك.

رافي: يا رب الصبر!

رد بهلول بصوت عال جدًّا كله أسى وشجون:

- يا رافي يا بركات.. اسمع مني الحكاية.

ماتوا الأبطال.. وفضلوا الأندال.. ياكلوا حقوق العيال!

ماتوا الأبطال.. وفضلوا الأندال.. ياكلوا حقوق العيال!

سـكت بهلول فجـأة وأخذ ينظر إلـى الجرح في جبين رافي، ويلمسـه بأصابع يديه ويقول بصوت منخفض جدًّا وهو متأثر:

- جرح في جبين الولد.. يصحي نوم البلد!

جرح في جبين الولد.. يصحي نوم البلد!

تــرك بهلول رافي واقفًا وانصرف دون أن ينظــر إليه.. وأخذ ينادي من بعيد بأعلى صوته:

- الله يرحمك يا بركات يا كبير!

الله يرحمك يا بركات يا كبير!

وظل يرددها حتى اختفى صوته.

أما رافي فقد بقي متســمرًا في مكانه مذهولًا من كلمات هذا المجنون.. مــاذا يقصد بهلول؟ وأي حكاية يقصد؟ وبينما رافي كذلك إذ بيد من خلفه تضرب على كتفه.. ارتعش رافي من المفاجأة.. من هذا؟!

إنه الشيخ سالم إمام مسجد القرية.. شاب أزهري في الثلاثين من عمره، متفتــح للغاية، كثير القراءة والاطلاع، ليس من أهل القرية، لكنه خريج من الأزهر انتدبته وزارة الأوقاف ليكون إمام مســجد القرية، فأحب أهل القرية وأحبوه، وعاش بينهم فترة من الزمن.

الشيخ سالم: عرفت الحكاية من بهلول يا رافي؟

رافي: لا يا شيخ سالم.. بهلول مجنون ويخرف، لم أفهم منه أي شيء.

الشيخ سالم: إذن اسمع مني أنا حكاية أخرى.

رافي: قل يا شيخ سالم.

الشــيخ ســالم: ذات مرة يا رافي كان هناك شــاب مثلك يعمل مزارعًا، مــات أبوه.. وقابل شــابًا آخر صديقًــا له يعمل بحارًا مات أبــوه أيضًا على مراكب الصيد.. ودار بينهم هذا الحوار:

المزارع: كيف مات أبوك؟

البحار: مات في البحر في رحلة صيد.

المزارع: وكيف مات جدك؟

البحار: أيضًا مات في عاصفة في البحر.

رد المزارع باستغراب شديد:

- معقول مات أبوك وجدك في البحر وأنت مازلت تعمل في البحر؟!

فرد البحار وهو يبتسم:

- وأنت كيف مات أبوك؟

المزارع: على سريره.

البحار: وكيف مات جدك؟

المزارع: أيضًا على سريره.

ضحك البحار، ثم قال:

- معقول مات أبوك وجدك على السرير، وأنت مازلت تنام على السرير؟!

ثم علق الشيخ سالم قائلًا:

- يا رافي، كل الناس ذاهبة من الدنيا.. كلنا سنموت.. لكن المهم من الشجاع الذي يبحث ويسأل، ويعمل الخير ولا يخاف.

مضى الشيخ سالم ورافي واقف مكانه، لكن بداخله كلام كثير.. هؤلاء الناس يريدون أن يقولوا لي سرًّا ما، لكن هناك شيء يمنعهم.. أكيد أنني في يوم ما سأعرف ما هو هذا السر!

لعنــة الفراعنــة

- 1 -

في غرفة المعيشـــة جلس رافي وســط عائلة عمه عباس، وجلس عباس على كنبة عريضة، وغاص فيها بحجمه الكبير حتى كادت الكنبة تشتكي من وزنه الثقيل، وجلس ابنه أحمد أمامه يأكل فطيرة محشــوة بالبيض والفول والفلافــل والبصل والطماطم، ويلتهمها بشــراهة عجيبة. كان يســميها هو «فطيــرة النابالم».. بينما جلس رافــي ينظر إليه بعجب؛ فهذه هي الفطيرة الثالثة! أما ســعاد فهي دائمًا في المطبخ المفتوح على غرفة المعيشــة تعد فطائــر ابنها أحمد.. أدار عبــاس التليفزيون يقلب القنوات بلا تركيز، حتى خطفت أذنيه عبارات يقدمها مذيع برنامج في إحدى القنوات.

المذيع:

- عزيزي المشــاهد، هل تعتقد أن هناك شيئًا اســمه «لعنة الفراعنة»؟ هــل لعنــة الفراعنة حقيقــة أم خيــال؟ مازالت هناك حــوادث كثيرة تشــير إلى وجود لعنة لكل من يقترب من معابد أو مقابر المصريين القدماء. ففي القرن الماضي كان اكتشــاف مقبرة توت عنخ آمون[1] علــى يد عالم الآثار هوارد كارتر، الذي دخــل المقبرة وحطم الأختام

(1) قصة حقيقية.

والأبـواب، حتى كان على مســافة صغيرة من غرفــة دفن الملك توت عنـخ آمون، ومد يده وأحـدث في الحائط فتحة فخـرج هواء ينطلق لأول مـرة منـذ 35 قرنًا. لكن العجيـب أن الثلاثة عشـر رجلًا الذين دعاهـم كارتر لحفل الافتتاح قد ماتوا الواحد وراء الآخر وفي ظروف غامضة. أما شامبليون مكتشـف حجر رشيد، فعند عودته من مصر أصيب بالشـلل، ثم بالإغماء الطويل، ليموت وهو لم يكمل بعد الثانية والأربعيـن من عمره! كل هذا في القـرن الماضي، ومازالت الحوادث مستمرة إلى اليوم.

علق عباس ساخرًا:

- مـا هذا الكلام الفارغ؟! الرجـل خوفو هذا كان رجلًا كريمًا، عرف أن أحفاد أحفاده سـيكونون في حالة اقتصادية سـيئة؛ فترك لنا الهرم نأكل منه العيش.. اتركونا في حالنا لنعيش!

أحمـد: ماما من فضلك وحياتك لو ممكن فطيرة أخرى، حتى أفهم كلام الرجل المذيع هذا.

سعاد: حاضر يا حبيبي.

بينما بقي رافي صامتًا يتابع البرنامج باهتمام بالغ.

علق المذيع مرة أخرى بحماس:

- ومازلت لعنة الفراعنة مستمرة، فهناك ثلاث حوادث في السنة الأخيرة كلهـا في صعيد مصر، لثلاثـة من العلماء الكبـار الذين زاروا مصر في ظروف مختلفة.. بروفيسـير مالووا من جنوب أفريقيا زار معابد الأقصر، ثم اختفى هناك في ظروف غامضة.

تحولت الكاميرا إلى أحد معابد الأقصر، ثم عادت إلى المذيع الذي أكمل:

- والدكتور مارتن إريك من أمريكا زار أحد معابد مدينة جرجا، ثم ركله فرس فسقط في حفرة عميقة فانكسرت ذراعه وقدمه.

تحولـت الكاميرا مرة أخرى إلى معبد جرجا، ثم عادت إلى المذيع الذي أكمل:

- وأخيرًا بروفيسير جامشيد بهير من الهند، والذي زار قرية لها تاريخ فرعونـــي عريــق، يقال إنها تعود إلى الملك ســنفرو أبو الملك خوفو، لكنها ليست مشهورة كغيرها، ومع ذلك تسرب غاز غير معروف إلى أنفه، مما أصابه بعدم القدرة على التوازن الجسدي الحركي.

تحولت الكاميرا إلى...

انتفض عباس صارخًا:

- هذه الصورة في بلدنا!

قرأ رافي تحت الصورة «قرية بطن النعمة»؛ فصرخ هو أيضًا:

- فعلًا فعلًا هذه بلدنا!

أكمل المذيع اللقاءات مع الجماهير:

- من مع ومن ضد فكرة لعنة الفراعنة؟

شاب صغير: أنا لا أومن بلعنة الفراعنة.

عالم دين: هذا تخريف وحرام.

مرشد ســياحي: طبعًا أنا رأيت بعيني حوادث غير مفهومة، وليس لها تفسير إلا أنها لعنة الفراعنة.

عباس: الولد المرشد السياحي هذا عميل يريد إفساد السياحة في بلدنا.

أحمد: اسـتفزني جدًّا هذا الكلام.. أرجوكِ يا ماما أريد ساندوتش أهدئ به نفسي.

كان رافــي في منتهــى التركيز، يتابع بكل حواســه الحــوار، وقد حرك الساندويتش الذي أمامه لأحمد قائلًا:

- اسكت أرجوك لكي أسمع..

ابتسم أحمد ابتسامة عريضة، ثم قال:

- أنا أحببتك يا رافي..

رد رافي بضيق شديد:

- أي خدمة.. فقط اسكت!

المذيع: معنا اليوم عدة شخصيات للتعليق على هذا الموضوع.

تحركت الكاميرا على الضيوف، فانتفض عباس مرة أخرى ووقف:

- معقول.. معقول!

ثم قفز من مكانه ونادى سعاد لتحضر من المطبخ:

- يا سعاد، يا سعاد انظري إلى الضيف الثاني على اليمين.. هذا الدكتور نبيل أبو العز الذي يأتي إلى بلدنا كل سنة من أجل أرض الرملية.

وقف رافي بدون وعي فجأة محركًا كرسيه بقوة وهمس:

- الدكتــور نبيل أبو العز! هذا الرجل صديق جدي وأبي ويعرف الكثير عـن أرض الرمليــة.. هو من ســاعد جدي لمعرفة ســر الأرض، وبابا حكى لي عنه قبل أن يموت.

نظرعباس لرافي غاضبًا:

- ماذا حدث لك يا ولد؟

استوعب رافي أنه تصرف بشكل مثير للاهتمام، فجلس بهدوء وقال:

- لا.. لا شيء.. شد خفيف في ساقي من ركوب العجلة.

ثم عاد إلى تركيزه.

المذيع: معنـا خبيران عالميان: الدكتور مخلص أبـو الوفا خبير الآثار المصـري والأسـتاذ في معهـد برلين للآثـار الفرعونيـة القديمـة. ومعنا أيضًـا الدكتور نبيل أبو العز دكتوراه فـي التكنولوجيا والعلوم من جامعة بنسلفانيا.

أخذ رافي ينظر إلى الدكتور نبيل بشـغف وتركيز شـديدين، يحاول أن يقرأ هذا الرجل، ويقول لنفسه: تمامًا كما توقعته.. رجل هادئ رزين، واثق بنفسـه، يبـدو حكيمًا عاقلًا، طيـب الملامح، حتى عمره كمـا توقعته، فهو في أوائل الخمسـين. يرتدي بدلة كحلية اللـون، وقميصًا أزرق فاتح اللون، وكرافتة كلاسيكية في ذوق عال، لكن أيضًا ببساطة شديدة.

المذيـع: نبـدأ مع الدكتـور مخلص، ما رأيـك يا دكتور لـو قلت لك إن رصاصـة انطلقت من مصدر مجهول فأصابت عشـرين عصفورًا في وقت واحد وماتوا جميعًا؟ إذا تصورنا أن هذا من الممكن أن يحدث، فماذا تقول إذا كانـت الرصاصة قـد انطلقت من ألوف السـنين، ثم أصابـت عددًا من العصافيـر في أماكن مختلفـة وفي أوقات مختلفة؟ ألا ترى أن هذا شـيء عجيب؟ ببساطة: ما هو سر لعنة الفراعنة؟!

د/ مخلص: الحقيقة أننا جميعًا كعلماء نرى أن هذه الحوادث المتكررة لا يمكن أن تكون صدفة، لكننا مختلفون في تفسير أسباب هذه الحوادث كلما اقترب أحد من معابد أو مقابر الفراعنة. هل هي تعويذة سحرية؟ هل للحروف المكتوبة على جدران المعابد قوة تأثير على الناس؟ هل هناك سموم قد أودعها المصريون مقابرهم، وهذه السموم في شكل هواء قاتل، أو على شكل تراب؟ أم إن هناك معادن لها إشعاع مميت؟ هل هناك طفيليات على جثث الموتى إذا لمسها الإنسان مات؟ هل عرفوا مساحيق الهلوسة؟ من الممكن أن يكونوا قد عرفوا كل هذه الأشياء.. عمومًا كلها أشياء مخيفة!

المذيع: وفقًا لرأي الدكتور مخلص لعنة الفراعنة قد تكون أمورًا سحرية أو علمية.. فما رأيك يا دكتور نبيل؟

شعر رافي أنه سيسمع شيئًا غير عادي، كأن الدكتور نبيل سيحدثه الآن وحده عن سر من أسرار أرض الرملية.

د/ نبيل: الحقيقة أنا أميل إلى التفسير العلمي للعنة الفراعنة.. لا نقدر أن نقول إن هذا تخريف؛ لأن الموضوع علمي. الفراعنة كانوا متقدمين علميًّا جدًّا، واستخدموا أدوات وغازات ومعادن لا نعرفها حتى الآن. وهناك نظريات كثيرة تؤكد أن الفراعنة استخدموا سطحًا فضيًّا لامعًا جعلوه طلاء لجزء من الهرم؛ ليبدو كأنه سبائك من الفضة اللامعة المخلوطة بالرمال الصفراء، ليعكسوا أشعة الشمس على السحب، فأسقطوا المطر! وعلى كل حال، يكفي أن نعرف أن مصر كانت أكثر مكان في العالم سقطت به النيازك[RB]، وأن الفراعنة استخدموا المعادن الناتجة عن هذه النيازك في أشياء غير معلومة لدينا حتى الآن.

شعر عباس بالملل من الكلام العلمي، وقرر أن يغير المحطة وهو يقول:

- كلام فاضي وناس فاضية..

لـم يقدر رافــي أن يتحكــم في مشــاعره، فضــرب بيــده بغضب على المنضــدة، وقام من مكانه غير مبال بعمه، فقد كاد يمســك بأول خيط في سر الرملية، وكيف له أن يجد الدكتور نبيل مرة أخرى!

والعجيـب أن عباس من قوة رد فعل رافي لم يلم رافي أو يعنفه، بل كل ما فعله أنه قام بهدوء وانصرف إلى غرفة نومه.

بات رافي ليلته مهمومًا حزينًا، فهو يريد أن يصل إلى الدكتور نبيل بأي وسيلة.

حــاول أن ينام، لكنه ظل يتقلب في ســريره بلا فائــدة، كأن النوم قرر أن يعصــاه ولا يطاوعه.. فلما طال به الأرق، قفزت إلى رأســه فكرة جديدة.. قرر التركيز بكل طاقته لكي يقابل الدكتور نبيل هذا الأسبوع، وبدأ يحدث نفسه أن هذا ســيحدث لا محالة، وسيطرت هذه الفكرة على عقله حتى تصورها حقيقة واقعة أكيدة الحدوث، وشعر أن جسده كله ينتفض من أجل هذه المقابلة.

جلس في فراشــه يردد: «أنا ســأقابل الدكتور نبيل هذا الأســبوع.. هذا أمر منتهٍ». وظل يردد هذه الجملة عشــرات المرات، حتى شعر أن كل خلايا جسده تردد هذه الحقيقة المؤكدة. حتى عيناه رأت في سقف الغرفة صورة عجيبــة.. رأى وهو مفتوح العينين الدكتور نبيل يركب ســيارة مرســيدس ســوداء، يرافقه أناس آخرون، ويتحرك نحو أرض الرملية. أخذ رافي يفرك عينيه بيديه ليتأكد أنه مستيقظ.. هكذا ولهذه الدرجة سيطرت عليه الفكرة!

قام من ســريره وتوضأ وصلــى ركعتين خفيفتين، ثم دعــا: يارب أنت تقول: «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنا ظني بك أنك ستحقق طلبي وستجمعني مع الدكتور نبيل هذا الأسبوع لأعرف ولو جزءًا من سر أرض الرملية!

شعر رافي بالراحة بعد هذا الجهد الكبير الذي فعله، ولم يكن يدري أن ما فعلـه تدريب لتحريك قواه الخفية أكثر وأكثـر، ولم يكن يدري أيضًا أن الكون يســتجيب ويتفاعل مع هؤلاء الذين يغوصون في أعماق أنفسهم، ثم يحلمون أحلامًا كبيرة يعيشون بها ويصرون عليها، فليس الحلم ما تراه في نومك، ولكن الحلم الذي يمنعك من النوم.

ولـم يكن يـدري أيضًا أن الله يســتجيب دائمًا وأبدًا للأحــلام والأمنيات الصادقـة، إذا اختلــط بهــا الصبر والإصــرار والتحدي. ففي صبــاح اليوم التالي وكالعادة، قام رافي عند الفجر يصلي ويستعد للذهاب إلى المزرعة. وكالعــادة أيضًــا كان أفــراد عائلــة عمــه يغطون فــي نوم عميـق، خاصة أحمــد الذي تحولــت الفطائر التــي التهمهــا بالأمس إلى ســيمفونيات من الشــخير المتواصل، فكان يدفع الهواء دفعًا مــن أعماق بطنه وكأنه يعزف ساكسفون [RB] في فرق الجاز (Jazz) العالمية.

نزل رافي بســرعة على الســلالم إلى جراج البيت، ليصلح بدال دراجته وفي يده مفك كبير، ولكنه فجأة سمع صوتًا خارج الجراج.. إنه صوت عمه عباس خارج البيت أمام باب الجراج.

حدث رافي نفسه قائلًا:

- معقول؟! لماذا يستيقظ عمي مبكرًا هكذا؟!

اقترب رافي أكثر من باب الجراج ليسمع عمه ينادي:

- يا أحمد، يا ولد يا أحمد.. هل استيقظت أم مازلت نائمًا؟ انزل حالًا.

همس رافي:

- معقول أحمد يستيقظ في هذا الوقت؟! أكيد هناك شيء مهم!

رد أحمد من نافذة غرفته:

- حاضر سأنزل حالًا.. والله سأنزل.. يا رب الصبر يا رب..

صرخ عباس بمنتهى الغضب:

- أقسم بالله إذا لم تنزل حالًا ستحرم من الطعام، وسأتركك تنام جائعًا الليلة!

نـزل أحمد وهو يجري وينهج بشـدة، وحـزام بنطاله لـم يربطه بعد، وحذاؤه في يده.

عباس: اسـمع يا ولد.. هناك مجموعة من الخواجات سـيحضرون بعد ساعة ليعاينوا أرض الرملية ليأخذوا منها عينات، وهذه أول مرة يحضرون فيها وأنا عمدة البلد، وسيعطوننا مبلغًا محترمًا نجدد به السيارة، ولا بد أن نصل هناك قبل أن يصلوا حتى نكون في استقبالهم.

أحمد: وهكذا فجأة يحضرون في الصباح الباكر؟! هذا حرام!

عبـاس: اتصلوا بي في وقت متأخر من ليلة أمس، وأبلغوني حضورهم فجر اليوم.

أحمد: طيب.. والمطلوب مني؟

عبـاس: أنـت لا بد أن تحضر معي ويتعرفوا عليك؛ لأنك في المسـتقبل أنت الذي ستتعامل معهم.

كان أحمد يبحث عن أي حجة لكي لا يذهب قائلًا:

- لكن أنت قلت خواجات، وأنا أعرف عربي بالعافية!

عبـاس: لا تخف.. سـتتكلم بالعربية لأن معهم الدكتـور نبيل أبو العز، وهو الذي اتصل بي بالأمس.

عندما سمع رافي اســم الدكتور نبيل ارتعشت يداه، فسقط المفك الذي يصلح به دراجته من يده؛ فأحدث صوتًا قويًا داخل الجراج.

سمع عباس الصوت؛ فأخرج مسدسًا كان يخفيه في بنطاله وصرخ:

- من بالجراج؟ انطق قبل أن أضربك بالنار!

ارتعش رافي وصاح بصوت متردد:

- أنا.. أنا.. رافي..

عباس: افتح باب الجراج يا ولد.. اخرج فورًا!

حــاول رافي أن يفتح باب الجراج، لكنه كان يرتعش بشــدة، وغير قادر علــى التحكم في حركة يديــه أو قدميه، ليس خوفًا من عمه، ولكن من هول المفاجــأة. لقــد تمنى بالليل أن يقابــل الدكتور نبيل فلم يــأت الفجر حتى تحققــت الأمنيــة. لم يدرك رافي أنه يمتلك شــيئًا غير عــادي.. فقط أذهلته سرعة اســتجابة الله للأمنيات، ثم حاول رافي أن يتمالك نفسه أمام صراخ عمه القادم من خارج الجراج، ففتح الباب بصعوبة بالغة وجســده يتصبب عرقًا، فوجد عمه يقف مباشرة أمام الباب.

عبــاس: ماذا تفعــل في الجراج؟! أنت واقف تتصنــت على الأبواب مثل اللصوص؟!

رافي: لا.. أنا كنت أصلح العجلة لأستعد للذهاب إلى المزرعة.

نظــر عباس إلى رافي نظرة كلها غل، ثم ذهب إلى الســيارة ونادى ابنه أحمد ليركب بسرعة، فقال رافي بصوت عال:

- عمي.. ممكن أذهب معكم؟

عباس: أنت تذهب إلى المزرعة لتشتغل.. فاهم؟.. هيا يا ولد يا أحمد..

رافي: أرجوك يا عمي أذهب معكم..

بدأ عباس يوجه محاضرة في الأخلاق لرافي.. قال كلامًا كثيرًا لم يسمع رافي منه شيئًا؛ لأنه قرر في هذه اللحظة ألا يترك هذه الفرصة تضيع مهما كلفه الأمر من مخاطر. قال لنفســه: ســأذهب وأشاهد كل شيء.. لن أضيع هــذه الفرصة.. لا بــد أن أقابل الدكتور نبيل؛ فهو الوحيد الذي يعرف ســر الأرض.. لن يمنعني عمي، ولن أذهب إلى المزرعة، وليكن ما يكون!

اســتمر عباس في الصراخ، ورافي ينظر له ولا يســمعه؛ فقد كان يفكر فــي خطــة تمكنه أن يذهب إلــى أرض الرملية قبل أن يصــل عمه، ليختفي هناك داخل مزارع الذرة المطلة على أرض الرملية.. ظهرت بســرعة أمامه معالــم الخطة: «لا بد أن أصل قبله، وإلا سيكتشــف وجودي.. الحل الوحيد أن أركــب العجلة، وأقوم بمغامرة وســط المــزارع لأختصر الطريق الممهد للسيارة فأسبقه».

ركــب رافي الدراجــة وركب أحمد بجــوار أبيه في الســيارة، لكن رافي بســرعة وتلقائية فكر أن يكســب دقائق يعطل فيها عمــه؛ فنظر إلى أحمد وقال له:

- أحمــد.. أنا ذاهب إلى المزرعة، وتركت ســاندوتش داخل المطبخ لن آكله.. لو أحببت أن تأخذه ادخل وستجده هناك.

أحمد: آه والله بحبك يا رافي!

ثم التفت إلى والده عباس:

- أرجوك يا بابا.. ثانية واحدة..

نزل أحمد من السيارة، فهمس رافي في أذنه:

- أعتقد أنكما ستأخذان هناك وقتًا طويلًا، ولن يكفيك ساندويتش واحد.. أقترح عليك أن تعد لنفسك ساندوتشين أو أكثر.

هز أحمد رأسه شاكرًا لرافي، وجرى نحو المطبخ بينما انطلق رافي يطير بالدراجة. ومع أول شعاع لشروق الشمس مع نسمات الصبح الناعمة وقطرات الندى الرقيقة، انطلق رافي بسرعة جنونية يستجمع كل مهاراته في ركوب الدراجات ليصل إلى أرض الرملية قبل عمه.. لكن كيف وعمه أصلًا يقود سيارته بسرعة؟!

فكر رافي في كل طريقة تجعله يصل قبل عمه، حتى جاءته فكرة خطيرة!

قرر رافي أن الحل الوحيد هو القفز بالدراجة من فوق أكبر تل في القرية؛ لأن هذا سيختصر على الأقل ربع ساعة من الطريق.. وهذا سيكفي بالتأكيد لأن يسبق عمه، ولكن الخطورة كبيرة؛ فالتل مرتفع عن الأرض مسافة تصل إلى خمسة أمتار، والأرض تحته صلبة صخرية إلا من شريط رملي رفيع من رمال متماسكة، لا يزيد عرضه عن متر واحد بين الصخور، فيجب أن ينزل بدقة على هذا الشريط الرملي، وإلا أكيد إذا سقط على الأرض الصخرية فسوف تكسر ضلوعه أو ساقه أو يداه، أو على الأقل سوف تكسر الدراجة.. إنها مغامرة خطيرة لكنها ليست مستحيلة.

انطلق رافي يسابق الريح نحو التل وهو يتمتم: «فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين».

اختلطت مشاعر رافي وهو يقود الدراجة رغم خطورة المغامرة، فقد كان رافي سعيدًا بما يفعله لأنه كان يدرك أن الفرق بين الحلم والحقيقة كلمة من ثلاثة أحرف هي: «عمل». فحلم الأمس لن يتحقق اليوم إلا بعمل وحركة وجهد، وهو ما يفعله بالضبط، لكنه رغم ذلك كان بين خوف وأمل.. خوف من خطورة القفز بالدراجة من هذه المسافة الخطيرة، وأمل أن الله الذي حقق دعاءه بالأمس لن يخذله اليوم. بدأ رافي يقترب من التل، وزادت ضربات قلبه؛ فقرر أن يكرر ما فعله بالأمس من تركيز شديد. ودون أن يشعر وجد أن عقله يسيطر على جسده كله. لقد قرر عقله الباطن أن يتحكم في وظائف جسده بما في ذلك عضلاته وخلاياه، بحيث ينزل بالدراجة في المكان الذي يحدده عقله وليس جسده. لم يكن رافي يدرك للمرة الثانية أنه يستخرج قواه الخفية وقدراته غير العادية في أعلى مستوياتها. كان مندهشًا مما يحدث كأنه يشاهد إنسانًا غيره يفعل ذلك. لقد كانت قوة عقله الباطن دون أن يدري هو ذلك.

اقترب رافي من قمة التل وهو في قمة التركيز، وعينه على الشريط الرملي، وضغط بقوة على جادون الدراجة ليضمن تحكمه فيها، حتى وصل إلى القمة وأمامه المنحدر الرهيب.. في هذه اللحظة أرسل عقله الباطن إشارة إلى كل جسده: «أنا المتحكم فيك.. وأنا المسيطر عليك.. وأنا آمرك أن تطيعني وتهبط على الشريط الرملي الدقيق.. أنا آمرك أن تنفذ أمري».

أخذ رافي نفسًا عميقًا، ثم كتم نفسه وقفز بالدراجة في الهواء بشجاعة وثقة. وجد نفسه يطير في الهواء كأنه لاعب عالمي محترف في مسابقات ألعاب أكروبات الدراجات، وخرج جسده بعيدًا عن الدراجة. وبينما كانت يداه تمسك بالجادون بقوة، وكانت عيناه مركزة على الشريط الرملي،

فوجئ رافي بأن جسده كان في هذه اللحظة شديد المرونة، يتحرك يمينًا وشمالًا ليضبط هبوطه على الشريط الرملي، وكأن عقله يرسل إشارات لجسده ليهبط بسلام، كما ترسل أبراج المراقبة في المطارات إشارتها للطائرات لتهبط على ممر الهبوط. بعد لحظات وجد رافي نفسه يلمس الأرض.. لم يصدق نفسه في البداية.. لم يكن مصدقًا لعينيه.. نعم نعم لقد نزل بسلام.. صرخ بصوت عال:

- نجحت.. نجحت!

لم يكن رافي يقصد أنه نجح في الهبوط بسلام على الشريط الرملي، بل كان يقصد شيئًا أبعد من ذلك.. لقد نجح في تذوق طعم النجاح.. لقد كان شابًا عاديًا، لكنه الآن بدأ يتذوق طعم النجاح، ومن اليوم سيحلم طوال عمره أن يكرر هذه اللحظة الرائعة مرات عديدة في حياته.. لحظة تذوق طعم النجاح.. لكن رافي بعد نزوله استمر يقود الدراجة بسرعة رهيبة، وظل يقترب من أرض الرملية، لكنه كان في حالة دهشة شديدة.. ما هذا الذي يحدث له؟ ما هذه القوة الهائلة؟ لم يكن رافي يعرف اسمًا أو مسمى علميًا لما فعله. لم يكن يدري أنه «أيقظ قواه الخفية». كل ما حدث له هو اندهاش شديد، ثم وجد نفسه فجأة يتذكر والده، وأحس كأنه يهمس في أذنه: «وما بكم من نعمة فمن الله.. اشكر نعمة الله يا رافي»، فبدأ يتمتم: «الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله».

وصل رافي إلى الرملية قبل عمه، وبسرعة تحرك نحو مزارع الذرة المطلة على أرض الرملية. نزل عن الدراجة، ومسح عليها بحنان كأنها حيوان أليف وفي، ثم أخفاها بين الزرع، وخلع التيشرت الأزرق الذي كان يرتديه حتى لا يظهر لونه، وبقي بفانلته الداخلية ذات اللون الأصفر المشابه

للون الرمل وعيدان الذرة، وكمن وسط الذرة ينتظر حضور الدكتور نبيل الذي سيأخذه لأول خيط في السر الكبير.

وما هي إلا دقائق حتى جاء عمه عباس ونزل من السيارة ينظر حوله في الصحراء، كأنه يطمئن أنه أول من وصل. أما أحمد فظل نائمًا في السيارة، وما هي إلا دقائق أخرى حتى جاءت سيارة مرسيدس سوداء يقودها سائق أسمر اللون يبدو أنه من النوبة، ونزل من السيارة أربعة أشخاص كلهم من ذوي البشرة السمراء.. توقف 3 منهم وتقدم رجل متوسط الطول يميل إلى القصر قليل الجسم نحيف في وجهه سماحة وطيبة.. لم يصدق رافي ما تراه عيناه، فتسمر في مكانه يحدث نفسه: «غير معقول.. إنه الدكتور نبيل أبو العز ومعه ثلاثة، وهذه هي السيارة السوداء التي رأيتها ليلة أمس وأنا بين اليقظة والنوم!».

عباس: أهلًا أهلًا دكتور نبيل.. أطلت علينا الغيبة يا دكتور، لكننا شاهدناك في التليفزيون.. كنت منورًا.

د/ نبيل: أهلًا يا عباس.. صحيح من زمان أنا غائب عن بلدكم.. من أيام المرحوم مراد الله يرحمه.. كان رجلًا عظيمًا ومحترمًا.

ابتسم رافي في مكانه، وأُعجب بكلمات الدكتور نبيل عن أبيه، لكن عباس رد بصوت فيه ضيق:

- الله يرحمه!

د/ نبيل: ندخل في الشغل.

عباس: ألا تعرفنا أولًا على الخواجات؟

اختلطت كلمات عباس بصوت شخير أحمد القادم من السيارة!

د/ نبيل: بروفيسور جامشيد بهير خبير في علوم الجيولوجيا والأستاذ في جامعة دلهي.

رد عباس ببلاهة:

- ما هي الجالوليا هذه؟ لا توجد مشـكلة.. هم يسمونها عندهم جالوليا ونحن نسـميها كابوريا.. وكله فواكه البحر.. المهم نقبض النقود في النهاية..

ضحك عباس، فشعر الدكتور نبيل بالإحراج، فنظر لعباس بحدة:

- سلم على البروفيسور جامشيد يا عباس!

رفع الدكتور جامشيد قبعته وسلم على عباس، ثم انطلق هو ومساعدوه لمعاينة الرمال باهتمام بالغ، ومعهم بعض المعدات غريبة الشكل يجرونها بعجل لأنها ثقيلة.. دقق رافي في شكلها متعجبًا، لكن ما أثار عجبه أكثر هو الذي ارتداه الدكتور جامشـيد ومساعدوه عندما بدءوا في تشغيل الأجهزة.. لقـد ارتدوا ملابس تشـبه ملابـس رواد الفضاء، وارتـدوا أقنعة تغطي كل وجوههم، حتى أيديهم لبسـوا فيها قفازات كأنهم يتعاملون مع مواد مشعة أو معادن خطرة.. كان رافي يراقب كل ذلك بتركيز شديد.

لاحظ رافي أن الدكتور جامشيد في يده عكاز، ويمشي بصعوبة مستندًا على أحد مسـاعديه. رافي شـعر أنه يعرف هذا الشخص وأنه رآه من قبل.. معقـول؟ هذا هو الرجل الـذي ظهر في التليفزيون وقالـوا إنه فقد توازنه الجسدي الحركي بسبب غاز سام؟

كتم رافي أنفاسـه مـن قوة المفاجـآت المتتالية، ثم عـاود النظر لعمه عباس وهو يقف وحده مع الدكتور نبيل.

عبــاس: لماذا قدم هؤلاء الخواجات من الهند إلى هنا؟ ماذا يفعلون في هذه الأرض؟

د/ نبيــل: عندهــم مصانع.. جاءوا ليشــاهدوا أرضكــم ويأخدوا عينات جديدة غير التي أخذوها قبل ذلك.

عباس: المهم الدفع.

د/ نبيــل: اســمع يا عبــاس.. هؤلاء الناس ســيدفعون نقــودًا ويريدون أن يعملوا بشــكل قانونــي. هذه أول مرة يتعاملون معــك، وهم يريدون أن يطمئنوا أنك المســئول عن الأرض بعد أبيــك وأخيك، فهل معك ورق ملكية الأرض؟

عبــاس: نعم طبعًــا.. تفضل.. أنا أحضــرت أوراق الأرض معي حتى لا يتأخر دفع النقود لأي سبب.

نظر الدكتور نبيل في الورق وقال:

- ما هذا المكتوب في الورق؟

عباس: ماذا في الورق؟

د/ نبيــل: مكتــوب أن الأرض ملك عبــاس بركات.. اســم المالك عباس بــركات. هذا غير الورق الذي كان مــع أبيك وأخيك. كانت الأرض ملك ورثة بركات الكبير، وأبوك جعلها وقفًا لأهل القرية يوزع عليهم دخلها!

عبــاس: لا يوجد وقف، وهي ليســت تكية. أهل البلــد ليس لهم أي حق عنــدي. أما ورثــة المرحوم أبي وأخي مراد، فقد باعــوا نصيبهم في الأرض وأنا اشتريت ودفعت إليهم حقهم.

د/ نبيل: وأخوك مراد، أليس له ابن اسمه رافي؟

عباس: مات معه في الحادثة.. الله يرحم موتانا جميعًا!

وضع رافي يده على فمه يكتم الصرخة.. يكتم دموعه التي صارت تسيل على خده، كان لا يشعر بها، لكنه تمالك نفسه ليسمع المزيد.

رد الدكتور نبيل بقرف شديد:

- أنت تكذب.. عمومًا خذ هذا الظرف ثمن العينات التي سيأخذونها اليوم!

عباس: كم المبلغ الموجود في هذا الظرف؟

د/ نبيل: 50,000 جنيه.

عباس: ماذا؟ كم؟ 50,000 فقط؟ لا طبعًا.. لا!

د/ نبيل: هذا أكثر مما كانوا يدفعونه لأبيك وأخيك!

عباس: أبي وأخي كانوا أناسًا طيبين، لكن أنا لا أقبل أن تأكلوا حقي هكذا.

د/ نبيل: أولًا لست أنا الذي يدفع.. أنا رجل خبير في شغلي آخذ عليه مرتبًا، والذي يدفع لي ولك وحتى لهذا الدكتور الهندي هي الشركات التي تأخذ هذه الرمال، وثانيًا هم يأخذون عينات بكميات ليست كبيرة من أجل أن يحللوها لا أكثر ولا أقل.

عباس: أنا لا يهمني كل هذا الكلام.

د/ نبيل: اشكر ربنا أنك تأخذ هذه الفلوس.. لو كان أبوك بركات الكبير حيًّا أو أخوك مراد والله في سماه ما كانوا باعوا ولا حبة رملة إلا بحقها.

عباس: ما هو حقها؟

د/ نبيل: أنت جاهل لن يفيدك أن تعرف.. خسارة.. فعلًا خسارة.

عباس: أي خسارة؟

د/ نبيـل: خسـارة أن يقـف الإنسـان علـى أرض ولا يعـرف قيمتها، والخسارة الأكبر أن يعيش بلا حلم يتسول من الناس وبين يديه كنز كبير.

عباس: أي حلم؟ وأي كنز؟

د/ نبيـل: مراد أخوك الله يرحمه كان عنده حلم أن يعلم كل أبناء البلد؛ حتى يقدروا نعمة وحق هذه الأرض.

رد عباس بصوت منخفض:

- ولذلك لن أتركهم يتعلمون ثم يطالبونني بحقوقهم.

د/ نبيل: أول مرة أرى نصابًا وندلًا في عائلة بركات!

عباس: ماذا تقول؟

د/ نبيل: أقول إن هذه البلد كان فيها رجل اسمه مراد بركات، كان يريد منـع بيع حبة رملة من هذه الأرض إلا بعد أن يفتح مدرسـة يعلم فيها أهل بلـده، ويعرف لماذا تبـاع هذه الرمال بهذا الاهتمام. لـو كان حيًّا لكنت قد وضعت يدي في يده حتى نعرف سر هذه الرملة، لكن..

عبـاس: ولو أنـت بكل هذا الوفاء لمـراد، فلماذا مازلـت تعمل مع هذه الشركات؟

د/ نبيـل: والله لولا أن أخـاك مراد هو الذي طلب مني ذلك ليكون لدينا فرصة أن نعرف كيف يخططون، ما بقيت هناك ولا يومًا واحدًا.

شعر رافي أنه يريد أن يخرج من مكانه ليقول أنا ابن مراد بركات، ضع يدك في يدي، ساعدني لنصل إلى سر هذه الرمال.

عباس: يا عم ضع يدك في جيبك وأعطني 10,000 جنيه أخرى.

د/ نبيل: قل لي يا عباس.. هل المبالغ التي تأخذها مني توزعها على أهل البلد مثل ما كان يفعل أبوك وأخوك؟ أم تأكلها وحدك؟!

عباس: يا دكتور لا تتدخل فيما لا يعنيك.. لو انتهيت من شغلك توكل على الله وارجع لعيالك.

د/ نبيل: حاضر يا عباس، لكن تذكر أني لو سكت أنا فهناك رجل اسمه الأستاذ شهاب فهمي مدير مركز المهارات غير العادية، صديق أخيك مراد الله يرحمه، والذي كانت كل أسرار أخيك مراد معه. وقد أوصاك مراد قبل أن يموت أن توصل ابنه رافي به، وبعد وفاة مراد جاءك الأستاذ شهاب وأنت طردته من بيتك ومن البلد كلها.

عباس بغضب واضطراب شديد:

- كفاية.. اسكت.. أنت تجاوزت حدودك.. مع السلامة.. ألم تنتهوا من عملكم؟ إذن تفضلوا!

أثناء ذلك كانت هناك سيارتان نصف نقل (Lorry) قد وصلتا إلى أرض الرملية لنقل كميات من الرمال.. فلما انتهوا من عملهم مضى الدكتور نبيل ومن معه، وظل عباس واقفًا حتى غادرت سيارتهم واختفت ثم ركب سيارته ورحل.

- 2 -

بقي رافي وحيدًا وسـط المزارع، ووجد دموعه تسيل وهو لا يشعر بها، وأخذ يضغط بأصابعه بقوة على عيدان الذرة، حتى كادت تتكسر في يديه وهو يرى السيارات نصف النقل تحمل رمال أرض بلده إلى حيث لا يدري، وخرج من مزارع الذرة ووقف ونادى وهو يبكي أمام أرض الرملية:

- لا تمـش يا دكتور نبيل أرجوك انتظر.. أنـا لم أمت.. أنا ابن صديقك مراد أرجوك لا ترحل.. سـاعدني لأعرف سر أرض الرملية، فأنت أول خيط للسر الكبير..

ثم هدأ وسـكن فتحركت في رأسـه فكرة.. لا، هناك خيط آخر.. الأستاذ شـهاب.. أبي لم يحدثني عنه أبدًا.. لا بد أن أصل للاثنين.. حلم أبي وجدي وحلم القرية كلها لن يضيع.. لن يضيع.. لن يضيع!

ركب رافي دراجته لا يدري أين هو ذاهب.. نسي تمامًا أنه من المفروض أن يذهب إلى المزرعة. لقد كان يتحرك بالدراجة بلا وعي وبلا اتجاه، يشعر أن رأسـه سـينفجر من هول ما رأى وسـمع. يشـعر أنه عندما أمسك أول خيط لمعرفة سر أرض الرملية زادت الأمور صعوبة، وزادت الألغاز وزادت الأسرار.

ما زال يسـير بالدراجة يلفح وجهه الهواء وهو لا يشـعر.. فقط يسـمع أصواتًـا عاليـة.. عاليـة وكأنه أمـام فلاش باك لـكل الكلمات الأساسـية.. أصوات.. أصوات.. أصوات.

صوت أبيه: يا رافي، الوحيد الذي ساعد جدك لمعرفة سر الأرض هو الدكتور نبيل.

صوت عمه: هذه الأرض ملكي أنا وحدي.. اشتريت نصيب العائلة.

صوت بهلول: ماتوا الأبطال وفضلوا الأندال ياكلوا حقوق العيال.

صوت أبيه: يا رافي، احلم واقرأ وابحث لتصل إلى الحقيقة.

صوت د/ نبيل: الله يرحمه مراد.. كان يرفض بيع أي حبة رملة من الأرض حتى يتعلم أهل البلد.

صوت المذيع: ما هو سر لعنة الفراعنة؟

صوت بهلول: جرح في جبين الولد يصحي نوم البلد.

صوت د/ نبيل: الأستاذ شهاب كان صديق أخيك مراد ومعه كل أسراره.

صوت أبيه: يا رافي انظر إلى السماء.. اجعل سقف حلمك السماء.

لم يتحمل رافي أكثر من ذلك، فوجد نفسه يصرخ وهو يقود العجلة: «كل شيء في هذه الدنيا صعب.. أنا تعبت.. تعبت!».

لكنه فجأة وجد نفسه أمام مسجد القرية، فألقى العجلة ودخل يجري يبحث عن الشيخ سالم أمام مسجد القرية.

رافي: لقد تعبت.. تعبت.. الموضوع كبير كبير.. أكبر مني بكثير!

الشيخ سالم: اهدأ يا ابني اهدأ.. ماذا بك يا رافي؟

رافي: الوصول إلى الحقيقة متعب، ومعرفة الحقيقة متعبة أكثر.. لماذا لم أكن مثل باقي الشباب أريح عقلي وأعيش في راحة؟

الشيخ سالم: يا رافي، أتظن أن السعادة في الراحة؟ أبدًا يا رافي.. الراحة أخت الملل، والملل أبو التعاسة.. نحن نقاوم صعوبات الحياة لكي نحصل على الراحة، فإذا تحقق لنا ما نريد أصبحت الراحة شيئًا لا يطاق.. جمال الحياة وسعادتها في حلم كبير تعيش له، وتجتهد وتعمل ليل نهار حتى تحققه.. يا رافي، إذا لم تزد شيئًا في الحياة كنت أنت زائدًا على الحياة.

رافي: لكن هناك آلاف من الشباب يعيشون في راحة بلا تحمل مسئوليات كبيرة مثلي أنا.

الشيخ سالم: هل تعرف آدم يا رافي؟

رافي: آدم من؟ أبو البشر؟

الشيخ سالم: نعم.

رافي: وما علاقة آدم بالموضوع؟

الشيخ سالم: أتدري لماذا خُلق؟

رافي: لحكمة أرادها الله.

الشيخ سالم: وما هي هذه الحكمة في رأيك؟

رافي: لا أدري!

الشيخ سالم: ليتحمل مسئولية إعمار الأرض وإصلاحها، لذلك قال الله للملائكة عندما خلق آدم: «إني جاعل في الأرض خليفة». والدين كله والقرآن كله هدفه أن يعرفك دورك ومهمتك كخليفة. وهذه المهمة تجعل لوجودك ولحياتك معنى وهدفًا.

رافي: لكنها مسئولية ثقيلة.

الشيخ سالم: بالعكس.. إنها دليل الحب يا رافي، فما اختاره دون غيره من الكائنات إلا لأنه يحبه أكثر من باقي الكائنات. يا رافي، علاقتنا مع الله قائمة على كلمة واحدة، هي الحب.

بدأ رافي يهدأ، فقال:

- هذا المعنى يجعل مهمة إصلاح الأرض لها طعم جميل لأنها مظللة بالحب.

الشيخ سالم: إنها مهمة تجعل علاقتك بالكون علاقة شخصية جدًّا.. وأنت فيها لست متفرجًا أو مجرد شخص على الهامش.. لا، أنت الطرف الذي جعله الله خليفة له على هذا الكون. ليس أمامك يا رافي إلا أن تثبت وجودك وتؤدي أمانتك في حدود المهمة التي وضعك الله أمامها. أدِّ مهمتك يا رافي!

رافي: أشكرك يا شيخ سالم أشكرك.. كنت أحتاج سماع هذا الكلام.. نعم أنا خلقت لمهمة، ومهمتي في الحياة أن أعرف سر أرض الرملية، وأسترد حقي وحق أهل بلدي في هذه الأرض.

الشيخ سالم: اكتبها يا رافي.. اكتب مهمتك لتظل تتذكرها دائمًا..

رد رافي بقوة:

- سأكتبها في قلبي.. سأكتبها على جبيني فوق هذا الجرح حتى لا أنساها أبدًا.

الشيخ سالم: لكن لا بد أن تعرف يا رافي أنك ستمر عليك لحظات صعبة، ستشعر فيها أن مهمتك ثقيلة بل مستحيلة، وأنك أضعف من أن

تحقـق النجـاح، فإذا شـعرت بذلك فأفضـل دواء لك أن تخـرج من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته.. هذا هو معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله».. فإن قوة البشر، الطاقات والإصلاح وكل أمنيات النجاح، لا تتحقق إلا بإمداد الله القوي العزيز.

رافي: يا رب أمددني بقوة من قوتك.

الشيخ سالم: وكيف ستبدأ يا رافي؟

رافي: لا بد أن أصل إلى الأستاذ شهاب فهمي وإلى الدكتور نبيل أبو العز.

حضن الشيخ سالم رافي وقال:

- منصور يا بني باذن الله!

خـرج رافي من المسـجد ليجد أمامـه بهلول المجنون، وقـد كان واقفًا على باب المسـجد يسـمع الحوار.. ظل بهلول يدور حول رافي في حركات بهلوانية ويقول بصوت عال:

- الإنسان بدون مهمة.. حاجة تشبه الغوريلا!

الإنسان بدون مهمة.. حاجة تشبه الغوريلا!

ثم ذهب إلى مجموعة من شباب القرية يجلسون على مقعد أمام المسجد يشربون الشيشة، ووقف خلفهم وأخذ يشير إليهم ويقول:

- جرح في جبين الولد.. يصحي كسالى البلد!

ظل بهلول يضحك ويشـتمه الجالسـون على القهـوة، فيعود إلى رافي ثـم يعود إلى الشـباب على المقهى، وفي يده بخور يحركه فوق رؤوسـهم ويقول:

- بخرت الكسالى والعاجزين!

ضحك رافي وقال بصوت منخفض:

- والله ما أنا عارف أنت مجنون ولا عاقل!

لكن بعض شباب القرية تجمعوا حول بهلول يريدون البطش به، ووجد رافي نفسه يحول بينهم وبين بهلول الذي احتمى بالشيخ سالم وبرافي، وظل رافي والشيخ سالم يحاولون تهدئتهم حتى هدءوا قليلًا. أراد رافي أن يمتص غضبهم، فغير الموضوع وهو لا يدري أنه بذلك يضع يديه على جرح عميق.

رافي: لماذا تجلسون على المقهى في ذلك الوقت؟

أجاب أحد الشباب بيأس:

- لا يوجد شغل يا رافي.. أنا بلا عمل.

رافي: كان أبي يعلمني أن فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.

الشاب: ماذا تقصد؟

رافي: أقصد أنك يجب أن تبحث عن عمل في حرفة، فإن لم تجد ففي تجارة، فإن لم تجد ففي موهبة رزقك بها الله، فإن لم تجد ففي مشروع صغير، فإن لم تجد فتعلم شيئًا يحتاجه الناس، فإن لم تجد فسافر وابحث في أطراف بلدك أو خارج بلدك، فإن لم تجد.. وهكذا.. إنها بعدد أنفاس البشر.

الشيخ سالم: صدقت يا رافي، فكما أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس البشر، فكذلك فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.. تحركوا للرزق بدلًا من الاستسلام للفقر الذي يدمر الدنيا والدين.

أحد الشباب: يا شيخ سالم، الفقر نعمة، ويخفف الحساب يوم القيامة، ويكفر ذنوب الدنيا.

رد الشيخ سالم بغضب:

- خطأ.. كيف يكون الفقر نعمة والله يقول: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ»؟ الفقــر ذنب في حــد ذاته إذا رضيت واستســلمت لــه، والنبي يقول: «اللهــم إني أعوذ بك مــن الكفر والفقر». وهل مــن الممكن أن يكون الفقــر نعمة ويتعوذ منه النبي؟ وهل يتعوذ النبي إلا من شــر كبير؟ وانظــر كيف ربطه بالكفر، فــإذا ذهب الفقر إلى بلد قــال له الكفر: خذني معك.. الإسلام ضد الفقر!

أحد الشباب: تقصد أن الله يغضب علي إذا رضيت بفقري؟

الشــيخ ســالم: نعم يأثــم الفقير إذا رضــي بفقره واستســلم له ورآه خيرًا؛ لأن الإســلام لم يأت ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فقط، ولكن ليخرجهــم أيضًــا من الفقــر إلى الغنى. ألم يقــل الله لنبيــه الحبيب معددًا نعمــه عليه: «وَوَجَــدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى»؟ لذلك كل ما طلبــه الله من عباده هو العمل والســعي، ثم بشــرهم بالعطاء الجزيــل: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَــانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى».

شاب من الشباب: إذا كان الإسلام جاء ليخرج الناس من الفقر، فلماذا نحن فقراء؟

الشــيخ ســالم: المشــكلة فيكم أنتم، لأنكم رضيتم بالفقر واستسلمتم لــه، والله يقول: «هُــوَ الَّذِي جَعَــلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُــولًا فَامْشُــوا فِي مَنَاكِبِهَا

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ». أي كافحوا لترزقوا.. إنها شرط بشرط.. هو وعدكم بالرزق بشرط الكفاح من أجل الرزق.

شاب آخر: أنا فقير راض، ومتمسك بديني وبإيماني، وليست عندي مشكلة.

الشـيخ سـالم: يا بني، صوت المعدة أعلى من صـوت الضمير.. اخش على دينك وإيمانك من صوت معدتك.

شاب آخر: أنا زاهد في الدنيا، وراض بما قسم الله لي.

الشـيخ سـالم: من ليس معه مال، فلا زهد له؛ لأنه لا يملك شيئًا ليزهد فيه.. املك المال ثم ازهد كما تشـاء.. وهل أنت أفضل من رسـول الله الذي كان يسـأل الله الغنى ويقول: «اللهم إني أسـألك الهـدى والتقى والعفاف والغنى»، ودعا لخادمه أنس: «اللهم أكثر ماله»؟

شاب آخر: أنا فقير وأبي فقير وجدي كان فقيرًا.. هذا قدري.

شاب آخر: وكيف لا أرضى بما قسمه الله لي وفقري من قدر الله؟

الشـيخ سـالم: وغناك لو اغتنيت من قدر الله.. المـرض من قدر الله، والعلاج من قدر الله، فالذي قدر المرض قدر العلاج.. لماذا لا تدفع قدر الله بقدر الله؟ ولماذا لا تفر من قدر الله إلى قدر الله؟[RB].

رافـي: أراكـم وكأن القيـود في أيديكـم وأرجلكم، بل فـي عقولكم، ثم تبحثون عن الحجج بألسنتكم.. ثم تتهمون الله لماذا أفقرنا.. بينما المشكلة عندكم أنتم في العجز والكسل.

الشـيخ سـالم: معك حق يا رافي، فعندما قال النبـي: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»، قال بعدها مباشرة: «وأعوذ بك من العجز والكسل»، وكأنه يكشف لنا أن مشكلة الفقر الحقيقية هي العجز والكسل.

رافي: صدق جدي.. فقر القادر على العمل عجز وكسل؛ لأن فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.

الشباب: فماذا تريدنا أن نفعل لنغير حالنا من فقر إلى غنى؟

ابتسم الشيخ سالم وقال:

- لكل داء دواء، فالذي خلق الداء خلق الدواء.. والدواء هو العمل ثم العمل ثم التوكل على الله، وعندها ستجد أن فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.

نظر رافي فجأة في ساعته، فإذا النهار قد انتصف وهو لم يذهب إلى المزرعة حتى الآن، وقد يصل عمه قبله، ولن يجد مبررًا يخبره به أين كان طوال النهار!

لم يجد أمامه إلا الإسراع إلى المزرعة، فركب دراجته مرة أخرى وطار إلى المزرعة، ومن حسن حظه أنه وصل قبل عمه، وظل يعمل باجتهاد طوال اليوم حتى غروب الشمس، ولكنه لم يكن يدري أنه على موعد مع موقف يكشف أكثر وأكثر أنه يمتلك قدرات غير عادية بكل مقاييس البشر.. فقد جاء الليل وأظلمت المزرعة تمامًا إلا من ضوء القمر، وتفرق عمال المزرعة يستعدون للرحيل إلى منازلهم، ولم يتبق إلا العمال الذين يبيتون في المزرعة، وهم ثلاثة عمال يحرسون المزرعة في الليل.. ظل رافي يعمل ينتظر حضور عمه، ولكنه فجأة سمع مع العمال الثلاثة أصوات صياح وصراخ عالية صدرت من النعاج التي يربونها في حظيرة في الطرف البعيد من المزرعة، فصرخ أحد العمال: «أكيد ذئب»! وتأكد الآخرون من كلام زميلهما عندما سمعا عويل ذئب مخيف صوته؛ فجرى الثلاثة بسرعة إلى الحجرة التي يبيتون بها لإحضار عصا وشعلة نار لإخافة الذئب، ولإدراك ما

تبقى من نعاج. أما رافي فقد كان أعزل بلا أي أدوات يواجه بها الذئب، لكنه وجد نفسه يجري بسرعة تجاه حظيرة النعاج، وكلما زاد صياح النعاج وزاد عويل الذئب الجائع، جرى رافي أسرع وأسرع، حتى وصل في ظلمة الليل إلى الحظيرة التي نسيها العمال مفتوحة، وفجأة وجد نفسه أمام ذئب كبير يستعد ليهجم على فريسته. ووجد رافي النعاج خلفه وكأنها احتمت به ليحول بينها وبين الذئب.

كان رافي ينهج بشدة، وكان ضوء القمر مسلطًا على وجهه في مواجهة الذئب، لكنه قرر في ثوان أن يتمالك نفسه ويستجمع كل قواه في هذه المواجهة، فثبت في مكانه ونظر في عيون الذئب بقوة وبلا خوف.. مرت ثوان والذئب لا يتقدم خطوة؛ فزادت نظرة رافي قوة وتحديًا كادا يخترقان الذئب، وإذ بالذئب يخفض رأسه ويتوارى من نظرات رافي، وكأنه سارق مذنب يخشى النظر إلى عيني القاضي وقد قبض عليه.. لقد قهرته نظرات رافي وأدار الذئب وجهه واستدار إلى الخلف وبدأ يهرب ببطء من أمام رافي حتى اختفى. كان العمال قادمين من بعيد، وقد شاهدوا هذا المنظر المذهل.. أما رافي فلم يدر بنفسه إلا وهو يسجد لله شكرًا على كل هذه القدرة التي منحه إياها.

لقد آمن رافي بشكل عملي في ذلك اليوم أن عقل الإنسان الذي أبدعه الله قادر أن يفعل ما وراء الخيال، وأننا نعطل هذا العقل عندما لا نستخدمه أصلًا، أو عندما نحصر استخدامه في أشياء تقليدية محدودة، أو عندما نتوقف عن تنميته بالقراءة والحلم والعمل والاجتهاد.. وهل تميز رافي عن باقي الشباب إلا بأن له قدرات وهبها له الله كما وهب غيره من الشباب مواهب أخرى؟ غير أن رافي أحب القراءة والبحث واجتهد حتى صار له

حلم يريــد تحقيقه ويغامر من أجله، فبدأت قدراتــه تظهر وتتجلى.. بينما رضي باقي الشـباب بالكســل فظلــت قدراتهم ومواهبهم مخبــوءة في بئر عميقة داخل نفوســهم، حتى ماتوا وماتت معهــم مواهبهم التي وهبهم الله إياها. وهل الكسل إلا موت قبل الموت؟ وهل النجاح في الحياة إلا واحد في المائة عبقرية وذكاء وإلهام، بينما 99 في المائة عرق وبحث واجتهاد؟

كان الوقــت قد تأخر ولم يحضر عبــاس؛ فقرر رافي أن يعود إلى البيت بعــد هذا اليوم الطويل، وما إن وصل إلى البيت حتى ســمع صوت عمه من داخل البيت يشتم ابنه أحمد.

عباس: كنت نائمًــا يا غبي، هل تظن أني أخذتك معي لتنام أم لتتعرف على الخواجات؟

أحمد: ماذا أفعل؟ كنت جائعًا ومتعبًا.

لطــم عباس أحمد لطمة بيده الغليظة على وجهه، وعاقبه بأســوأ عقوبة يمكن أن يعاقبه بها:

- أنت محروم من العشاء الليلة!

دخل رافي في هذه اللحظة.

عباس: أين كنت؟

رافي: كنت في المزرعة.

عباس: أنت كاذب، أنا ســألت عليك في المزرعــة اليوم في الصباح ولم تكن هناك.

سكت رافي ولم يرد، وكرر عباس السؤال ورافي صامت؛ فهو لا يريد أن يكذب، وإذا بعباس يلطمه على وجهه لطمة شديدة صرخ رافي من قسوتها.

وضع رافي يده على خده من شدة الألم، ونظر إلى عمه وقال بقوة:

- كنت في أرض الرملية.. أرض أبي وجدي وأرض البلد كلها.

كانت كلمات رافي مفاجأة للجميع؛ فتحول عباس إلى وحش مجنون يضرب رافي بكلتا يديه لكمات شديدة ويصرخ:

- اذهب من أمامي يا ولد.. محبوس في حجرتك أسبوعًا.. أنا سأربيك من أول وجديد.

جرى رافي إلى حجرته.. ألقى نفسه على السرير يبكي، وأخرج من تحت وسادته صورة لأبيه وأمه.. نظر إليها واحتضن الصورة وبكى أكثر، وأخذ يحدث أباه وأمه في الصورة ويقول: «ما عاد لي حضن بعد حضنكما.. محتاج لهذا الحضن».

دخل عليه أحمد وقال له برقة:

- لا تحزن يا رافي.. أنا أيضًا أخذت لطمة على وجهي.

ولأول مرة يكتشف رافي أن أحمد عنده أحاسيس رقيقة:

- بسيطة يا أحمد..

أحمد: بسيطة يا رافي. لكن وحياتك لو عندك سندوتش.. أصل أبي حرمني من العشاء الليلة.

وجد رافي نفسه يأخذ المخدة ويلقيها في وجه أحمد بغيظ شديد.

أحمد: يا عم بسيطة.. أنا أضحك معك حتى أخفف عنك.. اسمع هذه النكتة: مرة واحد غبي مسك قطعة ثلج وقال: أموت وأعرف بتنقط منين المية دي.

رافي: سـخيفة!

أحمد: فعلًا ســخيفة.. طب اسـمع هذه النكتة: مرة واحد مسئول كبير ذهــب يفتتح حمام ســباحة، مدير الحمــام قال له: هذا منــط 30 مترًا. قم اقفز يا مرزوق.. قفز مرزوق. وهذا منط 50 مترًا. قم اقفز يا إبراهيم.. قفز إبراهيــم. وهذا منــط 80 مترًا. قم اقفز يا علي.. قفز علي. فقال المســئول: رائع رائع. فقال مدير الحمام: ولسه كمان يا فندم لما نملاه مية.

ضحك رافي ونظر إلى أحمد كأنه يكتشفه من جديد:

- والله طلعت جدع يا أحمد!

- 3 -

بعد أسبوع من الحبس خرج رافي يوم الجمعة لصلاة الجمعة، وكالعادة ذهب لبيت أبيه بعد صلاة الجمعة، ودخل من الباب الخلفي، ودخل إلى حجرة المكتب ليختار كتابًا يقرؤه، ووقف أمام مكتبة أبيه ينظر إليها بفخر ويقول لنفسه: «لا شيء يصنع الإنسان مثل الكلمة المكتوبة، لذلك أول كلمة في القرآن هي اقرأ». ووقعت عينه بالمصادفة على كتاب بعنوان «**لعنة الفراعنة**».. فتحه رافي باهتمام فوجد في الصفحة الأولى إهداء لوالده من مؤلف الكتاب خبير الآثار الدكتور مخلص أبو الوفا، الذي كان الضيف الثاني للبرنامج الذي شاهده من قبل.

جلس رافي على كرسي مكتب والده، وبدأ يقلب صفحات الكتاب ليجد مفاجأة.. وجد في وسط الكتاب صفحة محددة بكارت عليه اسم مؤلف الكتاب ورقم هاتفه.

قرأ رافي الكارت: «د/ مخلص أبو الوفا - خبير الآثار المصرية القديمة».. لكن المفاجأة ليست في ذلك، ولكن في الصفحة التي ترك فيها والد رافي هذا الكارت، وجد رافي في هذه الصفحة 3 أسطر وضع والده تحتهم خطًا أحمر عريضًا، وكتب بخطه في الهامش بجوار هذه السطور: «مهم جدًا ويراجع مع الدكتور أبو الوفا».

رافي لم يقرأ الكتاب، لكنه قرأ هذه السطور الثلاثة.. مكتوب فيها:

«تعرضت عدة مناطق من صعيد مصر في عهد الملك سنفرو لمجموعة من النيازك[RB] سقطت من السماء، وهذه النيازك نزلت في عدة مناطق قرب القاهـرة وقرب أسـوان، وقد غيـرت كثيرًا من خواص الأراضـي التي نزلت فيهـا، وأوجدت معـادن نادرة لم تكن موجودة، ولـم توجد على وجه الكرة الأرضية بعد ذلك».

قـرأ رافي العبارة مرة واثنين، لكن ما الذي يجعل والده يكتب بجوارها: «مهم جدًّا ويراجع مع الدكتور أبو الوفا»؟

رافـي: آآه.. تعبـت من الأسـرار.. إذن لا بد أن أصل أيضًـا إلى الدكتور مخلص.

نظر رافـي لكارت الدكتور مخلص، وركز على رقـم الموبايل الموجود على الكارت وقال لنفسـه: «سأتصل به غدًا»، لكنه شجع نفسه وقال: «ولم الانتظار للغد؟ فلنبدأ من الآن».

أخرج الهاتف المحمول من جيبه واتصل برقم الدكتور أبو الوفا.

رافي: ممكن أكلم الدكتور مخلص أبو الوفا؟

د/ مخلص: نعم أنا مخلص.

رافي: أنا اسمي رافي.. يمكن حضرتك لا تعرفني، لكن أنا وجدت إهداء من حضرتك لوالدي على مقدمة كتابك **«لعنة الفراعنة»**.

رد الدكتور مخلص بتحفظ:

- أهلًا وسهلًا، لكن من هو والدك؟

رافي: والدي توفي عليه رحمة الله.. اسمه مراد بركات.

RB:www.RafiBarakat.com

تغيرت نبرة صوت الدكتور مخلص تمامًا من تحفظ إلى ترحيب شديد:

- أهلًا وسهلًا يا بني، أبوك كان صديقي وحبيبي.. أنا سعيد جدًّا باتصالك هذا. والله أنا مقصر في حقك، لكني والله حاولت الوصول إليك، لكن ظروف عمك لم تسمح لي أن أحضر لمقابلتك والاطمئنان عليك.

رافي: لا توجد مشكلة.. أريد أن ألتقي بك يا دكتور في أمر مهم.

د/ مخلص: سبحان الله.. أنت تتصل بي وأنا موجود الآن أمام هرم الملك سنفرو الفرعوني الموجود بقريتكم.. إذا كنت موجودًا بالقرية فيمكننا اللقاء الآن لو أحببت.

نظر رافي في ساعته فوجدها الثانية ظهرًا، فقرر أن يذهب فورًا للقاء الدكتور مخلص. ركب دراجته واتجه مسرعًا إلى هرم الملك سنفرو، وهناك وجد الدكتور مخلص في انتظاره.

أخذ رافي يتأمل ملامح الدكتور مخلص أبو الوفا، فهو رجل ممتلئ الجسم، سمين بعض الشيء، قد أحرقته شمس صعيد مصر وهو يبحث في الآثار فصار أسمر اللون. وهو في الخمسين من عمره.. من أهم معالم وجهه هذه النظارة السميكة التي تغطي معظم وجهه، أجعد الشعر غير مهتم بأناقته، ولعل التراب الذي اعتاد أن يغطي ملابسه جعله ينسى مسألة الأناقة على الأقل أثناء العمل.

حاول رافي أن يقرأ شخصية الدكتور مخلص من ملامح وجهه، وأحس بحاسته السادسة أن هذا الرجل يعشق البحث والآثار، لكنه يحمل نفسية الإنسان الخائف المبالغ في خوفه، فتعامل معه رافي على هذا الأساس.

د/ مخلص: أهـلًا أهـلًا يا رافي.. ما شاء الله! شاب كبير أكبر مما توقعتك!

رد رافي وهو يحمل في يده الكتاب:

- أهلا يا دكتور مخلص.. شرف لي أن أقابلك.

د/ مخلص: خير يا رافي.. أعتقد أن لديك شيئًا مهمًا.

فتح رافي كتاب **«لعنة الفراعنـة»** أمام الدكتور مخلص، وأشار إلى الثلاثة أسطر التي كتبها في كتابه، وأعطى الكتاب له ليقرأها.

د/ مخلص: صحيح.. فعلًا أنا ثابت لدي بأدلة علمية مؤكدة أن صحراء مصرالغربية والجنوبية كانت من أكثر الأماكن في العالم التي سقطت فيه نيازك منذ أكثر من 5000 سنة، أي في عهد المصريين القدماء.

قاطعه رافي:

- لكن ما هو النيزك أصلا؟!

د/ مخلص: النَّيزَك جسيم يوجد في النظام الشمسي، ويتكون من حطام الصخور، وقد يكون في حجم حبيبات الرمل الصغيرة أو في حجم صخرة كبيرة. وعندما يدخل النيزك الغلاف الجوي الخاص بكوكب الأرض، يعرف باسم الشهاب. أما إذا وصل النيزك إلى سطح الأرض، فإنه في هذه الحالة يعرف باسم الحجر النيزكي.

رافي: وهل سقطت هذه النيازك في بلدنا؟!

د/ مخلص: أظهرت دراسة علمية حديثة في جامعة مانشستر الإنجليزية أن حبات من الخرز وجدت في مقبرة مصرية قديمة عمرها 5 آلاف عام، صنعت من مادة الحديد النيزكي الموجودة فقط في الشهب

التـــي تضرب الأرض. اكتشــفت عام 1911 في مقبــرة «جِرزا» (Gerzeh) الفرعونية التـــي تبعد نـحو 60 كيلومترًا جنوبي القاهــرة.. وهذا يعني أنها سقطت في مناطق قريبة من بلدكم.

رافــي: لكن انظر يا دكتور.. انظــر ماذا كتب أبي بجوار كلماتك.. كتب: «مهم جدًّا يراجع د/ أبو الوفا»، وهذا ما استوقفني وجعلني أتصل بك.. لقد شعرت أن في الأمر سرًّا، أو أن أبي يريد أن يسألك عن شيء مهم.

د/ مخلــص: نعم بالفعل هناك شـــيء مهم وجديد كنــت أتكلم فيه مع والدك.

رافي: وما هو هذا الشيء المهم والجديد؟

د/ مخلص: الجديد أن هناك كنوزًا من آثار هذه النيازك، لا تقل أهمية، بل قد تزيد عن أهمية الآثار الفرعونية.

رافي: كيف هذا؟

د/ مخلص: في البداية ظن العلماء أن الكنز هو أحجار النيازك القادمة من خارج الكرة الأرضية والمستخدمة في الحلي والزينة، وظهرت عصابات لتهريب هذه الأحجار النادرة خارج مصر، وظهرت مواقع إلكترونية عالمية متخصصــة في عـرض وبيع هــذه الأحجار النــادرة[1]. لكــن النظرة لآثار النيازك تغيرت تمامًا من مجرد أحجار كريمة إلى شيء أكبر من ذلك بكثير عندما اكتشف العلماء أن هذه النيازك غيرت كثيرًا من خواص الأراضي التي نزلــت فيها، وأوجدت تركيبة معادن جديدة ونادرة، لها خواص تختلف عن خواص المعادن الموجودة في الكرة الأرضية.

---

(1) معلومات حقيقية.

رافي: وكيف اكتشفوا ذلك؟

د/ مخلص: لقد أخذ الباحثون عينات لدراسة هذه المعادن، وكشفوا عليها في مجاهر إلكترونية وبعض التحاليل الكيميائية، ونشروا النتائج التي توصلوا إليها في مجلة (Meteoritics & Planetary Science) المختصة بعلوم الكواكب والنيازك.

سكت الدكتور أبو الوفا ثم قال:

- لكنهم لم ينشروا كل شيء، ومازال البحث طويلًا ومستمرًا.

رافي: الآن فهمت.. إذن أرض الرملية هي إحدى هذه الأراضي التي بها أسرار النيازك التي غيرت خواص الأرض، وهؤلاء العلماء يحضرون من أجل ذلك.

فجأة تغير وجه الدكتور مخلص، ورجع خطوة إلى الخلف وتلفت حوله بعناية وقال:

- هيا يا رافي، لقد تأخرنا.. يجب الانصراف الآن، فأنا عندي موعد مهم.

رافي: لماذا يا دكتور فجأة هكذا؟ أريد أن أعرف المزيد عن سر أرض الرملية!

رد الدكتور مخلص بلغة حادة:

- اسمع يا رافي.. أنا رجل باحث في تاريخ مصر القديم، ينتهي دوري عند ذلك ولا أريد إلا هذا الدور.. أنت فاهم؟

رافي: أنا كل ما أريده أن أفهم سر أرض الرملية.. أرجوك هذا أمر مهم ليس لي فقط، ولكن لكل أهل هذه القرية!

د/ مخلص: وأنا قلت ما عندي، ولا تهمني أسرار قريتكم.. أنا رجل باحث وفقط فاهم.

رافي: أرجوك ممكن سؤال أخير؟

د/ مخلص: ماذا تريد؟

حاول رافي أن يستخدم عشق الدكتور مخلص للبحث؛ للحصول على مزيد من المعلومات، فسأله:

- هل سقطت نيازك على أرض الرملية؟ هذه مسألة علمية مهمة بالنسبة لي.

أثار رافي في الدكتور مخلص حبه للعلم، فأجاب:

- ما حدث في أرض الرملية ليس مجرد سقوط نيزك، هذا يسمى علميًّا «وابل شهبي»، بمعنى مجموعات ضخمة من النيازك المتتالية سقطت لفترة ممتدة من الوقت تصل لعدة دقائق، مثل وابل من قصف الطائرات الحربية لمكان محدد، ولكنه وابل من نيازك تقذفها السماء.

سكت الدكتور مخلص برهة، ثم أخرج من حقيبته صورة وقال:

- هذه صورة فوتوغرافية لمقطع من السماء أثناء وابل شهبي[1].

رافي: هذا مذهل! الآن عرفت أول جزء من الحقيقة.. أرضنا نزل عليها وابل شهبي من النيازك غيرت طبيعة أرض الرملية، لذلك اختلط فيها لون الرمال باللون الفضي النيزكي، فصارت أرضًا نادرة لها خواص نادرة،

(1) يمكن مطالعة صورة حقيقية لوابل شهبي في الموقع الإلكتروني.

وهـؤلاء العلماء جاءوا لذلك، ولا شـك أنهم توصلوا لأشـياء كبيـرة، وإلا لما كرروا الزيارات وحملوا معهم معدات ثقيلة، ولذلك حضر الدكتور جامشيد من الهند رغم المرض الذي أصابه.. لكن ما هو السـر الذي اكتشفوه؟ أكيد سـر خطير في خواص هذه الأرض.. الوحيد الذي يمكن أن يسـاعدني هو الدكتور نبيل أبو العز أو الأستاذ شهاب صديق أبي.

سكت رافي ثم نظر إلى الدكتور مخلص وقال له:

- وقد تساعدني أنت أيضًا.

كان الدكتـور مخلص أثناء كلمات رافي يتصبب عرقًا وينظر حوله، وقد فتح زر القميص ليتنفس بحرية وكأنه بدأ يختنق، وكان رافي يلاحظ ذلك، وبـدأ يتأكـد أن الدكتور مخلص لديـه المزيد من الأسـرار، وأنه خائف من شيء ما؛ فأراد رافي أن يضغط عليه ليحصل على المزيد من الأسرار.

- أنت تعرف مزيدًا من الأسـرار يا دكتور، ولا بد أن تخبرني بها.. هذا واجب عليك وأمانة علمية.

د/ مخلـص: أرجوك أنا رجـل باحث وفقط.. هذا الأمـر وراءه مخاطر وتحديـات لا أقـدر عليها. أنا أريـد أن أعيش وأربـي أولادي.. أنا لا أريد أن أموت، أنا لست مغامرًا مثل أبيك أو الدكتور نبيل أبو العز.

وبدأ الدكتور مخلص يعرق أكثر، وبدأ يعود إلى الخلف منصرفًا.

رافي: انتظر يا دكتور مخلص.. أرجوك انتظر!

د/ مخلص: لست الشـخص الذي يستطيع مساعدتك يا رافي.. الوحيد الذي يستطيع مساعدتك هو الأستاذ شهاب فهمي.. هو عنده كل أسرار أبيك،

لماذا تريد مني المزيد؟ دعني وشــأني، فعندك الأستاذ شهاب يساعدك.. أنا لا أقدر أن أساعدك.

جرى رافي ليكون في مواجهة الدكتور مخلص قائلًا:

- أنت تعرف الأستاذ شهاب فهمي وتعرف الدكتور نبيل أبو العز؟

د/ مخلص: نعم.. أبوك عرفني عليهم، أرجوك دعني وشأني.

أســرع الدكتور مخلص خطاه لينصرف بســرعة قبل مزيد من أســئلة رافــي، بينما بقي رافي ثابتًــا في مكانه لا يتحرك.. لا يــدري هل قربه هذا اللقاء من معرفة الســر أم أبعده أكثر؟ صحيح هو عرف بعض المعلومات من الدكتور مخلص، لكن سر هذه الأرض مازال بعيدًا، وخوف الدكتور زاد يقينه أن الأمر خطير، وأنه هو أيضًا سر في حد ذاته.

بدأ رافي يشعر أن مهمته ليست سهلة أبدًا، وأنه لا يمكن أن ينجح وحده، وأنــه يحتاج إلى صديق مخلص ذكــي يعتمد عليه، ويشــاركه في المهمة. باختصار أدرك أنه يحتاج إلى فريق عمل يساعده ويشاركه. فكر كثيرًا، فهو لــه أصدقاء كثيرون في البلد، وأصدقاء من أيام المدرســة، لكن كثير منهم لا يعتمــد عليهم، وبعضهم لا يتمتع بالــذكاء الكافي لمهمة كهذه، والبعض ممتــاز وذكي، لكنه لا يثق أن يأتمنهم على ما هــو مقدم عليه.. وفجأة قفز إلى ذهنه صديق قديم في المدرسة فيه كل المواصفات المطلوبة.. علي أبو الحســن من عائلة محترمة.. ذكي ويعتمد عليه، ســهل في التفاهم، هادئ، أخلاقه ممتازة. وهو أيضًا صديق لأحمد ابن عم رافي، مما سيسهل التواصل بينهما إذا منعه عمه مرة أخرى من الخروج.. وبالفعل ذهب رافي لبيت علي أبو الحسن.

رافي: عندي سـر يا علي، أريد أن أشاركك به، لكن بشرط أن تعدني أن تكتمه.

علي: طبعًا يا رافي.. أعدك أن أكتم سرك.

رافي: وتساعدني حتى لو واجهتنا مصاعب خطيرة؟

علي: وأساعدك مهما حصل.. أنا مثلك أعشق المغامرات.

حكى رافي لعلي كل شيء بالتفصيل، وعلي يسمع باهتمام شديد.

رافي: هذه هي كل القصة يا علي.

علي: والمطلوب يا رافي؟

رافي: نعرف سـر أرض الرملية، ونرجع حق أهل البلد في هذه الأرض، ونقاتل حتى نبني مدرسة في القرية.

علي: لكن قد تصطدم بعمك يا رافي.

رافي: أنا اسـمي رافي.. أصلح ولا أفسـد، وسـأكون مع عمي أخو أبي أيضًا رافي لكن بذكاء، لذلك أحتاج إليك لتفكر معي.

علي: فهمت.. إذن كيف سنبدأ؟!

رافي: عندنا 3 خطوات مهمة.. لا بد أولًا أن نصل للأستاذ شهاب فهمي صديق أبي، وبعد ذلك لا بد أن نصل إلى الدكتور نبيل أبو العز. أما الدكتور مخلص أبو الوفا فلن أتركه حتى أعرف ما الذي يخفيه عني.

علي: إذن خطوة البداية هي الوصول للأستاذ شهاب فهمي.

رافـي: نعـم.. أرجوك يا علي حاول أن تصل إلى الأسـتاذ شـهاب.. هو مدير مركز تنمية القدرات غير العادية.. لا بد أن نقابله في أسرع وقت.

علي: حاضر يا رافي.. سأبذل جهدي.

ثم فكر علي قليلًا:

- يا رافي، أعتقد أننا نحتاج إلى شخص ثالث معنا في هذه المهمة.

رد رافي بقلق:

- من يا علي؟.. هذا سر.. أنت وعدتني!

علي: لا تخف.. نحن نحتاج شخصًا مبدعًا في التكنولوجيا.. يعني عبقري تكنولوجيا؛ لأن موضوع الأرض الرملية له علاقة بالتكنولوجيا.

رافي: صحيح معك حق، لكن هل تضمن أحدًا فيه هذه المواصفات؟

علي: أنا عندي هذا الشخص.. أختي زها.

دخل علي ونادى زها.. هي في نفس عمر رافي. كانت تلبس نظارة، ومن الواضح أن ذلك من كثرة الجلوس أمام الكمبيوتر، كما يبدو عليها الذكاء الشديد.

علي: يا زها.. ما هي آخر الاختراعات العالمية؟

ابتسم علي وكأنه يريد أن يبهر رافي بإمكانيات أخته.

زها: الاختراعات كثيرة بلا نهاية.. المهم في أي شيء تريدون أن تستخدموها؟

رد علي بجدية:

- رافي يا زها يواجه عدة مشاكل، هناك أسرار وأشياء غير مفهومة، لكن الأخطر أنه أمام شخصيات كثيرة صعب التعامل معها.

ابتسمت زها قائلة:

- تعرف يا رافي، أنا بابا كان يعمل في دبي، فأحضر لي معه جهازًا عجيبًا جدًّا، وهو يعرف أني أحب التكنولوجيا.. فرغم أنه غال اشتراه لي.. أنا سأعطيه لك.

ذهبت زها وأتت بمكعب صغير في حجم اليد يشبه لعبة المكعب ذي الألوان.

رافي: هذا المكعب الخاص بلعبة ترتيب الألوان.

علي: لا لا.. هذا جهاز خطير ورهيب.

زها: هذا المكعب داخله جهاز حساس جدًّا، يلتقط الأشعة غير المرئية بشكل دقيق، لكني أخذته وفتحته من الداخل، وأضفت إليه سائلًا يشبه الزئبق لأطوره وأنا لا أدري إلى أي شيء سيتطور، لكن حب المغامرة والاستكشاف التكنولوجي الذي بداخلي دفعني إلى ذلك، ثم أعدت تركيبه فوجدت بالمصادفة أنه تطور بشكل خطير.. لقد أصبح يحدد مشاعر وصدق الناس، فلو جلست مع أحد يراوغ في الكلام أو يكذب عليك أو لا يحبك أو عمل فيك مقلبًا، فإن الجهاز وحده ينقلب على وجهه الآخر دون أن تلمسه.

رافي: يا سلام! سحر يعني أم شعوذة؟

ضحكت زها ثم قالت:

- لا لا.. هذا الجهاز أصبح يلتقط أي أشعة أو الذبذبات التي تصدر من قلب الإنسان عندما يكذب أو يكره أو يعمل مقلبًا؛ لأن الإنسان في هذه الحالة لا يكون طبيعيًّا، فتختلف دقات القلب، وهذا الجهاز يلتقط هذه الذبذبات.

رافي: معقول؟!

زهـا: بابا لم يصدق أن هنـاك جهازًا هكذا، فعندمـا أخبرته أن الجهاز تطـور على يـدي صدفة أخذ يضحـك علينا ونحن نسـتخدمه، وقـال إننا مخرفون. وهكذا وللأسـف أحيانًا الكبار يقتلـون إبداعات أولادهم بدلًا من أن يشـجعوهم. لكننا جربنا الجهاز الأسبوع الماضـي.. كنا جالسين مع كل العائلـة، وطبعًـا كلنا يحب بعضنا بعضًا جـدًّا، وكان الجهاز يتقلب لوحده دون أن نحركه، فضحك أبي وقال: «ألم أقل لكم إنها تخاريف؟ فنحن عائلة متحابة، ومع ذلك فهذا الجهاز الأبله يتقلب».. لكن بابا لم يكن يعلم أن علي كان واضعًا لأخي الصغير خنفسـة بلاسـتيك في طبق الشوربة الخاص به لنفعل به مقلبًا.

ضحك رافي وقال:

- ألف شكر على الهدية يا زها.

علي: والآن إلى العمل.. علينا الوصول إلى سر الرملية.

رافـي: من الآن نحن أصدقاء وفريق عمـل واحد.. وأول هدف عندنا هو الوصول إلى الأستاذ شهاب فهمي مدير مركز تنمية المهارات غير العادية.

مركز تنمية القدرات غير العادية (DCGT)

– 1 –

في صباح اليوم التالي، وبينما رافي وعائلة عمه يتناولون طعام الإفطار دق جرس التليفون.. لم يتحرك أحد؛ فمن عادة العائلة أنه في وجود عباس لا يرد أحد على التليفون سواه.

عباس: ألو، من؟

صوت: أنا علي أبو الحسن.. ممكن أكلم رافي؟

عباس: علي أبو الحسن من؟

نظر رافي وأحمد كلاهما باهتمام!

علي: أنا صديق أحمد ورافي.

عباس: ومن تريد؟

علي: أريد أن أكلم رافي.

رد عباس بصوت صارم:

– رافي غير موجود.. أنت فاهم؟ ولا تتصل هنا مرة أخرى.

وأغلق التليفون في وجهه.. وضع الجميع وجهه في الطبق يأكل في صمت.

لـم يتعجب رافي من رد فعل عمه، فهو يعلم جيدًا أن عمه مازال غاضبًا من ذهابه إلى أرض الرملية واستماعه للحديث الذي تم هناك.

لقد بـدأ عباس يضيق على رافي الحركـة ولا يدعه يتحرك وحده، حتى المزرعـة لـم يعد رافـي يذهب إليها وحـده، لكن بصحبة عمـه أو بصحبة أحد مسـاعدي عمه.. وإذا تركـه وحده في المزرعة كلـف حارس المزرعة أن يراقـب رافي ويخبر عباس أولًا بأول بـكل تحركاته. حتى موبايل رافي سـحبه منه عمه ومنعه من استخدامه، لذلك صار تواصل رافي مع صديقه علي صعبًا للغاية.

بعـد عدة أيام، ومازال رافي محاصرًا من عمه بهذه الطريقة، عاد أحمد إلى البيت بعد نزهة مع أصدقاء له، بينما كانت أمه في المطبخ، وكان رافي جالسًا في زاوية من المنزل.

جلس أحمد على الطاولة يحكي لأمه:

لقد تعبت جدًّا اليوم.. اشتغلت مع أبي في المزرعة طوال النهار.

سعاد: وأين تناولت الغداء؟

أحمـد: اتصل بي علي أبو الحسـن صديقي وأصر علـى غير عادته أن يدعوني للغداء، وبعد أن أكلت حتى امتلأت أصر أن يعطيني كمية شيكولاته ملأ بها جيوبي.. أنا لا أفهم ما هذا الكرم الذي حل عليه فجأة!

انتبه رافي من جلسته، فقد أدرك أن هذه الشيكولاته تحمل رسالة له من علي أرسلها له من خلال أحمد.. حاول رافي أن يتأكد فذهب لأحمد.

رافي: ممكن قطعة شيكولاته؟

أحمد بتردد أعطاه واحدة، أخذها رافي على جنب ليفتحها، فإذا به يجد جملة مكتوبة على ورقة التغليف الداخلية للشـيكولاته: «حاول بأي طريقة أن تحضر معنا».

تأكد رافي أن هذه الجملة جزء من رسـالة أطول وزعها علي أبو الحسن على أكثر من ورقة شـيكولاته حتى لا يكتشـفها أحـد. وجلس يراقب أحمد وهو يلتهم الشـيكولاته واحدة تلو الأخرى، ثم يلقي ورق التغليف باستهتار في صندوق القمامة المجاور له.

فلمـا انتهـى أحمـد مـن أكل كل قطع الشـيكولاته، وبقـي رافي وحده بالمطبخ، أخرج كل الورق من صندوق القمامة، ووضعه بسـرعة في جيبه وجرى مسـرعًا إلى حجرته، وأخذ يفتح كل الأوراق ويضعها بجوار بعضها ليحل لغز الكلمات، وليعرف أي جملة تسبق الجمل الأخرى حتى وصل إلى نص الرسالة التي كانت كالتالي:

«أنا آسف على اتصال الأمس.. آسف إذا سببت لك أي حرج..
أنا عرفت مكان الأستاذ شهاب فهمي، وعرفت كيف نصل إليه.
هناك رحلة مدرسية بعد 3 أيام ولمدة أسبوع لمركز تنمية المهارات
غير العادية الذي يديره الأستاذ شهاب.
إنه مركز ليس له مثيل في العالم.. سأذهب أنا وأختي زها
إلى هذه الرحلة. حاول بأي طريقة أن تحضر معنا،
ستتعلم الكثير وسنلتقي بالأستاذ شهاب.
اطمئن كلنا سنساعدك.

الإمضاء/ علي وزها».

قرأ رافي الرسالة عدة مرات حتى استوعبها تمامًا، ثم مزق الورق ونزل بسـرعة إلى المطبخ، وتأكد أنه لا أحد يراه، وأعاد الورق في أسفل صندوق القمامة، ثم عاد إلى غرفته، وقرر أنه لا بد أن يذهب إلى هذه الرحلة لهدف واحد فقط، هو أن يلتقي بالأسـتاذ شهاب فهمي.. حدث رافي نفسه: «هذه الرحلة سـتكون فرصة العمر لأتعرف على الأستاذ شهاب لأعرف الحقيقة.. لكن مستحيل عمي يوافق.. أكيد سيرفض بدون مناقشة».

وبينما هو غارق في تفكيره إذا بعمه يفتح باب الغرفة. وبدون مقدمات وبلهجة لا تدع مجالًا للمناقشة قال:

- هناك شـيء مهم لا بد أن تسـتعد له.. طنط سلوى والدة طنط سعاد ستحضر بعد 3 أيام وستقيم عندنا لمدة أسبوع.

راجع رافي ذكرياته مع هذه السـيدة وقال لنفسه: «آآآه! أما يكفي ما أنا فيه؟ هذه السـيدة جاءت العام الماضي، ولـم يكن لها عمل إلا أن تنتقد أي تصرف أقوم به.. فقط تلومني على كل شـيء وعلى أي شيء، أما أحمد فله عندها كل الحب والهدايا والاهتمام».

ومهما نسي رافي فلن ينسى آخر يوم في زيارتها السابقة عندما وضعت نظارتها على المقعد المجاور لها وهي تأكل، وعندما حضر رافي ليشاركهم الطعام جلس دون قصد على المقعد فكسـرت نظارتهـا؛ فصبت عليه كمًّا فظيعًا من الإهانات والشـتائم.. ولم ترض أن تذهب حتى اتهمت عباس أنه يدلع رافي، وأنه محتاج إلى تربية طويلة.

راجع رافي هذا الشريط المؤلم من ذكرياته مع هذه السيدة، لكن عباس كان لا يزال واقفًا يكلم رافي.

عباس: أنت سمعتني أم سرحان؟! أقول لك ستبقى أسبوعًا، وأنت تعلم كم أزعجتها المرة الماضية.. هذه المرة ستترك لها حجرتك.

رد رافي في ضيق شديد:

- حاضر.. ولكن أنا أين سأنام؟

عباس: ستنام في غرفة أحمد.. لكن الأهم من هذا أنه لو صدر منك أي تصرف يغضبها سأضاعف من عقوبتك.. أنا غير مستعد أن أغضب سعاد.

رافي: لكن أحمد لن يتحملني في غرفته.

عباس: صحيح لكن ماذا نفعل؟

فكر رافي بسرعة ووجد أن هذه الزيارة قد تكون فرصة ممتازة ليجعل عمه يوافق على ذهابه إلى الرحلة، لذلك قال:

- لكن أنا عندي حل يريح الجميع.

عباس: وما هو؟

حاول رافي أن يختار كلماته بدقة، فقال:

- هناك رحلة مدرسية بعد 3 أيام ولمدة أسبوع.. وأريد موافقتك عليها.

عباس: طبعًا لا.

رافي: ولكني أخاف ألا أسيطر على تصرفاتي إذا بقيت أمام طنط سلوى أسبوعًا كاملًا، فتصدر مني أشياء تغضبها أكثر.

عباس: عندها سأضربك أمامها علقة ساخنة.

رافي: لكن وقتها ضربي لن يفيد؛ لأن طنط سلوى وطنط سعاد ستكونان قد غضبتا وانتهى الأمر.

بدأ عباس يفكر، لكنه شعر أنه مضطر أن يوافق على فكرة رافي:

- إذن تغادر أفضل.. اذهب إلى الرحلة.

ثم خرج بسرعة وأغلق الباب، فقفز رافي من مقعده وأخذ يرقص في الغرفة. بدأ فورًا في تحضير ملابسه وحقيبته للرحلة.. وبالطبع أخذ بطاريته وأخذ أيضًا كتابًا ليقرأه، ولم ينس المكعب الإلكتروني الذي أهدته له زها. لقد كان رافي في هذه اللحظات في شدة الفرح وفي شدة الحزن أيضًا.. كان في شدة الفرح لأنه أخيرًا سينفرد بالأستاذ شهاب ليعرف أسرارًا كثيرة، ولكنه كان أيضًا في شدة الحزن، فهذا عمه لم يهتم ولم يسأل أين هو ذاهب؟ ومع من؟ كان كل همه أن يخرجه من البيت ليرضي زوجته.

بعد 3 أيام وفي صباح اليوم المحدد للرحلة، وقد استعد رافي تمامًا وسلم على عائلة عمه، وأخذ حقيبته وتوجه نحو باب البيت ليغادر، إذا بجرس الباب يدق. فتح رافي الباب ليجد أمامه طنط سلوى. اصفر وجه رافي.. «ما الذي جاء بها الآن؟! قد تفسد كل ما خططت له.. لقد جاءت قبل موعدها بساعات، فقد كان يفترض أن تحضر وقت الظهيرة».

تسمر رافي أمام الباب وهي واقفة أمامه.. لم ينطق بشيء.. أذهلته المفاجأة، وكالعادة بادرته طنط سلوى بوابل من الانتقادات الشديدة:

- صحيح أنت ولد غير محترم.. ولا كلمة أهلًا ولا حمدًا لله على السلامة.. طبعًا تذكرت عملتك السوداء عندما كسرت نظارتي السنة الماضية!

ثـم دفعته ودخلت.. تجمعت العائلة على صوت طنط سـلوى، ليتبادلوا الترحيب والقبلات.. أما طنط سلوى فاستقبلت أحمد استقبالًا كله ود وحب، وأيضًا هدايا.. كل هذا ورافي واقف على الباب يحمل حقيبة السفر.

وإذا بعباس ينادي على رافي: ادخل واقفل الباب.

ارتبك رافي أكثر وذهب إلى عمه بهدوء وقال له:

- أنا خائف أن أفعل أي شيء خطأ يغضبها.

رد عباس بصوت منخفض:

- اضبط أخلاقك حتى طعام الغداء، ثم ارحل بعد الغداء.

رافي: إذن أريد موبايلي الذي سـحبته مني لأبلغ علي أبو الحسـن أني سأتأخر حتى ينتظروني.

عباس: أنت لم تقل لي إنك مسافر مع هذا الولد.

رافي: أنت لم تسألني يا عمي.

كان عباس ينظر إلى رافي بضيق، لكنه كان مضطرًا أن يقبل تصرفاته حتـى لا يحدث شـيء يغضب زوجته وحماته، فذهـب إلى حجرته وأحضر موبايل رافي وأعطاه له وكله غل وضيق، وقال له:

- حسابي معك عندما تعود.

جلـس الجميع على مائدة الطعام، أما رافي فقد جاءته فكرة.. لقد تذكر أن معه في حقيبته المكعب الإلكتروني فقال لنفسـه: «إذا كانت زها تدعي أن هذا المكعب به جهاز يكشـف الكلام الكاذب، والمشـاعر غير الصادقة، فلماذا لا أجربه الآن عمليًا على عائلة عمي؟!».

أخــرج رافي المكعب بهدوء ودون أن يشــعر به أحــد، ووضعه بجواره على المقعد، وأمســكه بيده حتى لا يقع علــى الأرض أو يحدث صوتًا. وبدأ الحوار داخل العائلة وبدأ رافي يكتشف جهازه ويكتشف العائلة أيضًا.

طنط سلوى: وحشتني يا أحمد (مازال المكعب ثابتًا).. كلكم وحشتوني (المكعب ينقلب على وجهه الآخر).

ابتســم رافــي، فقد بدأ يصــدق أن الجهاز فعلًا حقيقــي؛ فهو متأكد أن طنط سلوى لا تحبه.

ســعاد: أنا ســعيدة جدًّا أنك معنا يــا ماما.. ليتك تكرريــن زيارتك، فلا تكون مرة واحدة في السنة.. ولكن مرات ومرات.

كان عبــاس يأكل وهو صامت ولا يعقب على كلام زوجته، وإذ بســعاد تقول:

- أليس كذلك يا عباس؟!

عبــاس: طبعًا، طبعًــا كلنا نتمنــى أن تبقى حماتي عندنــا أطول فترة ممكنة (ينقلب الجهاز على وجهه الآخر).

ضحك رافي في نفســه: «عمي غير ســعيد بحماته.. فعلًا عنده حق هي لا تطاق».

استحى رافي من نفسه، فقال: «هي في النهاية ست طيبة وعلى نياتها» (انقلب الجهاز مرة أخرى).

نظرت طنط سلوى لعباس وقالت له:

- ما شاء الله.. أراك اشتريت سيارة جديدة يا عباس!

عبـاس: نعـم.. كان عندي قطعـة أرض ورثتها عن أبي وكسـبت منها قرشين، فبعتها واشتريت السيارة (انقلب الجهاز).

رافي (في نفسه): عمي يكذب.. هذه ليست أرضه.. هذه أرضي أنا أيضًا وأرض أهل البلد كلهم.

نظرت طنط سلوى إلى رافي وقالت له:

- أنت سرحان في أي شيء يا ولد؟!

رافي: لا، أنا لست سرحان (انقلب الجهاز).

بدأت طنط سـلوى توجه كلامها لعبـاس وهي تتحدث عن رافي بصوت عال:

- أنـا قلـت لك يا عباس.. هذا الولـد يحتاج اهتمامًا أكثـر بكثير منكم. (بقي المكعب ثابتًا لا يتحرك).

وجـد رافي نفسـه يقلـب المكعب بحركـة لا إرادية، ويقول في نفسـه بسخرية: «لا، لا أرجوكِ.. لا أريد اهتمامهم».

انتهـت العائلة من الغداء، وقامت طنط سـلوى إلـى حجرتها التي هي حجرة رافي أصلًا.. أما رافي فاسـتغل انشـغال الجميع ووضع الجهاز في حقيبة سـفره ونظر إلى عمه نظرة معناها أني سأغادر الآن، فهز له عباس رأسـه بالموافقة، فاتجه رافي إلى البـاب بهدوء ليبدأ أهم رحلة في حياته.. رحلة معرفة الأسرار.

- 2 -

لم يتخيل رافي أنه في رحلة إلى مركز عالمي على أرض مصرية.. مركز تكلف مليارات الجنيهات، وأنشأته 20 دولة من دول العالم بالتعاون مع الأمم المتحدة لتنمية القدرات غير العادية للشباب، ولذلك كان الاسم المختصر للمركز باللغة الإنجليزية (DCGT)[1]. ولم يتخيل رافي أيضًا أن هذه الرحلة سوف تكون السبب في إطلاق طاقاته الخفية.. إنها رحلة العمر.. رحلة سيكتشف فيها رافي نفسه وقدراته غير العادية.

في البداية ظهر كل شيء عاديًّا وطبيعيًّا، فعندما ذهب رافي لبيت علي أبو الحسن وجد علي وزها أخته في انتظاره، وركبوا جميعًا سيارة والد علي. لم يكن الوصول إلى المركز سهلًا باستخدام الطرق التقليدية كعلامات الطريق أو حتى الخرائط، ولكن من خلال جهاز تم تسليمه لكل مجموعة مشاركة في الرحلة. هذا الجهاز على شكل بوصلة إلكترونية مصممة خصيصًا للوصول إلى المركز من خلال إشارات صوتية يستقبلها الجهاز بصفة مستمرة من جهاز إرسال موجود بالمركز.. وكانت زها هي المسئولة عن إدارة هذا الجهاز، فكانت في حالة تركيز شديد وهي تمسك بيدها البوصلة الإلكترونية لتدل والدها على الطريق أولًا بأول.

تحركت السيارة بسرعة في طريق خلف هرم سنفرو، لتخرج من العمران إلى طريق أسفلتي دقيق وسط صحراء ممتدة لا نهاية لها. بينما ظل رافي

(1) Development Centre for the Gifted and Talented.

شـاردًا طوال الطريق حتى لم يسأل إلى أين نحن ذاهبون؟ ولم يتجاوب مع أسـئلة والد علي أو ضحكاته، فقط كان كل همه وخياله مع الأسـتاذ شهاب. كثير من الأسـئلة كانت تدور في ذهنه.. كيف سيسـتقبلني الأسـتاذ شهاب عندما يعرف أني ابن صديقه مراد؟! أكيد سـيفرح بي كثيرًا، بل ربما تدمع عيناه من الفرحة بي.. لكني سأواجهه بعتاب شديد.. لماذا لم يسأل عني كل هـذه المدة؟ ولماذا لم يحـاول حتى الاتصال بي؟! وهل كان خوفه من عمي لهذه الدرجة؟ ولماذا طرده عمي من البلد؟! هل لمجرد أنه صديق أبي؟!

كان رافي يحمل عشرات التساؤلات يكررها في عقله ليحفظها ويوجهها إلى الأستاذ شهاب دفعة واحدة.. وفي نفس الوقت كان لديه إحساس غريب أن كل لحظة سيقضيها مع الأستاذ شهاب ستزيد حنينه وإحساسه بالقرب من والده، وكأن لقاءه مع الأستاذ شهاب سيكون نوعًا من التواصل الروحي مـع والده مراد.. فأفضل صديـق للولد أبوه، فإن لم يكـن أبوه معه فليكن صديق أبيه، قال رافي لنفسـه: «أب واحد خيرٌ من ألف معلم. أما وقد مات الأب، فليكن الأستاذ شهاب بمنزلة الأب». فلما أجهدته الأفكار وطال الطريق راح في سبات عميق فنام طوال الطريق.

بعد سـاعة وصلت السـيارة إلى قلب الصحراء فـي «منطقة الواحات»، وهناك ظهرت لأول مرة علامات تشير إلى الوصول إلى المركز، لكنها أيضًا لم تكن علامات تقليدية، بل كانت وميضًا من نور يظهر أمام زجاج السيارة الأمامي، ثم يختفي وهو مكتوب عليه:

«هدئ السرعة؛ فأنت على موعد مع إيقاظ قواك الخفية».

كانت الفكرة مذهلة وجديدة عليهم جميعًا، وقد اكتشفوا بعد ذلك وجود دائرة كهربائية حول هذا المكان، تمكن من ظهور هذه الإشـارات الضوئية كلمـا دخلت سـيارة في حيـز هذه الدائـرة، حتى وصلوا إلـى أرض فضاء واسـعة مخصصة لاصطفاف السـيارات، وفوجئ والد علي وزها أن سرعة السـيارة تنخفض تدريجيًّا حتى توقفت تمامًا دون أن يتحكم هو فيها. لقد كان مسـئول الأمن بالمركز هو الذي يتحكم إلكترونيًّا في حركة السـيارات بمجرد وصولها المكان.

لم يفق رافي من نومته إلا وباب السيارة يُفتح، وعلي ينادي عليه:

- وصلنا يا رافي وصلنا.

نزل الجميع من السيارة ليجدوا في استقبالهم سيدة تبتسم لهم ابتسامة ترحيب، عرفوا فيما بعد أنها مدام ساشا من الصين، وأنها مسئولة الاستقبال بالمركز. تعرفت ساشا عليهم وأخذت أسماءهم، واعتذرت بلباقة لوالد علي وزها أنه لن يتمكن من دخول المركز؛ لأنه مخصص فقط للشباب تحت سن الخامسة والعشرين، لكنها سمحت له أن يأتي معهم إلى الاستراحة المطلة علـى بوابة الدخول، فهناك عدة إجراءات للشـباب قبل الدخول، ويمكنه أن يصاحبهم حتى الانتهاء منها.

بدأ الجميع التحرك في طريق حلزوني متعرج على ممشـى من الزجاج تحته بانوراما من أسـماك الزينة ذات الألوان الرائعة، لكنها تظهر وتختفي بشـكل مبرمـج إلكترونيًّا، وتتغيـر ألوانها وأشـكالها؛ فعرفوا أنها ليسـت أسماكًا حقيقية، ثم فجأة وبدون مقدمات بدأت ساشا الحوار:

- أهلًا بكم في الـ(DCGT).

زها: أنت تتكلمين العربية؟!

ساشـا: أنا أجيد أربع لغات منها العربية، وهذا كان أحد شـروط قبولي هنـا بالمركز، فالمتقدمون من كل بلاد العالم، وأنا معي فريق من 10 أفراد يجيدون معظم لغات العالم، لنستقبل الشباب المتقدم للمركز.

علي: وكم جنسية موجودة الآن في المركز؟

ساشا: المركز يستوعب 1000 شاب وفتاة، لكن لأننا في موسم الشتاء فالموجود الآن 500 فقط من 100 جنسـية مـن العالم، منهم من جاء على حسابه الشخصي، ومنهم من أرسلته بلده لأنه متميز.

نظر رافي إلى والد علي نظرة شـكر، فلقد أدرك من كلام ساشا أن والد علي هو الذي دفع له رسوم الالتحاق بالمركز، ورد عليه والد علي بابتسامة فيها حنان كبير، وكأن لغة عينه تقول لرافي: لا تشـعر بالحرج؛ فأنت مثل ابني!

بدأ علي يتعجل الخطوات:

- ومتى سـنصل إلـى بوابة المركـز؟ ولماذا هـذا الطريـق الحلزوني المتعرج؟

ساشـا: لو كان الطريق مسـتقيمًا لرأيتم بوابة المركـز من بعيد، لكنه حلزوني لتجدوا أنفسـكم فجـأة أمام تحفة معمارية رائعـة، لبوابة عالمية رائعـة الجمال، يأتي إليها مصورون من كل العالم فقط لتصويرها.. عمومًا نحن على بعد خطوة واحدة منها، هل أنتم مستعدون للمفاجأة؟

وقبـل أن ينطق أحد، انتهى الممر الزجاجي فجأة، ليجدوا أنفسـهم أمام بوابة هائلة عالية الارتفاع، لكنها ليسـت مصنوعة من طوب وإسمنت، ولكنها

بوابـة زجاجية رائعة الجمـال لا تظهر ما خلفها من معالم المركز، ومنقوش عليها رسومات رائعة من الفن العربي الأصيل، وكأن أجدادنا عادوا فنحتوها بأنفسـهم ثم ذهبوا.. لكن المثير والعجيب هي تلـك النافورة الموجودة أمام البوابة.. إنها نافورة هائلة عالية، تشبه في ارتفاعها نافورة جنيف بسويسرا ونافورة جدة بالسـعودية، لكن الجديد والمذهل أن الماء يرتفع عاليًا، لينزل وقد تشـكل في أشكال كائنات بحجمها الحقيقي.. فمرة ينزل الماء من أعلى النافـورة[1]، وقد تشـكل في شـكل دولفين بحجمه وألوانه، ومرة في شـكل مجموعة من أسماك القرش، ومرة ينزل الماء في شكل رائد فضاء، ومرة ينزل الماء في شـكل جملة حروفها مكتوبة على الماء بثـلاث لغات، مثل: «مرحبًا بكم.. من هنا تنطلق قواك الخفية، ومن هنا ينطلق إبداعك (DCGT).

كان رافـي وعلي وزها منبهريـن انبهارًا كبيرًا أعجزهم عن الكلام، لكن مدام ساشا لم تدعهم حتى زادت من انبهارهم وهي تقول:

تفضلوا من بوابة الاستراحة قبل دخول المركز.

فوجدوا أن باب الاستراحة يفتح على قدر جسم الشخص الذي يدخل منه، فتتغير فتحة الباب طولًا وعرضًا على حسب طول وعرض من يدخل منه[2].

ابتسمت مدام ساشا وهي ترى انبهار الجميع وقالت:

لا تتعجلـوا.. فالمركز ملـيء بعجائب التكنولوجيا مـن كل المخترعات العالميـة، لتحفزكم أنتم أيضًا على الإبـداع؛ فالإبداع ينتقل بالعدوى كما أن التقليد ينتقل أيضًا بالعدوى.

علي: أنا فعلًا أشعر بالغيرة لأبدع ولو ربع هذه الإبداعات..

---

(1) و (2) اختراعات حقيقية.

ابتسـمت ساشا ابتسامة رضا لكلام علي، فقد تحقق الهدف من الإبهار، وانتقلت عدوى حب الإبداع لعلي، لكنها فاجأت الجميع:

- والآن نبدأ الامتحان.

رد الجميع في صوت واحد:

- امتحان؟ أي امتحان؟!

مدام ساشا: اختبار الذكاء (IQ test).

زها: وما هو الـ (IQ) هذا؟

ساشا: اختبار الذكاء هو مجموعة من الأسئلة نستطيع من خلالها معرفة درجة ذكائك بشكل تقريبي. هذه الأسئلة مصممة بشكل علمي لمعرفة مختلف درجات الذكاء، لذلك ستجدون منها ما يبدو سهلًا وبسيطًا جدًّا بالنسبة لكم، ومنها ما سيبدو صعبًا.. يوجد في هذا الاختبار 50 سؤالًا متنوعًا[RB].

علي: ولماذا نقوم بهذا الاختبار الآن؟

ساشـا: لأننـا لا نقبل داخل المركـز أقل من درجـة 115 من المقياس العالمي للذكاء[RB].

ظهر على زها التوتر، فسألت ساشا:

- وماذا يحدث لمن لم يحصل على الدرجة المطلوبة؟

فأجابت ساشا بدون تردد:

- سنعتذر عدم قبوله بالمركز.

دخل الشـباب الثلاثة غرفة واسعة للاختبار، ليجدوا 3 شباب آخرين في مثل أعمارهم بالغرفة تعرفوا عليهم بسرعة.. فيصل من السعودية، وود من سوريا، وصافي من مصر.

RB:www.RafiBarakat.com

اختفت ابتسامة ساشا وأظهرت جدية واضحة قائلة:

- لا تستعمل قلمًا أو آلة حاسبة، حاول أن تحصل على الأجوبة من ذهنك فقط. الوقت الأقصى لحل هذه الأسئلة هو 45 دقيقة.

زها: أنا أشعر بالتوتر الشديد.. سأكون حزينة إذا اكتشفت أني لست ذكية، وبالتالي سأفشل في الحياة.

ساشا: غير صحيح يا زها.. درجة الذكاء ليست مقياسًا للنجاح في الحياة؛ فالكثير ممن يحملون درجات العبقرية في الذكاء لا يجدون طريقهم للنجاح بسبب عوامل نفسية أو اجتماعية. كما إننا نجد الكثير من الرجال الناجحين في الحياة والعلماء لا يزيد مقدار ذكائهم عن الحدود المتوسطة للذكاء. إذن هذا الاختبار ليس لتقدير درجة نجاحك، إنما هو فقط محاولة لمعرفة درجة الذكاء العامة .

رافي: فعلًا قال لي أبي يومًا إن الذكاء بدون جهد وعرق وتعلم مستمر = فشل ذريع.

بدأ الاختبار بأسئلة سهلة جدًا، مما أثار ضحك وسخرية صافي الذي ظهر من أول لحظة أنه شاب خفيف الظل طيب القلب، يثير جوًا من المرح والدعابة وسط المجموع؛ فكان دائمًا يعلق على الأسئلة بصوت عال رغم نظرات مدام ساشا الحادة له.

فكان أول سؤال: **ما هي الكلمة غير المنسجمة في هذه الكلمات؟**[1]

○	○	○	○	○
كمثرى	بطاطس	خوخ	تفاح	مانجو

(1) الأسئلة الموجودة بالقصة هي بالفعل أسئلة مختارة من اختبار (IQ).

صرخ صافي:

- بطاطس.. بطاااطس!

فلمـا كان السـؤال الثانــي: **كلمة دلو بالنسـبة لكلمة ولـد مثل 179 بالنسبة إلى:**

○	○	○	○	○	○
179	971	719	179	917	791

صافي: ما هذا السؤال السهل؟

ثم نظر حوله ليتأكد وقال:

- طبعًا 1971!

أما السؤال الثالث فكان:

اختر الكلمة الأكثر مناسبة لملء الفراغ في العبارة التالية:

حتى أكثر الورود _____ لديها أشواك.

(تفتحًا – جاذبية – انتشارًا – بشاعة – عزلة – ضررًا)

نظرت زها حولها وقالت: تفتحًا أم جاذبية؟!

ثم قالت: طبعًا جاذبية.

صافي: ما هذه الأسئلة السهلة؟ أريد أسئلة أصعب!

أما علي فلم يتردد ثواني عندما رأى هذا السؤال:

أربعــة عمال يســتطيعون بناء حائط خلال ســاعة واحــدة، كم من الوقت يلزم لخمسة من هؤلاء العمال كي يبنوا ذلك الحائط؟

○	○	○	○	○	○
48 دقيقة	45 دقيقة	55 دقيقة	75 دقيقة	50 دقيقة	40 دقيقة

علي: أكيد 55 دقيقة!

صافي: لماذا 55 دقيقة؟ هل أكيد 55 دقيقة؟

رافي: طبعًا غلط!

لكن الأسئلة زادت صعوبة أكثر وأكثر..

فـأران اثنــان يسـتطيعان أن يـأكلا قطعتي بسـكويت فــي خلال دقيقتين، كم فأرًا يلزم ليأكلوا 6 قطع بسكويت خلال فترة 6 دقائق؟

○	○	○	○	○	○
فأران اثنان	6 فئران	3 فئران	فأرًا واحدًا	12 فأرًا	4 فئران

لو كنا بعد ساعتين من الآن، لكان قد بقي من الوقت حتى منتصف الليل نصف ما كان قد بقي لو أننا كنا سـاعة واحدة بعد الآن، فما هي الساعة الآن؟

○	○	○	○	○	○
21:00	22:00	20:00	18:00	19:30	20:30

صافي: ما هذه الأسـئلة الصعبة؟! تذكرني بالفزورة التي تقول: قطار يمشي بسـرعة 60 كم في الساعة، فكم عصفور على الشجرة عندما تكون زجاجة المياه الغازية سعرها 75 قرشًا!

ضحك رافي وهو منهمك في الإجابة بلا تردد أو توقف.

توقف صافي تمامًا عن إجابة الأسئلة، وأخذ ينظر إلى رافي الذي مازال يجيب بحماسة، فألقى صافي القلم وقال باندهاش:

- مــن هذا الشــخص الغريب؟ شــيء مســتفز.. فهل أنا غبــي؟ ولا هو عبقري؟

بعد دقائق مرت كساعات، أعلنت مدام ساشا: انتهى الاختبار!

وأخذت الأوراق وانصرفت.

نظر صافي إلى رافي:

- هل حضرتك جاوبت كل الأسئلة؟

رافي: نعم.

صافي: كلها كلها؟

أجاب رافي بابتسامة الواثق:

- نعم.

صافي: يعني لو أنت عبقرينو فأنا ماذا أكون؟

رد علي وهو يضحك:

- بعقرينو..

ثم انتبه فقال:

- آسف آسف.. لم أستطع أن أكتم النكتة.

علق صافي بروحه النقية الشفافة:

- ولا يهمك يا صديقي.

نظر رافي إلى الأصدقاء الجدد قائلًا:

- أنا سعيد بالتعرف عليك يا صافي، وعليك يا فيصل، وعليك يا ود.

فيصل: أشعر أنها ستكون صداقة ممتدة لسنوات وسنوات.

ود: جميل أن بداية تعارفنا في مكان رائع يجمع الأذكياء من كل العالم.

نظر صافي حوله وقال:

- فعلًا هذا المكان يجمع الأذكياء من كل العالم.. مرة واحد غبي حب يعمل براءة اختراع، أحضر ضفدعة وقال لها: اقفزي فقفزت.. فقام بقطع إحدى أرجلها الأربعة وقال لها: اقفزي فقفزت.. فقطع رجلها الثانية وقال لها: اقفزي فقفزت.. ثم قطع الثالثة وقال لها: اقفزي فقفزت قفزة صغيرة.. فقطع الرجل الأخيرة وقال لها اقفزي: فلم تقفز.. فكتب ملحوظة: عند قطع أرجل الضفدعة الأربعة تفقد حاسة السمع.

بعد دقائق عادت ساشا لتقول:

- مبروك.. قبلتم جميعًا بالمركز.. كلكم درجات ذكائكم فوق 115 أي جيد جدًّا.. لكن صافي..

صافي: ماذا؟! صافي ماذا؟!

ابتسمت مدام ساشا وقالت له:

- ستنتظر معي قليلًا.

ثم نظرت إلى والد علي وزها وقالت له:

- يمكنك الانصراف الآن، واطمئن على الشباب.

ونظرت إلى رافي وعلي وزها وفيصل وود، وأشارت إلى باب المركز، وسلمتهم بطاقات ممغنطة يعلقونها في رقابهم ليدخلوا بها إلى المركز.

- 3 -

انطلق الشـباب بحماس كبير، ووقفوا أمام البوابة التي كانت أيضًا على مقدار جسم كل واحد منهم، ليجدوا أنفسهم داخل المركز.

كان مبنـى المركز مدهشًا للغاية، فهـو من طراز معمـاري لم يره أو حتـى يتخيله أحـد منهم من قبل، فهو مبنى زجاجـي ضخم من 5 طوابق، على شـكل كريستالة زجاجية شفافة لامعة مخروطية الشكل. وكان زجاج المبنى شفافًا للغاية، بحيث تستطيع أن ترى بوضوح حركة الأشخاص في الداخل، وكأن المبنى روح شفافة نقية ليس وراءها ما تريد إخفاءه.

أمـا أكثر ما لفت انتباه رافـي، فقد رأى في أعلى المبنـى تمثالًا معلقًا فـي الهواء، غيـر مثبت من أي جزء من أجزائه بـأي قاعدة تربطه بالمبنى. كان التمثال لشـاب يطير فـي الهواء، وكأن ذراعيه جناحـان يرفرف بهما فـي الفضاء، ويحمل في إحدى يديه مجسـمًا للكـرة الأرضية، ويحمل في اليـد الأخرى شـعلة نور مضـاءة. تعجب رافي ورفاقه بشـدة كيف أن هذا المجسـم معلق هكذا في الهواء وغير ممسـوك بشيء، لكن العجب زاد أكثر وأكثر عندما شـاهدوا في الفناء المحيـط بالمبنى أن كل المعدات والأجهزة الموجـودة بهـذا الفناء معلقـة أيضًا في الهـواء، حتى أجهـزة التليفونات الموجودة في الفناء لتواصل الشـباب مع أهلهم كانت تليفونات بلاستيكية الشكل، معلقة في الهواء دون وجود قاعدة تصلها بالأرض.

علي: ما هذا؟ أجهزة تليفونات طائرة؟!

رافـي: لا بـد أن هناك مجالًا مغناطيسـيًّا معينًا في هـذا المكان يعادل جاذبية الأرض، فتبقى الأشياء معلقة في الهواء[1].

علي: انظر يا رافي على يمين ويسار المبنى.. هذه اللوحات أيضًا معلقة.

بـدأ رافي يقلـب عينيه ليقرأ اللوحـات من أقصى يميـن المبنى إلى أقصى اليسار..

لوحة بعنوان: «قصة نجاحك في كلمتين: أنت قادر.. أنت تستطيع».

لوحة ثانية: «روح الإنسان القوي أوسع من الفضاء وأعمق من المحيط».

لوحة ثالثة: «الذي ينتصر هو الذي يؤمن بقدرته على الانتصار».

لوحـة رابعـة: «إذا اقتلعت الريـح كوخك، فاعلم أن اللـه يدعوك لتبني قصرًا».

لوحة خامسة: «ظلام الدنيا كلها عاجز عن إطفاء شمعة».

كانت كلها لوحات إيجابية تدفع الشباب دفعًا للتقدم والعمل بحماسة.

كان المكان مثل خلية النحل، مئات من الشباب والبنات ينتقلون بحرية فـي المكان، فمن الواضح أنهـم موجودون من عدة أيام وقـد اعتادوا على المكان.. يتحركون بسـرعة ورشاقة وحيوية كبيرة.. لاشك أن رافي أعجبته هذه الروح العالية، لكن ما أثار عجبه واهتمامه أكثر عندما تقدم إليهم أحد المسئولين بالمكان، وعرفهم بنفسه.. إنه شاب في أوائل العشرين من عمره اسمه «أوسكار».

(1) اختراع حقيقي.

أوسكار: أنا أوسكار من البرازيل، وأنا مسئول التكنولوجيا بالمركز. سأسلم كل واحد منكم جهاز الكمبيوتر الخاص به، وعليكم أن تضعوه في جيوبكم.

فوجئ الشـــباب أن الجهاز مثل موبايل صغير، يعلقه كل شباب المركز في جيوبهم.

علي: هل هذا جهاز كمبيوتر؟

أوسكار: نعم.

علي: وكيف نكتب عليه وهو في جيوبنا؟

أوســكار: أنت لن تكتب على الكمبيوتر.. أنت ســتكتب في الهواء ما تشــاء، وتضغط على هذا الزر بالجهاز الذي في جيبك ليخزنها، وعندما تحتاجها ستظهر مرة أخرى مكتوبة أيضًا في الهواء بنفس خطك أو مكتوبة على الكمبيوتر.

علي: أنا لا أصدق ما تقول!

أوســكار: انظــر كل هؤلاء الشــباب هناك أمامــك يكتبون فــي الهواء.. وعمومًا هيا نجرب.

بدأ الشباب يكتبون بأصابعهم في الهواء ما يريدون، ثم يضغطون على زر في الجهاز فتظهر الكتابة معلقة أمامهم في الهواء، مما جعلهم في غاية الدهشة، لكن رافي قلل من دهشتهم عندما قال لهم:

- أحيانًا ما نراه غريبًا ومســتحيل التصديق، يكون ســهلًا ومنطقيًا إذا قبلت عقولنا أن تخرج مــن الصندوق الصغير الذي اعتدنا أن نعيش فيــه. وأعتقد أن هذا هو هــدف المركز، فهو يبهر عقولنا لندرك أنه لا مســتحيل. ولكن لنتعلم معنى الآية: «وَمَــا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا»،

فليس هدف الآية تعجيزنا عن البحث والتعلم، ولكن لتحفزنا لمزيد من البحث لاكتشاف أسرار العلم.

علي: إذن فإن السؤال هو.. كيف يعمل هذا الكمبيوتر؟

أوسكار: هذا الجهاز يعتمد على دائرة كهربية موجودة في محيط المركز، تجعل الفضاء المحيط ممغنطًا لتكتب وتظهر الكتابة عليه[1].

وقف رافي لحظات مذهولًا فقط يشاهد هذا المكان العجيب.. لكنه بعد لحظات أفاق من دهشته، فهو لديه هدف أهم - في وجهة نظره - من هذا المكان بكل ما فيه من تطور وإبداع. لقد جاء لهدف محدد، ولا يريد أن تضيع الفرصة.. جاء للقاء الأستاذ شهاب فهمي.

في هذه اللحظات انطلق صوت أجش غليظ من وسط الفناء الواسع، ينادي بدون ميكروفون، لكن صدى صوته يملأ المكان بصورة أقوى من أي ميكروفون[RB]:

- على المشاركين الجدد التوجه بسرعة لمكتب مدير المركز الأستاذ شهاب فهمي بالدور الأول للتعرف على مهامهم.

حركت هذه الكلمات روح رافي بقوة.. إنه اللقاء المرتقب مع الأستاذ شهاب فهمي. نظر رافي حوله فلم يجد عليًا أو زهاء، فما زالوا منبهرين بالمركز؛ فانتهز الفرصة ليقابل الأستاذ شهاب وحده.

توجه رافي نحو المبنى وسط مئات الشباب، لكنه لم ير أحدًا منهم.. فقط ظهر أمامه شريط طويل من الذكريات.. قرية بطن النعمة وأرض الرملية وذكريات الطفولة والشوق لأبيه وأمه.. هاجت الذكريات في صدره ووجد نفسه يردد: «أحاول أن أنسى ذكرياتي.. أفكر في نسيانها؛ فأتذكرها أكثر».

---

(1) اختراع حقيقي.

صعـد رافي الدور الأول وقلبه يدق بشـدة، وشـعر وكأنه سـافر خارج الزمـان ليقابل الماضي الجميل.. وقف أمام مكتب الأسـتاذ شـهاب وطرق الباب. سـمع صوت الأستاذ شهاب من الداخل يناديه للدخول، فدخل ببطء كأنه يجر أقدامه. كان الأسـتاذ شـهاب مشـغولًا بأوراق أمامه، فظل رافي واقفًا يتأمل الأسـتاذ شـهاب. إنه رجل في أواخر الثلاثين من عمره، طويل، أسود الشـعر، أبيض الوجه، ذو ملامح مصرية.. ملامح وجهه تؤكد أن هذا الرجل شهم وأصيل.. هكذا قرأ رافي وجهه.

انتبه الأستاذ شهاب فقال:

- تفضل.. ما اسمك؟

رافي: أنا رافي.

أ/ شهاب: اسمك بالكامل يا رافي؟

رافي: رافي مراد بركات.

سقط القلم من يد الأستاذ شهاب، ثم قام بسرعة من على مكتبه:

- معقول؟! أنت رافي ابن مراد بركات؟!

رافي: نعم أنا هو.

أحس رافي بدفء عجيب.. أخيرًا سيصل لما يريد. اندفع الأستاذ شهاب نحو رافي وشده إليه وحضنه بقوة:

- ابن حبيبي.. ابن مراد بركات.. أنت كبرت يا رافي.. يا رافي آخر مرة رأيتك فيها كنت طفلًا صغيرًا.. صرت رجلًا!

رد رافي بشكل مباشر:

- عرفت أن أبي كان صديقًا لك، وأنه تكلم معك بخصوص أرض الرملية وبخصوصي وأشياء أخرى. قالوا إنك كنت كاتم أسرار أبي، لكن هناك سر أنا غير قادر على معرفته عن هذه الأرض، وأعتقد أن مفتاح هذا السر عندك.

أ/ شهاب: آه.. هو ليس سرًّا واحدًا.. هي أسرار كثيرة يا رافي.

رافي: وأنت تعرف كل الأسرار؟

نظر شهاب لأعلى كأنه يستدعي الذكريات:

- أعرف الكثير منها، لكن أيضًا هناك أشياء كثيرة لا أعرفها.

رافي: قل لي ما تعرفه الآن.. أرجوك.. أريد أن أفهم، وأستريح.

أ/ شهاب: الوقت غير مناسب الآن يا رافي.. المهم أننا تعرفنا على بعضنا.. أنا سعيد بك جدًّا يا رافي.

رافي: لماذا تغير الموضوع؟ أنا أريد أن أعرف الحقيقة!

أ/ شهاب: إن شاء الله.. بعدين بعدين.. المهم أني قابلتك.

رافي: ولماذا لم تحاول أن تقابلني من قبل؟! أنا أعرف أن عمي طردك عندما حاولت أن تقابلني بعد وفاة أبي.. وأنا آسف لذلك.. لكن لماذا لم تحاول مرة أخرى؟!

أ/ شهاب: الظروف كانت صعبة يا رافي.

رافي: لو كنت فعلًا صديقًا لأبي لكنت بحثت عني. أنا كنت وحيدًا تائهًا أبحث عن أي خيط لأصل لسر الأرض.. ولأرضي أبي في قبره.

كان الأستاذ شهاب يفتعل أنه مشغول في الأوراق التي أمامه، ثم التفت إلى رافي قائلًا:

- رافي لا بد أن تتعرف على مجموعة العمل الآن لتبدأ في التدريب.. هذا مركز رائع ستتعلم هنا أشياء نادرة في هذا العالم.

رافي: جئت إليك لأعرف الأسرار، فزادت الأسرار بك سرًّا جديدًا.

أ/ شهاب: أحيانًا يا رافي معرفة الأسرار تزيد قسوة الحياة ولا تخففها.

رافي: إذن نعيش عميان حتى لا نعرف الأسرار؟

أ/ شهاب: أتعبتني يا رافي.

رافي: أتعبتك ساعة وأنا تعبت ألف ساعة.

أ/ شهاب: رافي، أنا لا أريد أن أحملك فوق طاقتك.. هناك أشياء مستحيلة التحقيق في سنك هذا.

رافي: المستحيل شيء ممكن حتى تثبت استحالته.

ابتسم شهاب معجبًا برافي وضرب على كتفه:

- صحيح ابن أبيك..

لكن الأستاذ شهاب عاد ليتهرب مرة أخرى:

- ماذا تشرب يا رافي؟ كل العصائر هنا طازجة.. تحب أن تشرب عصير البرتقال؟

لم يرد رافي، واكتفى بالنظر إلى الأستاذ شهاب نظرة فيها خيبة أمل. شعر الأستاذ شهاب بالحرج، وحاول التخلص من الموقف، فاتصل في التليفون:

- أيـن باقــي المتقدمين الجـدد لنوزعهم علــى المجموعــات؟ أريد أن يحضروا بسرعة.

ظل رافي واقفًا مكانه، وقد بدا واضحًا أمامه أن الأســتاذ شهاب يتهرب من مواجهته. وفي هذه الأثناء دخل علي وزها وفيصل وود.

أ/ شهاب: أهلًا يا شــباب.. أنتم ستكونون مجموعة جديدة، وسأكون أنا المشــرف على مجموعتكــم. لكن تنبيه: لا بد أن تتعرفــوا جيدًا على بعضكم البعــض.. نحــن هنــا ندربكم في مجــال من مجاليــن: مجال القــدرات غير العادية، ومجال المهارات غير العادية.. فهناك أشخاص لديهم طاقات روحية وحاســة سادسة غير عادية، كما إن هناك أشخاصًا آخرين لديهم مواهب في التكنولوجيا ومجالات الإبداع الأخرى.. كلا النوعين سندربهم في مركزنا هذا.

علي: ومن الذي سيدربنا على هذه الأمور؟

أ/ شــهاب: ســيكون معكم مدرب متميز أنا اخترته لكم، وهو الدكتور إبراهيم فريد.

علي: ومتى سنبدأ التدريب؟

أ/ شــهاب: قبل أن يبدأ معكم عليكم أن تتجهوا إلى مســرح المركز مع جميع الطلاب؛ فهناك مفاجأة في انتظاركم.

توجه الجميع إلى المسرح الضخم، وفجأة انطفأت الأنوار، وتمت إضاءة خشبة المسرح ودخل رجل طويل كبير في السن ليقف على خشبة المسرح ويلقي كلمة إلى الطلاب.. لم يصدق أحد عينيه.. إنه نيلسون مانديلا رئيس جنوب إفريقيا.. إنه هو بشــحمه ولحمه يتحرك على المسرح يمينًا ويسارًا، ويحــرك يديــه ويتكلم بقوة ليشــجع الشــباب على إيقاظ قواهــم الخفية..

الجميـع غير مصـدق ما يراه.. لقد مات نيلسـون مانديلا العـام الماضي، فكيف هو حي الآن؟!

زها: هذا سحر.. لا يمكن أن يكون حقيقة!

فيصل: لا.. هذا تنويم مغناطيسي.. أكيد نحن تحت تأثير التنويم المغناطيسي!

علي: لا لا.. هذا جن متجسد في صورة إنسان!

صافي: أو قد يكون عملية تحضير أرواح!

قاطع نيسلون مانديلا الجميع:

- أرجـو أن تنصتوا إلي.. لقد سـرت على الـدرب الطويل للوصول إلى الحريـة والنجـاح، وحاولـت ألا أفقـد حماسـي. ولقد قمـت ببعض الخطوات الخاطئة على طول الطريق، ولكنني اكتشفت السر أنه بعد تسـلق جبل عظيم، يجد المرء أن هناك جبـالًا أخرى كثيرة ينبغي له أن يتسلقها[1].

رافي: أنا لا أصدق ما تراه عيناي!

أنهى نيلسـون مانديلا كلمته، وودع الشـباب بكلتا يديه كما كان يفعل دائمًـا، وانصرف من على المسـرح، ثم صعد الأسـتاذ شـهاب إلى خشـبة المسرح وسط ذهول الجميع.

أ/ شهاب: ما رأيكم فيما شاهدتم؟

أحد الشباب: هذا رجل يشبه نيلسون مانديلا تمامًا.

أ/ شهاب: لا.. إنه هو نيلسون مانديلا.

(1) هذا نص حقيقي لكلمة ألقاها نيلسون مانديلا قبل وفاته بعدة أشهر.

جميع الشباب: كيف؟! لقد مات!

أ/ شــهاب: ما شــاهدتم هو تكنولوجيا جديدة تسمى (Holography) «التصوير التجسيمي»، باستطاعتها عمل 3D عن طريق جهاز ليزر يسجل حركة الجســد. إنه لا يســجل الصــوت أو الصورة، ولكنه يســجل منظومة حركة متكاملة.

رافي: وكيف يعمل هذا الجهاز؟

أ/ شــهاب: هــو عبارة عن تســجيل لمســاحة الضوء الموجــودة حول شــخص، ثم إعادة تركيبهــا وإظهارها بعد ذلك، فتتكون صورة متجســدة لشــخص متكامل يتحــرك أمامك تمامًــا كأنه حي، بينما هــو مجرد ضوء، فتظهر الصورة كأنها ثلاثية الأبعاد.

صافي: أنا غير مستوعب ما تقول!

أ/ شــهاب: أنت تســمع عبد الحليم حافظ بعد موته كتســجيل صوتي، وممكن أن ترى صــورة فوتوغرافية لعبد الحليم، لكن التكنولوجيا الجديدة الآن أنك تراه أمامك صوتًا وصورة متحركة[RB].

رافي: هذا اختراع خطير.. يعني من الممكن أن يظهر إنسان في مكانين في وقت واحد.. واحد حقيقي والآخر ليزر غير حقيقي.

أ/ شــهاب: ســيبقى العلم يبهر الناس، لكن الأهم أنه سيبقى دليلًا على عظمة الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

ســاد صمت طويــل من آثار دهشــة الشــباب، قطعها موعــد انصراف المشــاركين كل في مجموعته، ليبــدأ التدريب الخاص بهم لإطلاق طاقاتهم وقدراتهم غير العادية.

أطلق قواك الخفية

- 1 -

هنــاك في حجرة التدريب وجد رافي نفســه وســط فريـق مكون من 5 شــباب غيره، وأمامهم الدكتور إبراهيم المســئول عــن تدريبهم. كان رافي ينظر إلى الدكتــور إبراهيم وهو يحاول أن يتعرف عليه قبل أن يتكلم.. هو رجل في منتصف الثلاثين من عمره، وســيم، قوي البنية، نظراته فيها ذكاء حاد، وعلى وجهه ابتسامة عريضة، يشعرك أنه يحتضنك بعطفه بمجرد أن تنظر إليه.. فيه قوة غريبة تجذبك أن تصغي إليه.

لــم يتكلم كثيرًا.. فقط طلب من الشــباب الخمســة القــدوم معه لقاعة التدريب الخاصة بهم.

وجــد رافي نفســه في إحــدى قاعات المركــز.. لم تكن درجــة تركيزه واهتمامه تقنع أي أحد أنه شــاب غير عادي. لقــد كان مصدومًا من موقف الأستاذ شهاب، حتى إنه تمنى أن يعود ولا يكمل الرحلة لولا نظرات الترجي بالانتظار في عين صديقه علي، لكنه وجد نفسه وسط مجموعة عمل تجذب انتباهه تدريجيًا للتفاعل، خاصة الدكتور إبراهيم عندما بدأ الحوار معهم:

- أعرفكم بنفســي.. أنا ببســاطة وبدون ألقاب اسمي إبراهيم. سأكون صديقًــا وأخًا كبيــرًا لكم في هذه الرحلة.. نحــن هنا لإطلاق طاقتكم

الكامنة لتســتفيدوا منها في حياتكم، ولا بد أن تعرفوا في البداية أن كل البشــر منذ خلقهم الله لديهم قدرات هائلة كامنة، لكن 1 % فقط مــن البشــر هو من يعلم أن لديه هذه القــدرات، ثم إن 1 % فقط من هؤلاء هو من يســتخدم هذه القدرات وينميهــا، ثم إن 1 % فقط من هؤلاء هو من يوظفها للخير والإصلاح.

كان رافــي ينظــر إلى الدكتــور إبراهيــم دون أن يظهــر أي انطباعات إيجابية أو ســلبية على وجهه؛ فما زال حتى هــذه اللحظة غاضبًا ومتحيرًا من حديث الأستاذ شهاب.

علي: إذن كلنا لدينا قدرات وطاقات غير عادية؟

د/ إبراهيــم: صحيح.. لكنه مــع ذلك يتفاوت الناس فــي قدرتهم على اســتخدام هذه القدرات. بداية من أناس لهم ذاكــرة حديدية، يتذكرون بها أدق التفاصيل التي حدثت على مر السنين، حتى نصل إلى أناس لهم قدرات خارقة، مثل القدرة على تحريك الأشياء دون استخدام شيء ما ملموس، أو قدرة على التخاطب عن بعد مع إنسان آخر، دون استخدام وسائل الاتصال المعروفة.

زها: معقول؟ وحضرتك ستعلمنا كيف نفعل هذا؟!

د/ إبراهيم: كما قلت لكم كل إنسان لديه قدرات هائلة غير عادية.. وأنا فقط دوري معكم أن أســاعدكم في التعرف على هذه القدرات التي خلقها الله فيكم أصلًا، ثم أساعدكم على تنميتها.

علي: أنا أشــعر أني محظوظ جدًّا لوجودي هنا. أنا ســأترك لك نفســي تمامًا لأتعلم كل شيء في هذا الأسبوع.

نظر الدكتور إبراهيم إلى رافي كأنه يحدثه هو:

- روحك هذه هي أول طريق اكتشاف القدرات غير العادية؛ لأن التصميم والإرادة هما أول مفتـاح يحرك العقل لينطلق إلى آفاق غير محدودة وغيـر عادية؛ لأني مهما فعلت لإيقاظ قـواك الخفية فلن أنجح إلا إذا اتخذت أنت قرارًا في عقلك الباطن بأن تطلق قواك الخفية.

ردد علي وزها في نفس اللحظة:

- أنا قررت أن أطلق قواي الخفية..

ابتسم الدكتور إبراهيم وعلق قائلًا:

- خطـوة البدايـة إذن أن أتعـرف عليكم وعلـى أسـمائكم، لكن وأنتم تعرفون أنفسـكم أرجـو أن يذكر كل واحد منكم ما هو الشـيء غير العـادي الـذي يتميز به عن باقـي أصدقائه.. فأنـا لا أريد أن أخترع العجلة، ولكن لنبدأ من حيث تقف قدراتكم..

نظر الدكتور إبراهيم إلى علي..

علي: أنا اسـمي علي أبو الحسن، وأنا لدي قدرة غير عادية على اختراق مواقع الإنترنت، ومعرفة الـ(Password) مهما كان معقدًا.

د/ إبراهيم: إذن أنت هاكر؟

علي: نعم.. لكن أنا هاكر أبيض ولست هاكر أسود..

د/ إبراهيم: ما الفرق؟

علي: الهاكر الأسـود يخترق المواقع بهدف الإفسـاد أو تخريب العمل، أو الانتقام من فرد أو مؤسسـة. لكن الهاكر الأبيـض هو الذي يمنع الهاكر

الأسـود من ذلك، ويوقف مفعوله عن طريق أن يخترق الهاكر الأسود ذاته، ليعيد المواقع سـليمة بدون تشـويش. فأنا هاكر أبيض وليس أسـود، وقد نجحـت في اختراق أكثر من 100 هاكر أسـود في السـنة الأخيرة، وأعدت المواقع السـليمة لأصحابها.. لكن المضحك المحزن أن اللاب توب الخاص بي حدث به عطل اليوم بسبب (Virus) لم أتمكن من إصلاحه.

د/ إبراهيم: ممتاز يا علي.. ولماذا جئت إلى هنا؟

علي: أنا أحلم أن أنقذ العالم من كل الهاكر الأسود، وأسيطر على حركة الهاكر الأسـود على مستوى العالم.. وأتمنى أن تساعدوني على تحقيق هذا الحلم.

د/ إبراهيم: رائع يا علي.. حلم رائع..

ثم نظر الدكتور إبراهيم إلى زها..

زها: أنا اسـمي زها أبو الحسـن.. أنا أخت علي، ولدي قدرة غير عادية علـى اختراع أجهـزة إلكترونية صغيرة تكون ذكية، لتحلل مشـاعر الناس وتفهم عواطفهم.

د/ إبراهيم: كيف ذلك يا زها؟

زها: أنا اخترعت جهازًا صغيرًا في شكل مكعب لكشف الكذب، وصممت برنامج (Application) على التليفـون يتكلم مع صاحب التليفون باللغة العربية والإنجليزية، ويسأله أسئلة مرتبة ومنطقية إذا كان حزينًا أو مهمومًا أو عنده مشكلة، ويساعده على حل مشكلته.

ضحك الدكتور إبراهيم قائلًا:

- إذن أنت اخترعتي طبيبًا نفسيًّا إلكترونيًّا.. ولماذا جئت إلى هنا يا زها؟

زها: أنا أحلم بنشر السعادة والخير في العالم كله من خلال اختراعاتي للتكنولوجيـا الذكية، وأنا عملت بحثًا على النت فعرفت أن المركز ممكن أن يساعدني على تطوير قدراتي.

بدأ رافي يشــعر أن عليه الدور، وأن الدكتور إبراهيم سيسأله، ورغم أنه بدأ يتفاعل بعض الشيء مع المجموعة، لكنه فضل أن لا يتكلم إلا في نهاية التعارف، لذلك فقبل أن يسأله الدكتور إبراهيم وجه رافي عينيه ورأسه نحو الشابين الآخرين الجديدين، ليوجه الدكتور إبراهيم أن يبدأ بهما. ويبدو أن الدكتور إبراهيم فهم ذلك بسرعة، فنظر إلى رافي وابتسم ولم يكلمه كلمة، ولكن توجه إلى الشاب الثالث يسأله عن اسمه.

فيصل: أنا اسمي فيصل الكعكي.. أنا أصلي سعودي وأعيش في مصر؛ لأن والدي يدير شــركة تعمل في صناعة الزجاج وعبوات العطور الزجاجية ومقرها في مصر.. وأنا لدي قدرة غير عادية على التعامل مع الـ(Games) علــى الكمبيوتــر والموبايلات، فأنا أقدر أن أصل إلــى أي (Level) النهائي لأي لعبــة إلكترونية بمجرد أن ألعبها 3 مرات فقــط، مهما كانت صعبة أو معقدة.

د/ إبراهيم: وكيف تستطيع ذلك؟

فيصـل: بمجــرد أن ألعــب الـــ(Game) ثلاث مــرات أفهــم المعادلات الرياضيــة المكونة للعبة وأحلها، وبالتالي أحــدد ما هي المعادلات وخطط اللعب في كل مســتوى. فلو أن اللعبة من 12 مستوى وكل مستوى أصعب من الذي قبله، أستطيع أنا في 3 مرات فقط أن أصل لآخر مستوى وأكسبه.

د/ إبراهيم: أنت رائع يا فيصل.. وبماذا تحلم إذن؟

فيصل: أنا أحلم أن أكون أكبر مخترع للألعاب الإلكترونية المفيدة للأطفال وليست المضرة بهم، وأن تتعاقد معي أكبر الشركات العالمية لذلك.

نظر الدكتور إبراهيم إلى الفتاة الرابعة لتعرف نفسها، لكن عينه كانت على رافي، فما زالت تعبيرات وجهه غير مطمئنة للدكتور إبراهيم، ولكنه لا يريد أن يسأله مباشرة، فاكتفى الدكتور إبراهيم بالابتسام لرافي وهو يقول:

- من الرابع؟

ود نظام الدين: أنا اسمي ود.. من سوريا، من الشام تحديدًا، وقد انتقلت مع أهلي للحياة في مصر بعد أحداث سوريا.. وأنا لدي قدرة غير عادية على اكتشاف الأشياء المزورة بمجرد تدقيق النظر فيها عدة دقائق.

د/ إبراهيم: مثل ماذا يا ود؟

ود: مثل المجوهرات والعطور.. لكن أكثر شيء أنا متميزة فيه هو اللوحات الفنية العالمية.. أنا أقدر في دقائق أن أعرف إذا كانت اللوحة الفنية المعروضة باسم فنان عالمي أصلية أم مزورة.

د/ إبراهيم: ولماذا جئت إلى هنا يا ود؟

ود: أنا أتمنى أن أكون خبيرة لدى الأمم المتحدة أو الإنتربول الدولي لاكتشاف الأشياء المزورة عالميًا.. فهل ممكن أن تساعدوني أن أطور من نفسي؟

د/ إبراهيم: ممتاز يا ود.. أنا فعلًا فخور بكم جميعًا.

سكت الدكتور إبراهيم وابتسم ابتسامة عريضة وهو ينظر إلى رافي ثم قال له:

- وأنت يا صديقي؟

كان رافي قد أعجب بالفعل بالفريق وبالدكتور إبراهيم، لكن إعجابه هذا أخفاه داخل نفســه، وقرر ألا يظهره؛ لأنه يعلــم بذكائه أن الدكتور إبراهيم سوف يقدم تقريرًا للأستاذ شهاب بصفته مدير المركز عن المجموعة، فقرر رافي أن يظهــر ضيقه وأن يخفي إعجابه بالمجموعــة وبالدكتور إبراهيم، ليستمر في الضغط على الأستاذ شهاب طوال الرحلة؛ لعله يخبره بما عنده من أسرار عن الأرض وعن والده.. لذلك رد رافي باقتضاب:

- أنا اســمي رافي بركات، ولا يوجد عندي قدرات خاصة أتميز بها.. أنا شاب عادي.

ابتسم الدكتور إبراهيم بثقة:

- لكنّ عينيك تقولان غير ذلك تمامًا.

رافي: وماذا تقول عيناي يا دكتور؟

د/ إبراهيم: تقول إنك تمتلك شيئًا غير عادي.

رافي: إذن قل لي يا دكتور ما هو؟

د/ إبراهيم: قديمًا قالها سقراط: «تكلم أكثر لكي أعرفك».

سكت رافي كأنه يقول للدكتور إبراهيم: إذن لن أتكلم حتى لا تعرفني!

د/ إبراهيم: وإذا كنت لا تمتلك قدرات غير عادية، فلماذا جئت إلى هنا؟

استفز سؤال الدكتور إبراهيم رافي، فقال رافي:

- لأكتشف سرًا.

لكنه سكت ليبتلع ما وراء كلمة سر.

علق الدكتور إبراهيم بصدق شديد:

- صدقني يا رافي اكتشـاف قدراتك الخفية سـيكون أكبر مسـاعد لك على اكتشـاف أي سـر تريد أن تبحث عنه. عمومًا نحـن الآن تعرفنا علـى بعض.. انطلقوا الآن للراحة ومشـاهدة المركـز من الداخل، ثم نكمل بعد الراحة.

خرج الشـباب الخمسة إلى الفضاء الواسـع ليجدوا صافي الذي تخلف عنهم قد دخل أخيرًا إلى المركز فضحكوا جميعًا..

فيصل: لماذا تأخرت؟

صافي: كان عندي ملحق ذكاء!

ود: وكيف نجحت في الملحق؟

أشار صافي إلى رافي قائلًا:

- تخيلت نفسي عبقريًا مثل رافي، وربنا سترها فنجحت في الملحق.

بدأ رافي يشعر بجو من الألفة والصداقة مع المجموعة.

زها: تعالوا نفعل شيئًا ممتعًا مرحًا في وقت الراحة.

صافي: أنا عندي موقع على النت كله نكت جديدة.. سـمعتم آخر نكتة؟ مـرة واحد غبي أحب أن يطور الطائـرة الهليوكوبتر.. فك المروحة ووضع مكانها تكييف.

فيصل الكعكي: مرة مرة حلوة.

زها: مرة سخيفة.

استفز صافي عدم إعجاب زها بالنكتة فقال:

- طـب مرة واحد ندل فتــح مصنع مياه غازية كتب علــى العلبة: ترج جيدًا قبل الفتح.

ود: هذه فعلًا حلوة.

فتح فيصل اللاب توب الخاص به:

- أنا عنـدى (Game) جديد رائع. هو (Game) عن كرة قدم.. أنا ضد كريســتيانو رونالدو، ومن يعرف كيف يقدم مهـارات فردية أحرف وأحلى هو الذي يفوز.

علي: ولماذا كريستيانو وليس ميسي؟

فيصل: ميســي يشــبه الطلبة الأوائل الذين يجلســون في الصف الأول، فهو شــاطر لكن بلا طعم. أما كريســتيانو فهو يشــبه الولد الشــاطر الذي يجلس في الصف الأخير.. يلعب طوال السنة ثم يطلع الأول.

علي: تقصد ولد «روش»؟

فيصل: مرة مرة روش.

نظرت ود إلى شاشة لاب توب فيصل:

- أنا بصفتي خبيرة أشياء مزورة أقول لك هذا الـ(Game) غير أصلي.

أثناء ذلك جاء وقت صلاة العصر فسمعوا الأذان.. لقد اكتشفوا أن المركز به مسجد وكنيسة، لكن العجيب أنهما بجوار بعضهما وكلاهما مصنوع من الزجاج المعشق في ألواح من الحديد، تعطي ظلالا من الخشوع والقدسية، فقام رافي فتوضأ وذهب إلى المســجد.. لكنها كانت مفاجأة رائعة أن يجد الشيخ سالم إمام مسجد قريتهم موجودًا هناك.

رافي: شيخ سالم! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

الشيخ سالم: أنا انتدبت من الأزهر لأكون هنا مرتين بالسنة.

شـعر رافي بمزيد من الراحة والطمأنينة، خاصة عندما وجد باقي أفراد الفريق يدخلون تباعًا إلى المسجد دون أن يطلب منهم أحد ذلك.

لكن رافي لاحظ شـيئًا جديدًا في المسـجد، فعادة المساجد ينحت على جدرانهـا آيـات قرآنية تتحدث عن الصلاة أو الخشـوع.. لكـن رافي لفتت نظره هذه الآية المنحوتة على كل جدران المسجد:

«يَـا مَعْشَـرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْـتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ».

رافي: لماذا هذه الآيات يا شيخ سالم؟

الشيخ سالم: إنها أعظم رسالة إلى البشرية لتحفيز طاقاتهم وقدراتهم للانطلاق في السموات والأرض، لكنها مشروطة بإذن وإعانة من الله.

رافي: فمن أراد لطاقاته أن تنطلق، فليتحرك وليستعن بالله.

الشيخ سالم: تمام يا رافي.

صلى كل الشباب وخرجوا من المسجد ليجدوا صافي يخرج من الكنيسة. كانت أول مرة يعرفون أن صافي مسيحي، لكن ذلك لم يؤثر في صداقتهم؛ فروابط الصداقة تزيد بين المؤمنين أكثر من غيرهم.. ومن أراد صديقًا وفيًّا معينًا له على النجاح، ليبحث عن صديق محب للإيمان؛ فالإيمان يحمي من الغدر، وهذا ما كان رافي يحتاجه بالضبط لفريق المستقبل.

انتهى وقت الراحة وعاد الجميع إلى التدريب، لكن هذه المرة في حضور الدكتــور إبراهيم وأيضًا الأسـتاذ شـهاب الذي كان فقـط يراقب المجموع خاصة رافي.

د/ إبراهيـم: لنبـدأ في التدريب، لكن نرحـب أولًا بزميل انضم لكم من اليوم.. صافي عزيـز، ليصبح عددكم 6.. 4 أولاد وبنتان.. والآن أول خطوة هي معرفة ما هي القدرات الخفية للإنسان.. مستعدون؟

أجابوا جميعًا في نفس واحد:

- مستعدون.

د/ إبراهيم: دماغ الإنسان يشبه عملاقًا نائمًا. إننا نستخدم أقل من 1% فقـط من قدرات دماغنا.. إن كمية هائلة من قدراتنا العقلية الكامنة لا تزال تنتظر من يطلقها.

رافي: وهل هذه القدرات الخارقة يمكن أن تغير الواقع؟ وتحقق أشـياء وتمنع أشـياء لا تتغيـر إلا بهذه القدرات؟ هل القـدرات الخارقة ترجع من مات من أحبابنا؟ هل القدرات الخارقة تغير القدر؟

كان رافي يسـأل هذا السـؤال وبداخلـه بركان، وكأنه يقـول: وهل من الممكن لهذه القدرات أن تمكنني من اكتشـاف سـر أرض الرملية، أو ترجع أبـي وأمي؟ أو هـل كان من الممكن أن تمنع حادثة السـيارة يوم مات أبي وأمي؟

أجاب الدكتور إبراهيم وقد أدرك ما وراء سؤال رافي:

- يا رافي قدر الله لا يغيره أحد.. لكن قدر الله واسع.. تعرف مثل ماذا؟ مثل طائرة أقلعت من مكان إلى مكان، ولا يمكن تغيير اتجاهها، لكنها

قد تحلق على ارتفاع منخفض 12000 قدم، فتكون بطيئة وتتعرض لمطبـات هوائية عنيفـة.. وقد تحلق على ارتفاع عـال 37000 قدم، فتصل بسـرعة بدون صدمات عنيفة.. وبين 12000 قدم و37000 قدم مسافات واسـعة، لكنها في النهاية ذاهبة في نفس الاتجاه لكن بنتائج أسرع وأفضل. فإذا كان القدر قد كتب عليك شيئًا يا رافي تراه أنت قاسـيًا فلا تستسلم، ولكن حلق عاليًا، فأنت لن تغير القدر، لكن الله برحمته ترك لنا مسـافات واسـعة داخل قدره لنحلق فيها كيف نشاء.. والآن كيف تحب أن تحلق يا رافي؟

رافي: طبعًا أحب أن أحلق عاليًا عاليًا.

د/ إبراهيـم: أيقـظ قواك الخفية يـا رافي لتحلق عاليًـا ولتصل إلى ما تريد.

رافي: قل لي يا دكتور إبراهيم، ما هي القوى الخفية في الإنسان؟

د/ إبراهيـم: ما هو من وجهة نظرك السـر الأعظم لـكل العصور؟ هل هو الطاقة الذرية؟ السـفر عبر كواكب الفضاء؟ الثقوب السوداء؟ كلا ليس شـيئًا من ذلك، إذن ما هو السر؟ الإجابة بسـيطة جدًّا.. السر هو تلك القوة العجيبة الموجودة في عقلك وروحك التي تحقق المعجزات. إنك لسـت في حاجة لاكتساب هذه القوة، فأنت تمتلكها بالفعل يا رافي، ولكنك في حاجة إلى أن تتعلم كيف تستخدمها.

كانت هذه الكلمات بمثابة شاحن كهربائي تحرك بقوة ليسري في روح رافي، ليشعل همته لتعلم هذا العلم الجديد، فرد رافي بقوة:

- أرجوك اشرح لى كيف أستخدمها؟

د/ إبراهيم: تخيل عقلك الباطن كأرض وتربة خصبة تساعد كل أنواع البذور على النمو، مهما كانت بذورًا صالحة أو فاسدة.. إذا بذرت الأشواك هل ستحصد عنبًا؟

الجميع: طبعًا لا!

د/ إبراهيم: سنبدأ أول تدريب بفكرة سهلة بسيطة وسنطبقها فورًا.. تدريب اليوم هو: كيف نتعامل مع عقلنا بشكل إيجابي مثمر؟

الشباب: كيف نفعل ذلك؟

د/ إبراهيم: ابدأ الآن في زرع أفكار النجاح والقوة والتحدي والتفوق والحب. ابدأ الآن في زرع أفكار السلام والسعادة والرضا. فكر بهدوء واقتناع في هذه الأفكار، واجعل عقلك يقر بها ويتقبلها. استمر في بذر هذه الأفكار الرائعة في حديقة عقلك الباطن، وسوف تحصد محصولًا رائعًا.

كان التدريب يبدأ في الصباح ثم يجلس الشباب سويًّا في فترات الراحة يلعبون تنس الطاولة والشطرنج، وكان جزءًا من التدريب أن يجلس كل شاب وحده فترة لا تقل عن ساعة ونصف يوميًّا، يركز بعمق شديد دون تشتيت، مما انعكس يومًا بعد يوم بوضوح في تنمية قدرات الشباب، وكذلك تقوية علاقاتهم ببعضهم بعضًا.

وبعد يومين عاد الدكتور إبراهيم إلى التدريب بشكل أكثر تأثيرًا في الشباب.

د/ إبراهيم: اليوم سنبدأ تدريبًا جديدًا. وإذا كنا بالأمس قد زرعنا الأفكار الإيجابية، فتدريب اليوم سيكون العكس بمقاومة الأفكار السلبية التي تمنعك من النجاح.. مستعدون؟

الشباب: مستعدون.

د/ إبراهيم: إذن فلنبدأ التدريب الجديد الآن.. لا تستخدم مطلقًا العبارات السلبية مثل: «لا أستطيع شراء هذا».. «لا أستطيع أن أفعل ذلك»، فإن عقلك الباطـن يأخذ بكلمتـك ويصدقها. بدلًا من ذلك ردد عبـارات إيجابية فعالة مثـل: «أنا أسـتطيع عمل هذه الأشـياء من خلال قوة عقلـي الباطن». غير أفكارك كي تغير مصيـرك.. أنت قائد روحك.. تذكر أنك تمتلك القدرة على الاختيار. هكذا خلقك الله.

بدأ الأستاذ شهاب يحكي قصة لها علاقة بهذا المعنى فقال:

- كانت هناك امرأة في الخامسـة والسـبعين تفخر دائمًا بقدرتها على التذكر مثل الجميع، لكنها كانت تنسـى أحيانًا. ومع كبر سنها، بدأت تلاحظ أنها تنسـى أحيانًا أكثر، مما جعلها تقلق، وفي كل مرة تنسى شـيئًا كانت تقول لنفسـها: «لا بد أنني سأفقد ذاكرتي بسبب سني». ونتيجـة للإيحـاء الذاتي السـلبي، بدأت تنسـى الكثير من الأسـماء والأحداث، واسـتبد بها اليأس، ولكن لحسـن الحظ أدركت أنها تدمر نفسـها، وقررت عكس العملية. ففي كل مرة يأتيها التفكير السلبي: «إنني أفقد ذاكرتي»، كانت توقف نفسها وتعكس العملية عن قصد.. تدربـت عدة مـرات في اليـوم على الإيحـاء الذاتي الإيجابـي وقالت لنفسـها: «من اليوم فصاعدًا سـوف تتحسـن ذاكرتي بـكل الطرق، وسـوف أتذكر كل ما أريد معرفته في أي مكان وزمان.. أنا أتحسـن بسرعة كل يوم، وسرعان ما ستصبح ذاكرتي أفضل من ذي قبل».

وبعد ثلاثة أسـابيع، عـادت ذاكرتها إلى طبيعتها.. لقـد انتصرت على الزهايمر بعقلها الباطن.

رافي: هل ممكن يا دكتور أن نتدرب على هذا الآن فورًا؟

د/ إبراهيم: طبعًا فورًا يا رافي.. كل واحد منكم يطرد فكرة سلبية ويركز على فكرة إيجابية يريد تحقيقها في وقت قصير (الآن مثلًا)، ويقنع بها عقله الباطن.

ساد الصمت بين الشباب حتى كأنك تسمع دبة النملة في الحجرة. كان هذا نوعًا من التركيز العجيب لم يعرفه رافي ورفاقه قبل ذلك.. لكنه التدريب على نزع فكرة سلبية ووضع فكرة إيجابية بدلًا منها في الدماغ.. أحدث هذا التدريب تغييرًا كبيرًا في عقول الشباب.

علي: لو أن الناس أدركت أن نزع الأفكار السلبية وزرع أفكار إيجابية بدلًا منها يمدهم بهذه القوة الرهيبة التي نشعر نحن بها الآن، لما بقيت فكرة واحدة سلبية في العالم.

فيصل: أشعر أن لدي قوة تمكنني من أن أمحو كل الكلمات والأسماء السلبية في الحياة.

صافي: مرة واحد غبي سأل بنتًا: اسمك إيه؟ قالت له: أسماء. قال لها: يعني مفيش اسم محدد؟ هاهاها.

وهكذا بين الجد والمرح أمضى الشباب أحلى أيام جمعتهم في هذا المكان، وكان رافي شديد الود والحنان مع الجميع فصار قائدًا لهم دون أن يفتعل هو ذلك. أما الفريق ككل فقد كانت الصداقة تقوى بينهم يومًا بعد يوم، وصارت الروح المعنوية القوية للشباب دافعًا للإقبال أكثر وأكثر على التدريب الفعال مع الدكتور إبراهيم، وكأن القدر يهيئ لهم دورًا كبيرًا سيلعبونه سويًا.

– 2 –

في اليوم التالي انتقل التدريب إلى مستوى أعمق وأقوى.

د/ إبراهيـم: عقلك فيه جـزءان: «العقل الواعي والعقل الباطن». العقل الواعـي هو الذي يفكـر ويحلل ويخاف ويتردد ويعطـي الأوامر. أما عقلك الباطن فهو عجيب من عجائب خلق الله.. إنه لا يفرق بين الحقيقة والخيال، فإذا أقنعته بقوة بفكرة حتى لو خيالية أو مستحيلة، فإنه يصدقها ويتعامل معها على أنها حقيقة، ويدفع روحك لتنفيذها ويوقظ قواك الخفية لتنطلق نحو تحقيق الهدف[1].

علق الأستاذ شهاب على الكلام بقصة حقيقية:

- حدث ذات مرة أن أصيب المغني الأوبرالي «انريكو كاروســو» بحالة من الرعب والخوف مـن مواجهة الجمهور في إحدى الحفلات، حيث أصابتـه تقلصــات في حنجرته بسـبب الخوف، ممـا جعل عضلاته تنقبـض، وأدى إلى شـلل في أحبالـه الصوتية، ووقف خلف سـتار المســرح بكامل ملابســه الخاصة بالحفل وهو يتصبـب عرقًا، حيث كان خلال لحظات سيصعد على خشبة المسرح ويبدأ في الغناء أمام الآلاف مـن الجماهير. قال وهو يرتعد: «إن الجمهور سـوف يسـخر مني، لا أستطيع أن أغني». ثم استدار ليعود إلى غرفة الملابس، لكنه فجأة توقف وصاح قائلًا: «إن نفسي الضعيفة تحاول أن تهزم نفسي

(1) حقيقة علمية.

القوية!». ثم اســتدار مرة أخرى تجاه خشبة المسرح ووقف شامخًا وقال بلهجة آمرة موجهًا كلامه لنفســه الضعيفة: «هيا اخرجي أيتها النفس الضعيفة.. إن نفسي القوية ترغب في الانطلاق الآن».

لقد كان يقصد بنفسه القوية القوة اللامحدودة وحكمة عقله الباطن، ثــم بــدأ يصــرخ: «اخرجي، اخرجــي، نفســي القوية على وشــك أن تنطلق!». استجاب عقله الباطن وأطلق سراح القوى الحيوية الكامنة داخلــه، وعندما نودي عليه للغناء وقف على المســرح، وغنى بشــكل رائع أعجب الجمهور.

رافي: إذا كان الكنز بداخلي وســر قواي الخفيــة، فكيف أقنع به عقلي الباطن؟

د/ إبراهيــم: صحيح يا رافي.. ولكي تقنعــه لا بد أن تركز على الفكرة أو الحل الذي تريد تحقيقه، وتظل تردده في نفســك مرات عديدة بعبارات إيجابيــة، ويعينك أكثر وأكثر أن تطلب مــن الله أن يعينك، وتدعو بذلك في ســرك مــرات ومرات؛ فالدعاء له أثــر عجيب على تثبيت الأفــكار في العقل الباطن.. ولذلك أمرنا الله بالإلحاح في الدعاء، فالإلحاح يثبت الأفكار.

فــي هــذه اللحظــة أصبح رافــي مســتعدًا أكثر وأكثــر، وبــدأ التدريب الذي اســتمر لمدة أســبوع حتى صارت المجموعة نســيجًا واحدًا متكاملًا ومتفاهمًا، وقد زادهم التدريب إدراكًا وتحريكًا لقواهم الخفية، خاصة رافي الذي اكتشــف الجميع أن درجاته في اختبــار (IQ) عالية جدًا.. وهكذا مع استمرار التدريب أصبح الشباب ينتقلون نقلات عالية.

وهكذا بــدأ التدريب بتركيز أقوى وأكثر فاعلية على إقناع العقل الباطن بفكرة محددة. حاول الشباب أكثر من مرة ولم ينجحوا، لكنهم مع الإصرار

المستمر بدأت الفكرة تزداد نضجًا في عقولهم، وبدأ العقل الباطن يستجيب في نفس اليوم، وبعد جلسة طويلة ركز فيها كل شاب على فكرة محددة أقنع بها عقله الباطن صرخ علي:

- أنا غير مصدق ما حدث.. اللاب توب الخاص بي كان لا يعمل بسبب (Virus) أصابه.. فجأة خطرت لي فكرة أن أستبعد ملفًا معينًا من بين مئات الملفات الموجودة عليه، وبمجرد أن استبعدت هذا الملف بالذات ومن أول مرة أصبح يعمل!

وفجأة وقف رافي من مكانه وقال:

- وأنا أيضًا غير مصدق ما حدث.. لقد ركزت أن أقدم شيئًا لإسعاد علي؛ فركزت أن أساهم بقوة عقلي لإصلاح اللاب توب الخاص به، ودعوت الله بشدة أن أفعل ذلك لأسعد صديقي.

د/ إبراهيم: رافي أنت متأكد أنك فعلت هذا؟

رافي: نعم والله هذا ما حدث.

د/ إبراهيم: أنا أصدقك، لكن أعتقد أن لديك..

سكت الدكتور إبراهيم، ثم قال لرافي:

- ممكن أقوم معك ببعض التمارين؟

رافي: طبعًا.

د/ إبراهيم: رافي هل لديك ذاكرة قوية؟

رافي: لا أدري، ولكنني إذا ركزت أتذكر أشياء غريبة، بل أتذكر أدق التفاصيل.

د/ إبراهيم: إذن هيا يا رافي أقنع عقلك الباطن أنك تريد أن تتذكر يومًا كاملًا في حياتك حدث منذ أكثر من سنتين.

صمت رافي وركز بشدة.. دمعت عيناه، وبعد دقائق قال:

- نعم.. تذكرت يوم الحادثة.. يوم وفاة أمي وأبي!

د/ إبراهيم: ماذا حدث في ذلك اليوم؟

رافي: في أي ساعة؟

ذهـل الدكتـور إبراهيم لأن ذلك معنـاه أن رافي تذكر كل سـاعات ذلك اليوم!

د/ إبراهيم: 5 دقائق قبل الوفاة.

رافي: نعم أتذكر عم إدريس سائق أبي.. طلب إجازة لمرض ابنه، وأبي قبل اعتذاره.. وأتذكر قبلها بساعة.. وأتذكر وأتذكر..

د/ إبراهيم: رافي ممكن أقوم معك بتمرين آخر في الرياضيات؟

رافي: نعم تفضل..

د/ إبراهيـم: أريـد منك إجابة فورية في دقيقتيـن على الأكثر على هذا السؤال: إذا كان برغوث يقطع مسافة قدمين وثلاث بوصات في الوثبة، فبكم وثبة يمكنه الدوران حول العالم إذا كان محيط العالم يبلغ 200,000 ميل؟

ذهـل الجميع حين نظر رافي في سـقف الحجـرة وكأن أمامه كمبيوتر يحسب عليه، ثم رد بعد دقيقة واحدة:

- يحتاج للدوران حول العالم 58,713,600 وثبة.

نظر الدكتور إبراهيم إلى الأســتاذ شهاب الذي لم يكن يتصور أن رافي لديه كل هذه القدرات، بل إن رافي نفسه فوجئ بذلك.

لكن الأستاذ شهاب أراد أن يختبر رافي بنفسه، فأدار فيلم فيديو وطلب منه التركيز بشدة في الفيلم الذي يصور حركة طائر يحرك جناحيه ليطير، ثــم طلب من رافي أن يرســم رسـمًا تخيليًّا لحركة الأجنحة، فشــاهد رافي الفيلــم 3 مرات، ثم بدأ يرســم بدقة عجيبة تماثل دقــة الكاميرا كأنه يجمد حركة الطائر أثناء طيرانه.

فــي هذه اللحظــات كان رافي قد وصل لقناعة داخلية أنه شــخص غير عادي، ويمتلك قدرات غير عادية، وبدأ يســترجع الأشــياء المذهلة التي قام بها يــوم تمنى أن يقابل الدكتور نبيل أبو العز، وكيف أنه ركز ودعا فقابله في اليوم التالي، وتذكر أيضًا كيف اســتطاع أن يتحكم في جسده يوم قفز بالدراجة على الشــريط الرملي الدقيق وســط الصخور، وتذكر كيف واجه الذئب بنظراته القوية حتى أخاف الذئب. اليوم أدرك رافي أنه يمتلك قدرات غير عادية داخلية يتحكم بها في جســده، وخارجية يتحكم بها في الأشياء من حوله.

وبعد لحظات من اندهاش الجميع عاد الدكتور إبراهيم ليقول:

- إذن تعلمنا أن أقوى شــيء يوقظ 99 % من قواك الخفية هو التركيز على إقناع عقلك الباطن بما تريد.

علقت زها بحزن:

- لكن أنا لا أستطيع أن أفعل مثل رافي!

د/ إبراهيم: ألم أقل لك يا زها إن هذه القدرات موجودة عند كل البشر، ولكن تختلف قوتها من شخص لآخر؟ لكن المؤكد أن الكل يستطيع أن يحلق على ارتفاعات مختلفة.

ود: أنا فتاة حالمة، وكان نفسي أقنع عقلي الباطن أن أطير في الهواء لأخترق الحواجز والسدود.

صافي: مرة اثنين أغبياء قرروا الهروب من السجن فوضعوا خطة قالوا: لو البوابة عليها حواجز وسدود عالية نهدمها، ولو منخفضة نقفز فوقها.. هربوا ليلًا.. وصلوا إلى البوابة فلم يجدوا حواجز أو سدودًا فقالوا: فشلت الخطة وعادوا إلى السجن ☺

د/ إبراهيم: التزم الأدب يا صافي!

صافي: أنا آسف.. أعتذر.

د/ إبراهيم: من عنده شيء آخر أقنع به عقله الباطن؟

فيصل: أنا أقنعت عقلي الباطن بشيء مختلف.. أنا قررت ألا يقدر أحد منكم على حملي من مكاني رغم أن وزني 40 ك.ج، لكن لن يحملني أحد!

د/ إبراهيم: مستعد؟ نعمل تجربة؟

فيصل: نعم.

وبدأ يقول:

- أنا ثابت في مكاني لن يزحزحني أحد!

ضحك الدكتور إبراهيم قائلًا:

- الكل يجري يزحزح فيصل من مكانه!

جرى الجميع نحوه، لكن المفاجأة أن فيصل عاند بكل قوته ألا يتزحزح، وبالفعل نجح فيصل وبقي ثابتًا في مكانه، ولم يقدر كل الشباب مجتمعين على تحريكه من مكانه.

وأيام كان التدريب قد بلغ مستوى أعلى، فقد بدأ الشباب يصلون إلى درجات عالية من التركيز، وزادت قدراتهم على إيقاظ طاقاتهم الخفية، وتوجيه عقلهم الباطن نحو ما يريدون، وزادت ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم.

وشعر الأستاذ شهاب والدكتور إبراهيم أن إحساس الشباب بقوتهم وقدراتهم قد يصيبهم بالغرور والإعجاب بالنفس، وقد يدمر هذا كل إنجاز قد يحققونه في المستقبل، لذلك أخذهم وخرج بهم إلى مزرعة بجوار المركز بعيدًا عن جو التدريب، ليوجه سلوكهم بطريقة مؤثرة.

أ/ شهاب: لا بد أن تعلموا يا شباب أن القدرات غير العادية سلاح ذو حدين، فقد يستخدم في الخير فيصلح العالم، وقد يستخدم في الشر فيدمر العالم.. لذلك يحتاج الأمر بجوار التدريب على القدرات الخارقة إلى تدريب آخر على قوة الأخلاق. فلن تستطيعوا الاستمرار في إطلاق قواكم الخفية إلا بنفس أخلاقية هادئة نقية. لذلك كله فالأخلاق ضرورية لنجاحكم، ولكل نجاح في الحياة، وقبل كل ذلك لإرضاء الله.

رافي: وكيف أحقق ذلك؟

أ/ شهاب: أن تنفذ مبدأ الإلزام الذي جاء به القرآن.

رافي: مبدأ الإلزام؟ وما هو مبدأ الإلزام؟

أ/ شهاب: أي قانون في الحياة لكي ينفذه الناس لا بد من وجود إلزام عليهم لينفذوه، وبدون الإلزام تكون الأخلاق والقوانين عمومًا كلامًا لا معنى

لـه ولا قيمـة له. لكن الإلزام في القرآن له طريقـة فريدة رائعة وجميلة، لو نُفّذت بشـكل صحيح لتحققـت نتائج أفضل مائة ألف مـرة من أي قانون إلزامي آخر.

رافي: كيف ذلك؟ اشرح لي أكثر يا أستاذ شهاب!

أ/ شهاب: الإلزام في الإسلام يبدأ من الفرد ثم المجتمع ثم الدولة، وهو إلزام اختياري وليس إجباريًّا، ثم أخيرًا يأتي القانون من الدولة في النهاية وليس من البداية.

رافي: وكيف ذلك؟

أ/ شـهاب: الإلزام في الإسـلام يبدأ من ضمير الإنسان من فطرته.. يبدأ بالحـب.. حب الله.. الحب يا رافي هـو مدخل الإلزام.. الحب الذي يجعلك إذا عرفت الآمر سـهلت الأوامر.. أي إذا عرفت الله وأحببته سـهلت عليك طاعته. الحـب الـذي يجعلك تشـعر أن الله معك فـي كل لحظة يحفظك ويسـمعك ويعطيك ويسـتجيب لك. فكيف تعصاه في أهم ما يريده منك وهو الأخلاق؟ باختصار الله يحبك فيستيقظ ضميرك عند ذلك، لذلك فالأخلاق إلزام اختياري منبعه الحب وليس الإكراه أو الإجبار؛ لأن الإنسان يحب بطبعه الحرية ويكره الإجبـار، فعرض الله عليه الأخلاق من باب الحب لله. وهل هناك أقوى من أن يلزم الإنسان نفسه بنفسه وبكامل اختياره أن يضبط أخلاقه؟

رافي: كيف أنفذ ذلك؟

أ/ شهاب: ألزم نفسك يا رافي بالأخلاق.. الإلزام الاختياري يحتاج جدية من الإنسان مع نفسه ومع الله لأنه اختياري.. كن جادًّا يا رافي وقل لنفسك: «أنا ملزم أمام الله بأن أعامل كل الناس بحسن خلق».

بدأ كل شاب من الشباب يشعر لأول مرة أن الأخلاق تنبع من داخله وباختياره وبحريته، وأن هذا الاختيار مبني على الحب وليس على الإجبار. كان هذا المفهوم جديدًا عليهم، فلما شعروا بحريتهم في القرار شعروا بالمسئولية أمام أنفسهم وأمام الله.

أغمض رافي عينيه وقال بصوت خفيض سمعه الشباب:

- اللهم بما وهبتني من حرية الاختيار، فإني ألزم نفسي أمامك اليوم بحسن الخلق!

زها: اللهم إني أحبك، وأعلم أن أكثر شيء يرضيك عني حسن خلقي.. أعاهدك أن لا أكذب ولا أغش ولا أخدع!

ود: اللهم إن نعمك علي كثيرة وعظيمة، حتى إني أشعر أني أغرق في نور من نعمك.. اللهم إني ألزم نفسي أمامك أن أبر أمي وأبي، وأصل رحمي، وأحسن إلى جاري!

فيصل: اللهم إني ألزم نفسي أمامك ألا أغضب، وأن أحفظ لساني!

علي: اللهم إن حبك لنا سبق حبنا لك، فأنت تقول: «يحبهم ويحبونه»، وأنا لحبك ألزم نفسي بحسن الخلق ما حييت!

صافي: هذا الإلزام يقبله كل دين، وأنا كمسيحي موافق عليه، وأعاهد الرب أن أعيش وأموت حسن الخلق!

كانت لحظات مؤثرة للغاية، فنادرًا ما يتأثر الناس عند الكلام عن الأخلاق بهذه الصورة، لكن مدخل الحب أجمل مدخل يهز القلوب والعقول.

اطمأن الأستاذ شهاب على أخلاق الفريق، وشعر أنه أنجز شيئًا عظيمًا يحتاجه كل شاب، وشعر الجميع أن الوقت قد حان لاستكمال آخر حلقة في التدريب على إيقاظ القوى الخفية.

ففي اليوم قبل الأخير بدأ الدكتور إبراهيم التدريب على موضوع جديد أخطر وأعمق في إيقاظ القوى الخفية فقال:

- الإنسان خلق من عقل وروح.. وكل ما مضى تكلمنا عن العقل، لكن الجزء الثاني من إيقاظ القوى الخفية في الإنسان هو الروح.. من يعرف لماذا صممنا مبنى المركز من الزجاج؟

صافي: لنكتشف من الذي يسرق الساندوتشات وقت الفسحة.. هاهاها!

فيصل: أنا لا أطيق هذا الشخص!

صافي: مرة واحد دمه ثقيل ولا يطاق ذهب لطبيب نفسي وقال له: مشكلتي يا دكتور أني أشعر أن الناس كلها لا تطيقني ومخنوقين مني.. فقال الدكتور للممرضة: بسرعة المريض اللي بعده!

وجه الدكتور إبراهيم نظرة حازمة لصافي ليصمت تمامًا، فصمت في الحال، ثم أعاد السؤال:

- من يعرف لماذا صممنا مبنى المركز من الزجاج؟

ود: لنكتشف الأشياء المزيفة.

رافي: لنعيش في جو من شفافية الروح مثل هذا الزجاج الشفاف.

د/ إبراهيم: فعلًا يا رافي.. السر العميق لانطلاق القوى الخفية روح شفافة، حتى تصل إلى مرحلة التخاطب عن بعد.

علي: وما هو التخاطب عن بعد؟

د/ إبراهيم: التخاطب عن بعد عبارة عن نقل فكرة من عقلك لعقل إنسان آخر دون كلام ودون وجود وسيط مادي لينفذ ما تريد، فهو ببساطة عملية اتصال مع إنسان آخر عن بعد، دون استخدام وسائل اتصال مادية، فقط باستخدام التركيز وشفافية النفس وقوة العقل الروحاني.

رافي: معقول هناك من يملك قدرة على التخاطب مع إنسان آخر عن بعد؟

د/ إبراهيم: طبعًا.. ومن أشهر من كان يملك هذه الصفة عمر بن الخطاب.

رافي: كيف؟

د/ إبراهيم: في قصة حقيقية شهيرة أن عمر بن الخطاب أرسل جيشًا من المدينة إلى الشام بقيادة سارية بن زنيم، والمسافة بينهما آلاف الكيلومترات، وبعد عدة أسابيع كان عمر يخطب على المنبر، وفجأة أوقف الخطبة لينادي: «يا سارية الجبل الجبل». ولم يفهم أحد ولم يشرح لهم عمر حتى عاد سارية من الشام وسأله الناس كيف انتصرت؟ فقال: كاد الأعداء يحيطون بنا، لكني سمعت صوت عمر بن الخطاب ينادي: «يا سارية الجبل الجبل»، فاحتميت منهم وجعلت ظهر الجيش إلى الجبل فانتصرت.

علي وفيصل: لا يمكن.. هذا شيء غير عادي!

د/ إبراهيم: هناك أناس تمتلك عقلًا روحانيًا شفافًا، مما يعطيها طاقات هائلة غير عادية، تصل بها إلى مرحلة التخاطب عن بعد.

فيصل: وكيف نمتلك القدرة على هذه الخاصية الرهيبة؟

د/ إبراهيـم: إنهـا تحتاج لدرجات مـن التركيز العالي جـدًّا، وتمارين مستمرة للتأمل لمدة شهور طويلة للتدريب، لكن بعض الناس لديها قدرات فطرية خلقها الله بها للتخاطب عن بعد.

رافي: وهل في عصرنا الحالي من يملك هذه القدرة غير العادية بشكل فطري؟

د/ إبراهيـم: نعم.. وقد تكون أنت ممـن يملكها يا رافي.. وربما أنت يا زها أو أنت يا فيصل أو صافي.

رافي: من؟ أنا؟ لا لا أظن!

فيصل: ولا أنا!

صافي: وأكيد لا يمكن أن أكون أنا!

د/ إبراهيـم: تعالوا نجـرب! كل واحد منكم يركز وينقي صدره من كل غل أو حقد أو كراهية لأي إنسان، كأن يقول: أنا عفوت عن كل من ظلمني، ويصدق مع نفســه في ذلك، ثم يركز تركيزًا شـديدًا جـدًّا، بحيث يلقي من ذهنه أي خاطر أو أي شــيء يشـوش عليه، ويبدأ في التخاطب مع إنســان يريـد مخاطبته عن بعد. وأعتقد أن البنات ممكن أن يكنَّ أكثر شـفافية في هذا الأمر.

بعـد لحظات من التركيز وقد أغمضوا أعينهم لتصفو النفوس والعقول، صرخت زها فجأة والدموع في عينيها:

- أنــا فعلتها.. أنا فعلتهـا.. لقد افتقدت أمي منـذ أن حضرت إلى هنا، فتمنيت لو أنها ترسـل لي رسـالة وخاطبتها الآن عـن بعد.. انظر يا

دكتور إبراهيم.. انظر.. لقد أرسلت لي الآن فقط رسالة تقول: «أحبك وأفتقدك وأدعو لك».

أما رافي فحدث معه شيء أكثر عجبًا!

لقد نظر إلى الدكتور إبراهيم فوجد قطرات من الماء ستسقط فوق رأسه من فتحة صغيرة في سقف الحجرة، ولم يرها أحد إلا رافي، فقرر أن يخبره بها عن طريق التخاطب عن بعد ليتحرك ويقوم من مكانه، فبدأ يمارس عملية تركيز شديد غير عادي.. وما هي إلا لحظات حتى تحرك الدكتور إبراهيم، فصرخ رافي:

- أنا حركتك يا دكتور.. أنا خاطبتك وحركتك!

فصمت الجميع بمن فيهم الدكتور إبراهيم من فرط الدهشة!

لكن فيصل بدا حزينًا:

- أنا لم أقدر أن أفعل أي شيء!

د/ إبراهيم: لكنك قدرت أن تمنعنا أن نزحزحك من مكانك. أرأيتم أن كل البشر عندهم قدرات هائلة، لكن قوتها وموضع تميزها يختلف من واحد إلى آخر؟ لكن الله عادل، أعطى الجميع قوى هائلة، وعلينا أن نكتشفها ونوظفها للخير.

بقي الشباب في تدريب مستمر حتى وصلت الرحلة إلى محطتها الأخيرة، وفي اليوم الختامي للرحلة أصبح عقل رافي مشبعًا تمامًا بما تعلمه، وتبادل الشباب أرقام هواتفهم وإيميلاتهم، وتواعدوا على استمرار التواصل بينهم، وحددوا موعدًا سريعًا للقاء. وكان الأجمل أن الأستاذ شهاب

أخبرهم أنهم لتميزهم سيكون لهم تدريب شهري في المركز لمزيد من الارتقاء بمستوياتهم.

استعد الجميع للرحيل، وأعد رافي حقائبه، لكن قبل مغادرة المركز طلب منه الأستاذ شهاب الحضور إلى مكتبه. ذهب رافي وكان قد نسي ما فعله معه الأستاذ شهاب في بداية الرحلة، لكن يبدو أن الأستاذ شهاب لم ينس، فاستدعاه إلى مكتبه.

أ/ شهاب: هل استفدت يا رافي؟

رافي: نعم.. أكثر مما كنت أتوقع!

أ/ شهاب: رافي.. كنت قد سألتني عن الأسرار التي أعلمها عن والدك، وأنا اليوم سأخبرك عن أول سر أخبرني به والدك عنك.

رافي: نعم.. أسمع..

أ/ شهاب: أخبرني والدك أنك إنسان غير عادي، وأن لديك هبة غير عادية من الله.

رافي: بابا أخبرك بهذا؟ معقول بابا كان يعرف عني ذلك؟

أ/ شهاب: نعم.. لكني لم أكن أتخيل أنك بهذه القدرات الهائلة.. أنت فعلًا إنسان غير عادي، ولديك طاقات هائلة.

رافي: هذا أسعد يوم في حياتي وأنا أسمع هذا الكلام.. لعل أبي يفتخر بي وهو في قبره!

أ/ شهاب: ولعلك تتساءل الآن لماذا لم أخبرك بهذا من قبل؟

رافي: نعم.

أ/ شـهاب: صدقني يا رافي أنا لم ولن أتخلى عنك، لكن كل شـيء في وقتـه أفضل. فأنت سـتواجه عواصف عاتية، ومازلـت صغيرًا وأمامك عمر طويل بإذن الله، وكلما كبر سـنك زادت قدرتك على أن تكون مرنًا لا تعاند العواصـف، لكن تلين معها حتـى تحقق هدفك. هناك حكمـة تقول: «تمر العواصف بسلام على الأشجار التي تلين، وتقتلع الأشجار التي تعاند».

رافي: الآن فهمت.. وماذا عن باقي الأسرار؟

أ/ شـهاب: هناك سر خطير يا رافي يتعلق بوالدك ووالدتك.. أحتاج أن أجلس معك وحدنا لأطلعك عليه.

ليكن موعدنا الأسبوع القادم.. هناك في أرض الرملية!

تجربة نية

- 1 -

عاد رافي من الرحلة بروح عالية وبثقة كبيرة بنفسه.. بدأ يتعامل مع نفسه بصورة مختلفة، فلقد ملأ غرفته بشعارات إيجابية حتى يقرأها ليل نهار، مثل: «سأحقق أحلامي كلها.. أنا أقوى من كل التحديات.. طاقتي ستخترق كل الأسرار». ولم يكتف بهذه الشعارات، لكنه بدأ يمارس تمارين يومية للتأمل العميق، وحتى عندما يصلي صارت صلاته مختلفة، فلم تعد صلاة روتينية خاطفة لإسقاط الفريضة أو إراحة الضمير، وإنما صارت صلاة كلها سكينة وتركيز، وكأنه يصعد بروحه إلى السماء ليخرج من عالم المادة إلى عالم الروح. وزاد تركيز رافي على تنمية قدراته، وبدأ يقرأ في كتاب استعاره من مكتبة مركز تنمية القدرات غير العادية (DCGT)، وكان الكتاب بعنوان «فن قراءة الأفكار»، فوجد أشياء جديدة لم يسمع بها من قبل.

وجد هذه العبارة: «إنه أمر ممكن وليس مستحيلًا أن يرسل كل شخص من عقله رسائل تتلقاها العقول الأخرى. والحقيقة أنك تقوم طيلة نهارك بالإذاعة والاستقبال بدون وعي منك، فإن أفكارك تنبعث من عقلك إلى أصدقائك ومن يشاركونك عواطفك وأحاسيسك. كما إنهم هم أيضًا يرسلون

أفكارهم إليك، وتسـافر هذه الرسـائل مسافة خمسـة أقدام أو خمسة آلاف ميل؛ لأن الأمواج الفكرية تحمل الرسائل بقوة تفوق الأسلاك التليفونية».

ووجـد ملخص الكتاب في هذه العبارة: «للعقل الباطن قدرة على قراءة أفـكار الغيـر، كما إن له قدرة على إرسـال إيميلات ذهنيـة للآخرين بدون الاستعانة بوسائل الاتصال العادية».

قال رافي في نفسـه: سـبحان الله! فعلًا إن أعظم منطقة غير مكتشفة أمام الإنسان هي منطقة عقله هو.

أراد رافـي أن يـدرب نفسـه على هـذه الطريقة، فدخل علـى الإنترنت وسـجل في خانة بحث جوجل: «طرق التدريـب على قراءة الأفكار»؛ فوجد هذه الطريقة:

1 - يجلس الشـخص منفردًا في غرفـة هادئة، محولًا ظهـره جهة النور، مركزًا عقله جامعًا شتات أفكاره فترة من الزمن.

2 - يركـز نظره في شـيء محدد ثابت بنظـرة هادئة، محـاولًا التعمق في التأملات، واتخاذ حالة القابلية للتأثير، فيكون أقرب إلى حالة الحلم منه إلـى حالة الصحو. ولا بأس من حصر النظر بواسـطة اليدين، أو قطعة ورق، أو كاب، فإنه يمنع انصراف النظر إلى غير هذا الشيء المحدد.

3 - على الناظر ألا يجهـد عينيه، وله أن «يرمش» كلما أحس بتعب، وعليه أن يكون صبورًا غير متعجل.

4 - ثم يبدأ بعد ذلك في إرسال رسالته إلى الشخص الآخر.

أراد رافي أن ينفذ هذه الطريقة؛ فقرر أن يرسل إيميلًا ذهنيًا إلى صديقه علي دون اسـتخدام كمبيوتر أو تليفون.. فقـط إيميل ذهني، فجلس وركز

في صديقه علي، وظل يلح على فكرة واحدة هي: «أريدك يا علي أن تتصل بي اليوم».. كان رافي يعلم أن اتصال علي به في البيت شيء صعب بسبب تضييق عمه عليه، لكنه أصر على إرسال هذا الإيميل الذهني لصديقه. مضى نصف النهار ولم يتصل علي، لكن رافي لم يفقد صبره، وظل يدعو الله واستمر في محاولة مراسلة علي ذهنيًا. وقبل المغرب وبينما هو في حجرته وجد صوت شيء يصطدم بنافذة حجرته، فجرى نحو النافذة، فإذا بها كرة تنس هناك من يقذفها عمدًا لتصطدم بنافذة الحجرة.. فتح رافي النافذة ونظر.. إنه علي.. لقد جاء علي! طار رافي فرحًا.. لقد وصله الإيميل الذهني!

أما علي فلم يقل إلا كلمة واحدة: «أفتقدتك فجئت أسأل عنك».

وأشار بيده إلى رافي أن سلام وانصرف.

ومنذ ذلك اليوم بدأ رافي يمارس إرسال الأفكار لكل من حوله، حتى وهو يمارس حياته اليومية الطبيعية.. ففي اليوم التالي كان في المزرعة وتأخر هناك، وخاف من غضب عمه، ولم تكن معه دراجته؛ فقرر أن يركب الحافلة من المزرعة إلى البيت، إلا أنه لم يجد في جيبه إلا ثمن تذكرة واحدة فقط، فركب حافلة كانت شبه خالية من الركاب ودفع ثمن التذكرة، ولكنه لاحظ أن السيارة تنحرف إلى اتجاه آخر بعيد، وقال له المحصل إن الحافلة غيرت اتجاهها وعليه أن ينزل ويأخذ حافلة أخرى، لكن رافي لم يكن معه أي مبلغ لمواصلات أخرى، وإذا اختار أن يمشي فالمسافة 5 كيلو، وأكيد سيتأخر أكثر على عمه. وصل به اليأس إلى قمته، وظل واقفًا عند محطة الحافلة ليس معه مال، ولا يدري كيف يعود؛ فتمنى أن يرسل له الله من يحل مشكلته في هذه اللحظة.. وفجأة سمع رافي صوتًا يناديه من خلفه،

فالتفت فوجد رجلًا يمسك ورقة حمراء في يده ويقول: «أعط هذه إلى أي شخص يكون في حاجة إليها، فقد غيرت اتجاهي ولست في حاجة إليها»، فأخذها رافي بدهشة شديدة، فقد كانت هذه الورقة هي تذكرة الحافلة التي يريدها ليعود إلى البيت، فلم يعطها رافي لأحد بالطبع، واستعملها في الذهاب إلى البيت. عندها اكتشف رافي أن أفكاره القوية غالبًا ما يلتقطها أناس آخرون يحققون ما فيها من رغبات.

لم يكن رافي يمارس هذه التدريبات من باب التسلية ولم يكن ينظر إليها على أنها ألعاب سحرية يبهر بها أبناء القرية، أو ليستعرض بها قدراته أمام الناس. لا.. بل على العكس، لقد قرر رافي أن يتواضع شكرًا لله على ما وهبه من قدرات، ولا يتكبر على الناس بها، وأن يوظفها ويستخدمها فقط للخير والإصلاح. لذلك لم يُلهِهِ ما يكتشفه كل يوم من عجائب وغرائب قدراته الخفية عن حلمه وهدفه الأصلي في معرفة سر أرض الرملية.

ولذلك أيضًا لم ينس موعده المرتقب مع الأستاذ شهاب الذي وعده آخر يوم في الرحلة أن يلتقي به في أرض الرملية؛ ليكشف له أسرارًا كثيرة يبحث عنها. وكان رافي يعد الأيام عدًّا، بل يعد الدقائق حتى يلتقي بالأستاذ شهاب. كان يحاول أن يسرح بخياله ليتوقع نوعية الأسرار التي سيكشفها له الأستاذ شهاب، وكان بحاسته السادسة يشعر أن بعض هذه الأسرار سيكون قاسيًا ومخيفًا وصادمًا له.. هكذا حدثته نفسه دون دليل أو معلومات.. فقط كان هذا هو إحساسه. هيأ نفسه لقبول الأخبار السيئة، واستعد نفسيًا لتلقي صدمات مؤلمة على يد الأستاذ شهاب؛ فظل عدة ليال في أرق لا يعرف معه طعم النوم.

أما الأستاذ شهاب فرغم أنه هو الذي أعطى رافي الموعد، إلا أنه كان لا يزال مترددًا: هل يحكي لرافي ما لديه من أسرار، أم يظل كاتمًا لها؟ فهو يشعر أن رافي مازال صغيرًا، ويخاف ألا يتحمل الصدمة، لكنه في نفس الوقت يشعر أن رافي لا بد أن يعرف أشياء كثيرة تم إخفاؤها عنه لعدة سنوات. لذلك بقي الأستاذ شهاب مترددًا، وظل ليالي يسأل نفسه: هل لو تكلمت أكون قد حملت رافي فوق طاقته؟ حتى إنه لم ينم هو أيضًا عدة ليال.

لقد أصاب الأرق كليهما، حتى كان يوم اللقاء هناك في أرض الرملية دون اتصال أو تأكيد للموعد. وفي الزمان والمكان المحددين التقى ظلان قادمان من بعيد، ظل رافي وظل الأستاذ شهاب ولا ثالث لهما؛ فأرض الرملية خالية تمامًا من أي بشر، وكأنها تستعد هي أيضًا لسماع السر الكبير. حتى نسمات الهواء سكنت تمامًا، فالوقت قبل الغروب بدقائق، والشمس تستعد للرحيل وقد انعكس لونها البرتقالي على صخور النيازك الفضية اللون، المختلطة بالرمال الصفراء، فظهرت كأنها دموع لامعة على خد الرمال وكأنها تبكي شيئًا ما تعرفه وتخفيه منذ سنين، وقد جاء الأستاذ شهاب ليذكرها، فقررت أن تذرف الدموع تعاطفًا مع رافي وإشفاقًا عليه من كلمات الأستاذ شهاب.

أ/ شهاب: أهلًا أهلًا يا رافي.

رافي: أهلًا يا أستاذ شهاب.

أ/ شهاب: أرى سوادًا تحت عينيك.. كأنك لم تنم منذ ليال.

شعر رافي بحاسته السادسة أن الأستاذ شهاب مازال مترددًا، فقال:

- صحيح.. وماذا ترى أيضًا؟

أ/ شهاب: أرى علامات الاستفهام تملأ عينيك.

رافي: عيناي وعقلي وكل كياني في انتظار كلماتك.

أ/ شهاب: لكني أخشى عليك من قسوة كلماتي.

رافي: قسوة معرفة الحقيقة أهون من كتمانها.

أ/ شهاب: وأنا تعبت من كتمانها!

رافي: وأنا تعبت من انتظارها!

نظر الأستاذ شهاب إلى الشمس قبل لحظات الغروب قائلًا:

- غريب أن يكون إعلان الحقيقة عند الغروب!

رافي: لعلها إشارة من الله أن نور الحقيقة أقوى من نور الشمس.

ابتسم الأستاذ شهاب ابتسامة فيها تردد:

- أو لعلها إشارة من الله لتبقى الحقيقة مخفية في ظلام الليل!

شعر رافي أن الأستاذ شهاب يريد أن يهرب منه، فقال غاضبًا:

- لماذا تهرب مني مرة أخرى؟ أنت تؤذي مشاعري بهروبك هذا!

أ/ شهاب: لا بد أن تعرف أني أحبك وأني أخاف عليك وعلى مشاعرك!

قرر رافي أن يستفز الأستاذ شهاب قائلًا:

- هل أنت خائف من شيء ما؟

أ/ شهاب: لا يوجد شيء يخيفني.

رافي: إذن أنت شخصية مترددة!

أ/ شهاب: أنا لا أسمح لك يا رافي أن تكلمني بهذه الطريقة.

رافي: أنا آسـف يا أسـتاذ شـهاب.. أعتذر، لكنك وعدتنـي أن تخبرني بالحقيقة.

أ/ شـهاب: نعم أنا وعدتك أني سـأخبرك.. لكني لم أعدك أني سأخبرك بكل شيء.

رافي: إذن لا أريد أن أسمع شيئًا.. أريد الحقيقة كلها.

أ/ شهاب: أنت عنيد يا رافي!

أعطى رافي ظهره للأستاذ شهاب، وبدأ يمشي بخطوات ثابتة عائدًا من حيث أتى وهو يقول:

- انتهى اللقاء يا أستاذ شهاب.

أ/ شهاب: انتظر يا رافي!

رافي: اسمح لي أن أقول لك: أنت خنت أمانة أبي!

رد الأستاذ شهاب بصوت عال:

- لا أبدًا.. أنا طوال عمري وفي لأبيك الله يرحمه.

رافي: الله يرحمه مات واستراح وتركني في حيرتي.. ليته لم يتركني أو ليته أخبرني بالحقيقة كاملة قبل أن يموت! ليته ترك لي إنسـانًا واحدًا أثق به يساعدني بعده! ليته لم يتركني لمثلك يعذبني ويضيع الحقيقة!

اسـتفزت كلمات رافي الأسـتاذ شـهاب، فما عـاد قادرًا علـى الكتمان، فصرخ بالحقيقة:

- أبوك مات مقتولًا يا رافي!

غربت الشمس مع كلمة الأستاذ شهاب.. أما رافي فقد تسمر في مكانه، وشــعر أن الأرض تــدور به، وظل صــدى الكلمة يقرع أذنيــه: «أبوك مات مقتولًا يا رافي.. أبوك مات مقتولًا».

شــعر أن أرض الرملية كلها تصــرخ: «أبوك مات مقتولًا».. بدأت دموعه تســيل ساخنة وقد أذهلته المفاجأة.. جرى نحو الأستاذ شهاب وأمسكه من ملابسه:

- ماذا تقول؟! ماذا تقول؟!

أ/ شــهاب: نعم هذه هي الحقيقة.. أبوك مــات مقتولًا.. قطعت فرامل الســيارة قبل أن يركبها، لتبدو الحادثة قضاء وقدرًا. كل شيء كان مدبرًا.. اتصــل به تاجر فاكهة في الصباح الباكــر ليعرض عليه أن يحضر للقاهرة لشــراء المحصــول، والحقيقة أن التاجر لم يتصل، وإنما ادعى شــخص ما أنه هو التاجر، ليجعل أباك يســافر في هذا اليــوم الممطر العاصف، بينما قطعت فرامل السيارة قبل السفر مباشرة بفعل فاعل.. هكذا صرح المعمل الجنائي عن ســبب الوفاة.. كان المقصود أبــاك وحده، لكن أمك أصرت أن تذهب معه، وكذلك أنت، لكن الله نجاك ولم يبق من الجريمة إلا هذا الجرح في جبينك، كأنه علامة من الله حتى لا تضيع الحقيقة.

فجأة حدثت لرافي ومضة في ذهنه تشبه فلاش الكاميرا، فعاد بذاكرته ليوم الحادثة كأنه شــريط فيديو يشاهده أمامه بكافة تفاصيله.. فجأة رأى أمامه عم إدريس وهو يدخل البيت قبل السفر بدقائق يطلب إجازة في هذا اليوم لمرض ابنه.

صرخ رافي: من قتل أبي؟! عم إدريس السائق؟!

أ/ شهاب: لا نستطيع أن نجزم مائة بالمائة أن إدريس هو القاتل، لكن كل الشواهد تقول ذلك، خاصة أنه كان الوحيد الذي يسمح له والدك بقيادة أو صيانة السيارة. والسيارة قبل الحادث كانت في الجراج، فلم يقترب منها أحد فــي الغالب إلا إدريس، ثــم طلبه المفاجئ للإجازة يزيد من الشــكوك حوله، ثم الأغرب أنه اختفى بعد الحادث بشكل غامض ومثير للشك.

رافي: وكيف اختفى إدريس؟

أ/ شــهاب: إدريــس يوم عزاء أبيك كان يبكي بحرقــة، وذهب إلى عمك وأخبــره أنه لا يســتطيع أن يعمل مع أحد بعد أبيك، وأنه ســيعود إلى بلده فــي النوبة ليعيش هنــاك، ومن يومها اختفى إدريــس.. ولما أظهر المعمل الجنائي أن سبب الوفاة متعمد، كانت الشبهات كلها تحوم حول إدريس أنه هو الذي قطع الفرامل. بحث البوليس عنه في كل مكان فلم يظهر له أي أثر إلى يومنا هذا، وقال الناس في بلده إنه هاجر إلى السودان واختفى هناك.. بحثنا عنه عند كل معارفه وأصدقائه فأكدوا جميعًا أنه سافر إلى السودان.

رافي: ومقتل أبي؟! هل تم التحقيق في القضية؟!

أ/ شــهاب: قُيِّدت القضية ضــد مجهول لعدم وجود شــهود، ولاختفاء المتهم الوحيد وهو إدريس.

رافــي: لكن لماذا يقتــل إدريس بابا؟ لماذا؟ كان أبــي رحيمًا به، وكان ينفق على علاج وتعليم أولاده.. لماذا يخونه؟ ما هي مصلحته من قتل أبي؟

أ/ شهاب: إدريس لم يكن إلا أداة لتنفيذ جريمة كبيرة.

رافي: إذن فمن قتل أبي؟!

أ/ شهاب: إذا أردت أن تعرف قاتل أبيك فابحث عن المستفيد من قتله.

رافي: ومن المستفيد من قتله؟

أ/ شــهاب: أبوك كان رافضًــا تمامًا لبيع تــراب أرض الرملية، أو حتى مجــرد أخذ عينات منها، واعتبر أبوك أنه من الخيانة للبلد ولأهل القرية أن يمس أحد تراب الأرض، قبل أن يفهم أولًا ما قيمة هذه الأرض. وقد اعتبرها مســألة كرامة، وكان يرى أن الأرض لن يعــرف أحد قيمتها إلا إذا أفاق أهل البلد من الجهل والأمية؛ فأصر على بناء المدرســة أولًا ليكون العلم ســلاح أهل البلد ليحافظوا به على أرضهم. لكن الشركات المستفيدة من بيع أرض الرمليــة حاولت معه عدة مرات، وحاولوا رشــوته بالمــال وهددوه أكثر من مرة بشــكل غير مباشر.. لكن أباك كان صلبًا عنيدًا، وأقسم ألا يتفاوض مع أي شــركة حتى تفتح المدرسة أولًا ويعرف ســر أرض الرملية. ثم حاولت هذه الشــركات أن يتوســطوا بأحد أصدقاء أبيك، فتوسط الدكتور نبيل أبو العز الذي كان يعمل في إحدى هذه الشركات كخبير تكنولوجي ليقنع أباك. لكــن الدكتور نبيــل كان رجلًا وطنيًا، فبدلًا من أن يقنــع أباك ببيع الرمال، ثبته على رأيه؛ لأنه كان يعلم قيمة هذه الأرض.

رافي: تقصد أن هذه الشــركات هي التي استخدمت إدريس ليقتل أبي، ثم ساعدوه على أن يهرب لتختفي معالم الجريمة تمامًا؟

أ/ شهاب: نعم أعتقد ذلك.

رافي: وكيف قبل عمي هذا؟! كيف قبل أن يذهب دم أبي هكذا بلا ثمن؟!

أ/ شــهاب: عمك كان كل همه ســرعة تقســيم التركة، والســيطرة على ميراثــك وميــراث عمتك ســلمى، فلما طــال البحث عن إدريــس ولم يصل البوليس إلى شيء، كان هو الذي وقع على إقرار التحفظ على القضية لتقيد ضد مجهول.

رافي: أنت كيف عرفت كل هذا؟!

أ/ شهاب: أبوك كان له ثلاثة أصدقاء مقربون يشاورهم دائمًا، خصوصًا فــي موضوع أرض الرملية. كنت أنا واحدًا منهـم، والدكتور نبيل أبو العز، والدكتــور مخلص أبو الوفا خبير الآثار الفرعونية، وكنا نجلس معه كثيرًا. وقبل الوفاة بأســبوع كان يجلس معنا، وكان يبدو عليه الحزن والقلق وأنا سألته..

وراح الأستاذ شهاب يتذكر كأنه يستعيد الماضي البعيد...

شهاب: مالك يا مراد؟

مراد: أشــعر بضيق في صدري.. أشعر أن إصراري على عدم بيع رمال أرض الرملية لن يمر بسلام، وسيتسبب لي في مشاكل كثيرة.

د/ نبيــل: يا مراد أنت رجل شــجاع تحب بلــدك، وتفعل ما هو صحيح، فلا تخف شيئًا.

د/ مخلــص: لا يا دكتور نبيل.. أنا فعــلًا خائف على مراد، والموضوع فعلًا خطير.

د/ نبيل: أنت طبيعتك هكذا خائف دائمًا يا دكتور مخلص.

مراد: يا جماعة قدر الله مكتوب ولا يغيره أحد، ولن يفر منه أحد.

د/ نبيل: إذا كان قدر الله مكتوبًا، فلماذا لا نفعل ما هو صحيح؟

ابتســم أبوك راضيًا عن كلمات الدكتور نبيل، وكان هذا آخر حوار لأبيك معنا حتى كان يوم خبر الحادثة ووفاة والديك.

رافي: ولماذا لم تفعلوا شيئًا؟ أين الوفاء لصديقكم؟

أ/ شـهاب: عندمـا أثبـت المعمل الجنائـي أن حادثة السـيارة لم تكن طبيعيـة، وإنما كانت جريمة قتل مدبرة، سـافرنا نحـن الثلاثة إلى القرية بعيـدًا عن البوليس؛ لعلنا نصـل إلى مكان إدريس لكنـه اختفى تمامًا، ثم حاولنـا مع عمـك كثيرًا حتـى لا تقيد الحادثـة ضد مجهـول، لكنه رفض وطردنـا من بيتـه، بل ومن القرية كلها.. ثم فرقتنـا الأيام نحن الثلاثة، فما كان يجمعنا إلا أبوك الله يرحمه.

رافي: ولماذا لم تحاولوا الاتصال بي كل هذه السنين؟

أ/ شـهاب: أنت كنت صغيرًا يا رافي، وعمك قرر أن يخفي عليك حادث قتـل أبيك، وهددنا إذا حاولنـا التواصل معك فإنه سـيتعامل معنا بمنتهى العنف.

نظر رافي إلى الأستاذ شهاب نظرة أسف:

- فتركتموني وآثرتم السلامة!

أ/ شـهاب: أبدًا.. أنا لم أنس أباك ولم أنسـك، لكني كنت أنتظر اللحظة المناسبة لإخبارك، وها هي قد جاءت.

رد رافي بحسرة:

- تأخرت كثيرًا يا أستاذ شهاب!

أ/ شـهاب: أبدًا يا رافي، فأنا الذي دفعت علي أبو الحسن ليأتي بك إلى مركـز تنمية القدرات غير العاديـة، واتفقت معه على ذلك حتى لا أظهر أنا في الصورة فيمنعك عمك.

رافي: وهل عمتي سلمى تعرف كل هذا؟

أ/ شــهاب: نعم.. عمتك تعرف كل شــيء، وهي التي طلبت من الجميع ألا يخبـروك بالحقيقة حتى تكبر، خوفًا عليك ألا تتحمل الموقف. لكنها في نفس الوقت وقفت أمام عمك بشــدة لتأخذ حقك في الميراث، وفي ضرورة أن تكمل تعليمك، لكنه كان عنيفًا معها، وعاملها بقسوة حتى تزوجت بعدها مباشرة، واضطرت أن تسافر مع زوجها للدراسة في أمريكا.

رافي: ومن يعرف أيضًا بحقيقة مقتل أبي؟

أ/ شــهاب: كل أهـل القريــة يعرفون.. حتــى بهلول المجنــون يعرف الحقيقة.

سالت دموع رافي مرة أخرى:

- كل الناس تعرف الحقيقة إلا أنا! إلا ابن مراد بركات.. سيأتي يوم كل الناس ســتعرف الحقيقة مني أنا، وأنا الآن عرفت خطوتي التالية.. لا بـد أن أصل إلى إدريس، وســأصل إليه ولو في آخـر العالم.. دم أبي أغلى من حياتي.

لم يجد الأســتاذ شــهاب كلامًا يقوله، فما كان منــه إلا أن ضم رافي إلى صدره وحضنه بحنان كبير وقال له:

- وأنــا معك يا رافي.. كل إمكانياتي ســأضعها بين يديك، لكن تذكر يا رافي أن النجاح مرهون بمعادلة مهمة.

رافي: وهل تعرف المعادلة؟

أ/ شــهاب: نعم أعرفها، وأعــرف أن أباك علمها لك قبل أن يموت.. فهل تذكرها يا رافي؟

رافي: طبعًا أذكرها.. أرض غنية + إنســان يتعلم ويعمل + قيم وأخلاق = حضارة تســعد النــاس وتغنيهم.. وعلمنــي أيضًا أن تـراب الوطن غال، وعلمني الصلاة، وعلمني الحب.

أ/ شهاب: مراد لم يمت يوم أنجب رجلًا مثلك يا رافي.

ودع رافي الأســتاذ شهاب، واتفقا على الاتصال الدائم عن طريق صديق رافي علي أبو الحسن، وانطلق رافي عائدًا إلى القرية يحمل صدمته، وكأنها حمل ثقيل وضع على ظهره فجأة. كان يسير في ظلمة الليل ولا يدري أين هو ذاهب، فقط يجر قدميه وينظر في ســواد الليل كأنه يرتدي لون السواد مــن أجل والديــه. وفي لحظات من التركيز الشــديد غاب عن عالم البشــر، وشــعر أنه انتقل إلى عالم الروح، وحلقت روحه فوق جســده كأنها تسبح في الســماء تبحث عن أحضان والديه، وشعر أنه يمشي بين والده ووالدته، وزاد تركيزه فشـعر أن يد والده تمســك يده اليمنى، وأن والدته تمسك يده اليسرى، وأحس بدفء لمســة يدي والديه، حتى إنه أحس بأنفاسهما وشم رائحتهما المميزة، ووجد نفسه يحدثهما ويستمع إليهما.

رافي: أبي.. أمي.. اليوم شعرت بقسوة كلمة يتيم.. أنا يتيم وحيد بدونكما!

مراد: كن مع الله يا رافي ليأويك في يتمك، ألم تســمع الآية: «ألم يجدك يتيمًا فآوى»؟

ليلى: صل يا رافي.. صل يا حبيبي فالصلاة لك نور.

رافي: فراق الأحباب أصعب ما في الحياة.

ليلى: الفراق مكتوب على كل البشــر، حتى نلتقي على باب الجنة لنحيا في سعادة إلى ما لا نهاية.

رافي: سأفقد معنى الحياة حتى يكون هذا اللقاء.

مراد: لا يا رافي.. لا يلتقي على باب الجنة إلا من فعل الخير ومن أصلح فــي الدنيا. وأبوك عاش ليصلح حياة أهل البلد، وليجعل أرض الرملية خيرًا لكل بلدنا، ولذلك قتلوني.

رافي: إذن سأعيش لأنتقم ممن قتلوك!

مراد: لا يا رافي.. نفسية المنتقم نفسية مريضة، ولكن نفسية المصلح نفسية سليمة. صحيح يجب أن تصل لمن قتلوني، ولكن ليس لتنتقم ولكن لتعرف ســر أرض الرملية، لتكمل مســيرة أبيك وتبني المدرسة، ليحيا أهل بلدنا حياة كريمة، وعندها سنلتقي على باب الجنة إن شاء الله.

ليلى: منصور يا رافي في مهمتك.. منصور بإذن الله.

مــراد: تذكر يا رافــي دائمًا كلماتي لك.. اقرأ وابحث واســأل لتصل إلى الحقيقة.. هذا يا بني هو مفتاح النجاح.

ليلى: تذكر دائمًا يا رافي أن أفضل صفة فيك هي صفة الإصرار.

أفاق رافي من غفوته أو من تركيزه الشــديد، وقد لمســت كلمات والديه قلبه. لم يفكر كثيرًا أكانت خيالًا أم حقيقة، لكنه جفف دموعه، وبدأت عيناه تلمعــان فــي تصميم وتحد ليكمــل الطريق نحو الحقيقة. لم تكن الســاعة قد تجاوزت السادســة مســاءً. أراد أن يعود إلى البيــت فلم يصل ولم يضل الطريــق، وإنما قادته خطواته فتوقف فجأة ليجد نفســه فــي قلب القرية، وســط عشرات من شــباب القرية جالســين في المقاهي يدخنون الشيشة، يقتلــون الوقت أو يقتلون الحيــاة، فالوقت هو الحياة. أخذ ينظر إليهم وهم ســارحون في الدخان الخارج من أفواههم، وفي الحقيقة هم سارحون في

اللاشــيء؛ لأنه لا شيء له قيمة في حياتهم، فلا هم متعلمون لأنه لا مدرسة فــي القرية، ولا هم منتجــون يعملون لأنه لا توجد وظائــف بالقرية، بينما لديهــم كنز فــي أرضهم لا يعلمون عنه شــيئًا، هو الحل لكل مشــاكلهم لو عرفــوا قيمتــه. وقف رافي ينظر إلى هؤلاء يتأملهم بقوة، ولأول مرة يشــعر بالمسئولية تجاه هؤلاء الشــباب، وكانت رؤيته لهم تزيده إصرارًا أن يكون له دور في مستقبل أفضل لهم.

أحس رافي في هذه اللحظات أنه محتاج لإنسان حكيم يتكلم معه، ليستشيره فيما ســمع من الأستاذ شــهاب، فظل يفكر من هو هذا الشخص، فظهرت أمام عينيه صورة الشيخ سالم إمام القرية؛ فقرر أن يمارس تمرين التخاطب عن بعد ليســتدعي الشيخ ســالم ليحضر إليه في مكانه هذا.. فبدأ في التأمل والتركيز العالــي، وأخرج كل الأفكار التي يمكن أن تشــتت تركيزه، واســتحضر صورة الشيخ سالم وناداه في سره مرات متتالية أن يحضر إليه الآن.

وما هي إلا دقائق حتى لمعت عيناه لمعة كلها دهشــة وعجب؛ فقد وجد شــخصًا قادمًا من بعيد في مرمى بصره، وقد ركز نظره على عيني رافي.. إنه الشيخ سالم إمام المسجد.

رافي: معقول أنت هنا الآن؟!

الشــيخ ســالم: شــعرت أنك تحتاج إلي، فخرجت من بيتــي أفكر فيك، فنظرت من بعيد لأجدك أمامي.

لمعت عينا رافي لمعة كلها إرادة وثقة وقوة:

- نعــم كنت أحتاج إليك بشــدة.. تعرف يا شــيخ ســالم أتمنــى أمنية مستحيلة لكني فعلًا أتمناها!

الشيخ سالم: ماذا تتمنى يا رافي؟

رافي: أتمنى أن يرجع الله لي أبي وأمي.

الشـيخ سالم: سـأحكي لك قصة يا رافي.. ذهبت امرأة مات ابنها إلى عيسـى عليه السـلام، وقالت له: أقسـم عليك أن تدعو الله ليرجع لي ابني. فقال لها عيسـى: «اذهبي إلى كل بيـت في القرية، وخذي من كل بيت حبة أرز وأنا أرجع لك ابنك، بشرط ألا تأخذي حبة أرز من بيت مات لهم ميت». فـدارت المرأة على كل بيوت القرية، فلم تجمـع حبة أرز واحدة، فلا يوجد بيـت ليس له ميت. ففهمت المرأة وعادت تقول له: لا ترجع لي ابني، ولكن علمني الصبر والرضا.

لمعت عينا رافي مرة أخرى بقوة وقال:

- اللهم إني أسألك الصبر والرضا!

الشيخ سالم: أرى في عينيك قوة لم أرها من قبل.

رافي: إنها ليست قوة واحدة، بل هي قوتان.

الشيخ سالم: أي قوتين؟!

رافي: إنها قوة الألم، وقوة التحدي.

الشـيخ سـالم: إنه الألم الخلاق يا رافي.. فمن قوة الألم يولد التحدي. إنها سـنة الحياة، وهكذا حياة العظماء والأنبياء، فالألم يحرك همم العظماء ويحطم الضعفاء.

رافي: أبي مات مقتولًا يا شيخ سالم.

سمع الشيخ سالم كلام رافي، فأخذته رعشة مفاجأة، ثم تماسك في ثوان:

- متى عرفت يا رافي؟

رافي: اليوم.. اليوم فقط عرفت.

ضرب الشيخ سالم بيده على كتف رافي قائلًا:

- اسمع يا رافي.. الرجال أنواع، هناك رجل بمائة رجل، وهناك رجل بعشرة رجال، وهناك رجل بالعافية يساوي رجلًا، وهناك رجال لكن أصفار في الحياة.. وأنا اليوم أرى أمامي رجلًا بمائة رجل، فتوكل على الله وأنا معك، وابحث عن قاتل أبيك، ومنه ستصل إلى لغز أرض الرملية.

رافي: أريد أن أسألك في فتوى دينية يا شيخ سالم.

الشيخ سالم: اسأل يا رافي.

رافي: كيف أتصرف مع عمي بعد كل ما فعله معي ومع أبي؟! كيف أصل رحمي وقد وصانا الله بصلة الرحم بعد كل هذا الظلم من عمي؟

الشيخ سالم: أبوك أسماك رافي.. والرافي يصلح ولا يفسد، والأخلاق إلزام اختياري يلزم به الإنسان نفسه أمام ربه.. الزم نفسك بالخير يا رافي. اصبر على عمك ولا تقطع رحم أبيك وجدك، ولكن كن ذكيًّا في التعامل معه حتى تصل إلى الحقيقة دون أن يمنعك.

صمت رافي برهة وهو يفكر في كلمات الشيخ سالم، وإذا بخيال رجل ثالث يظهر فجأة ويدس نفسه بينهما.. إنه بهلول المجنون يصرخ:

- إدريس كان إبليس.. خان العشرة كان دسيس!

رافي: هذا الرجل يعرف كل شيء، ثم يدعي أنه مجنون!

لم يلتفت بهلول إلى كلام رافي.. فقط نظر في جبين رافي وردد كلمته الشهيرة:

- جرح في جبين الولد.. يصحي نوم البلد!

– 2 –

بـدأ رافي يشـعر أن وجوده فـي بيت عمه صار أكبر معـوق يمنعه من التحـرك بحريـة للوصول إلـى الحقيقة؛ فهو شـبه معزول عـن العالم، لا يستطيع التواصل مع أحد، حتى صديقه علي أبو الحسن أو الأستاذ شهاب، يحتاج إلـى الكثير من الحيل ليصل إليهما.. لذلـك بدأ رافي يبحث عن حل يمكنـه من مغادرة البيت، لكن أين يذهب وكيف يعيش؟ خاصة وقد جاءت إجازة الصيف وانتهى الموسـم الدراسي، وعطلة الصيف ستكون قاسية إن لم يستغلها أفضل استغلال.

فكـر رافي في كل طريقة تخرجه من سـيطرة عمـه، وكان قد تعلم أن يدعـو في سـجوده: «يا رب اجعل لي من كل ضيق فرجًـا ومخرجًا»، فدعا بها بصدق. وبعد عدة أيام خطرت له فكرة، فلماذا لا يستعين بعمته سلمى، فهي أحب الناس إليه بعد والديه، وهي أقرب إلى صفات والده مراد من عمه عباس، فهي حنونة رحيمة، والأهم أنها غيورة على أرض الرملية مثل رافي ووالده، ولولا أنها سـافرت مع زوجها إلـى الخارج لكان رافي يعيش معها الآن في بيتها.

أفـاق رافي من أحلامه.. فأين عمته الآن؟ هـي بعيدة بعيدة. فقد انتهى زوجها من دراسـة الدكتوراه في جامعة بوسـطن بأمريـكا، ثم انتقلوا إلى الهنـد بعد أن أصبح زوجها أسـتاذًا في جامعة دلهـي. لذلك كله قرر رافي أن يرسل لعمته بريدًا يخبرها بتطورات حياته، ويشكو لها همومه، ويطلب

منها أن تفكر معه في طريقة تمكنه من التخلص من قبضة عمه الحديدية. جلس فـي حجرته وفتح جهاز اللاب توب الخاص بــه، وبدأ يكتب: «عمتي الحبيبة.. بعد أبي وأمي لم يتبق لي إلا أنت».

لم يكمل رافي كتابة السطر الأول حتى فوجئ بإيميل آخر يرد إليه أثناء كتابتــه لعمته. دقــق النظر ثم فرك عينيه وعاد ودقــق النظر. إنه لا يصدق نفســه! إن الإيميل الوارد إليه من عمته.. لقد أرســلت إليه في نفس لحظات كتابتــه لها. لــم يفاجأ رافي بإيميل عمته، فقد صــار يوقن بفكرة التخاطر عــن بعد وبقراءة الأفكار، لكن الذي أذهلــه بالفعل في إيميل عمته هي تلك العبارة:

«حبيبي رافي.. اشــتقت كثيرًا إليك، لكني في الأســبوع الماضي تحرك بداخلي شــعور لا يفارقني بمســئوليتي الكبيرة تجاهك، وشــعرت بتأنيب ضمير شديد؛ فطلبت من زوجي أن يسمح لي بالعودة إلى مصر لمدة شهر، لتبقى معي في بيتي بالقاهــرة خلال إجازتك الصيفية، لأطمئن عليك فترة ثم أعود.. سأصل فجر الخميس القادم».

وفي المطار كان حضن ســلمى لرافي أدفأ حضن احتواه منذ وفاة أبيه وأمه، وكانت أولى كلماته لها:

- لم أعرف طعم الأمان منذ وفاة أبي وأمي إلا اليوم!

سلمى: وأنا يا رافي لم أعرف معنى عاطفة الأم مثل اليوم.. أنا لم أرزق بأطفــال يا رافي، وكأن اللــه منعني الأولاد لتكون أنت ابنــي الوحيد.. فهل تقبلني أمًّا لك؟

رافي: فقد أبي وأمي علمني أن كل قسـوة الحياة لو اجتمعت لا يهونها إلا حضـن العائلـة، وأن كل أفراح الحياة لو اجتمعـت لا يعادلها إلا حضن العائلة.

وفي بيت سـلمى وجـد رافي طمأنينة لم يتذوقها فـي بيت عمه عباس.. تذوق حلاوة حضـن العائلة وعرف طعم النوم الهادئ اللذيذ. كانت سـلمى مؤمنة برافي وبقدراته، لكنها كانت مؤمنة أيضًا أن القدرات وحدها لا تكفي لينجح الإنسـان في تحقيـق حلمه، وإنما العلم هو الـذي يصنع الفارق في تكوين الإنسان حتى يصل إلى النجاح.. لذلك كانت تذكر رافي دائمًا بالعلم.

سلمى: ابذل جهدك في العلم يا رافي مهما كانت المعوقات.

رافي: أنا لم أترك المدرسـة، وأنجح كل سنة رغم ما يفعله عمي لمنعي من التعليم.

سـلمى: لا يا رافـي.. أنا لا أقصد بالعلم فقط النجاح في المدرسـة. لا، أنـا أريدك أن تحب العلم وتعشـق التعلـم، حتى يصير تعلـم العلم متعتك وهوايتك ولذتك.

رافي: أعتقد أن الوصول لذلك يحتاج إلى جهد وإصرار شديدين.

سـلمى: هناك قصة شهيرة لسـقراط[RB] الحكيم اليوناني الشهير.. فقد جاءه شـاب يقول لـه: علمني العلم، قال له سـقراط: أصـادق أنت؟، قال: نعـم. قـال: فاتبعني إلـى النهر، ثم طلـب منه أن ينظر إلـى صفحة الماء، قال الشـاب: لا أرى شيئًا، فطلب منه سـقراط أن يخفض رأسه فأخفضها، فأمسـك سـقراط برأس الشـاب وأنزلها في الماء، فوجئ الشاب بذلك وبدأ يقاوم بشـدة ليتنفـس ويخرج من المـاء، وبالفعل تركه سـقراط. ثم قال

RB:www.RafiBarakat.com

لـه: ما الشـيء الذي كنت ترغب فيـه وأنت قريب من الغرق؟ قال الشـاب: الهواء. فقال له سـقراط: عندما تكون رغبتك في تعلم العلم مثل رغبتك في الحصول على الهواء، عندها فقط تعال إلي وسوف أعلمك.

هل فهمت يا رافي؟ اجعل حبك للعلم كالماء والهواء، فالعلم تعطيه كلك فيعطيك بعضه.

رافي: وكيف ضاع منا حب العلم؟!

سـلمى: قديمًا قال أحد علماء المسـلمين عندما سـألوه وهو في سـن الستين: حتـى متى تتعلم العلم؟ فقـال لهم: «مع المحبرة إلـى المقبرة». وقديمًا قال الشـافعي[RB] عندما سئل: بماذا تشعر عندما تسمع بعلم جديد؟ فـرد عليهم بكلام نادر.. قال: «أتمنى أن يصبح كل عضو في جسـدي أذنًا ليستمتع مثل أذني بسماع العلم».. هكذا كانوا.

أمـا الآن فإن حقيقة مشـكلة المسـلمين هي توقف العقـول عن التعلق بالعلم، فحصلت فجوة كبيرة بين المسلمين وبين الدين والحياة.

رافي: كيف هذا؟

سـلمى: وهل يُعرف الديـن إلا بالعلم؟ وهل تُعرف الحيـاة إلا بالعلم؟ العلم أداة كشـف عن مـراد الله في كل علوم الدين، والعلم أداة كشـف عن قـدرة الله في كل علوم الحياة. فلما ضاع العلم، ضاع العمل وضاع العطاء، وإذا ضاع الثلاثة ضاع الإنسان ولم يعد خليفة في الأرض.

رافي: مرة أخرى أسمع ثلاثية حرف العين: علم وعمل وعطاء.

سـلمى: وهذه الثلاثية بدأت بأول آية نزلت من القرآن: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»[RB].

رافـــي: ولذلك كلــه كانت وصية أبي لي قبل موته: «اقرأ واســأل وابحث لتصل إلى الحقيقة».

كانت ســلمى في هذه الأثناء تعد مفاجأة ســارة لرافي، لكنها كانت تعد هذه المفاجأة في ســرية تامة من أول يوم وصل رافي عندها. كانت تجري مكالمــات كثيرة، ولم يكن رافي يفهم لمــاذا تخفض صوتها عندما تتحدث في الهاتف، لكن أدبه وخلقه كانا يمنعانه أن يسألها أو أن يحاول سماعها.

اســتيقظ رافي في اليوم الرابع لوجوده عند عمته ســلمى ليجد مفاجأة رائعة في انتظاره!

سلمى: هيا يا رافي.. قم واستعد واجمع كل قوتك، فأمامك عمل كبير.

رافي: كيف أجمع كل قوتي وأصل إلى نتيجة وأنا وحدي؟

سلمى: هل تعلم أني قد أعددت لك مفاجأة؟

رافي: مفاجأة؟! وما هي؟

ســلمى: ســيدخل الآن من باب البيــت مجموعة من الأشــخاص.. كلهم جاءوا ليساعدوك في مهمتك.

رافي: من هؤلاء؟!

سلمى: فقط أغمض عينيك عندما أفتح لهم الباب.. ستراهم في لحظات.

دق جــرس الباب وأغمض رافــي عينيه، وقامت ســلمى لتفتح، فدخلت مجموعة من الأشــخاص، وفتح رافي عينيه ليجد أمامه أصدقاءه الخمســة الذي كانوا معه في مركز تنمية المهارات (DCGT): علي أبو الحسن، وزها، وفيصل، وود، وصافي، يتوسطهم الأستاذ شهاب.

طار رافي من الفرحة:

- أنا لا أصدق أنكم هنا جميعًا!

علي أبو الحسن: ألم أعدك أني سأقف معك حتى نعرف سر أرض الرملية؟

زهـا: كلنا معك يا رافي.. أنا اسـتأذنت والدي، وقال لـي: افعلي ما في وسعك من أجل رافي.

رافي: لكن كيف اجتمعتم اليوم؟ وكيف عرفتم مكاني؟

أ/ شـهاب: أنا جمعتهم يا رافي وحكيت لهم كل شيء، وهم تعاهدوا ألا يتركوك حتى نعرف سر الرملية.

سلمى: أنا أشكرك يا أستاذ شهاب لأنك أرسلت لي رسالة حركت كل ما في من همة وعزيمة، لأعود لمصر وأكون بجوار رافي.

رافي: معقول؟ أستاذ شهاب هو سبب عودتك؟!

أ/ شـهاب: أنا وجدت أن إجازة الصيف فرصة ممتازة ليتفرغ الشـباب لمساعدتك، بدلًا من ضياع الوقت بلا قيمة ولا فائدة، فالوقت هو الحياة.

فيصـل: دم والدك مـا راح يضيع يا رافي.. إيش تبغـى أنا حاضر.. أنا معك حتى النهاية وليكن ما يكون.

ود: شو ما بتريد أنا جاهزة، وأنا كل مواهبي بين يدك يا رافي.

صافي: وأنا سأبكي من التأثر.. شو إيش كل العواطف هذه؟

ضحك الجميع ثم التفتوا إلى رافي ليقول كلمته:

- وأنا الآن بكم أقوى الناس.. والخطوة الأولى هي الوصول إلى إدريس سائق أبي.

أ/ شهاب: أنتم الآن قررتم أن تكونوا فريق عمل واحدًا، ويحتاج الأمر إلى تدريب خاص كالذي نقدمه في مركز تنمية المهارات (DCGT) لتكونوا أقدر وأقوى على المهمة الثقيلة التي أنتم مقدمون عليها.

فيصل: وما هو هذا التدريب؟

أ/ شهاب: هناك شيء اسمه النية الجمعية.

زها: وما هي النية الجمعية؟!

أ/ شهاب: هناك أبحاث علمية تقول إنه إذا اجتمعت مجموعة من الناس، وقاموا باتفاق جماعي على التأمل والتركيز الشديد للتأثير في شيء من الأشياء، وأجمعوا نواياهم على ذلك، فإنهم يقدرون على حسب درجة تركيزهم أن يحركوا أو يغيروا هذا الشيء، سواء كان جمادًا أو حيوانًا أو إنسانًا.

فيصل: معقول؟ هل هذا ممكن أن يحدث؟

أ/ شهاب: وقدم العلماء سلسلة من التجارب دليلًا على أن التفكير الجماعي بأفكار محددة موجهة يُمكن الإنسان من التأثير على جسده، وعلى أجسام جامدةٍ، وعلى كل الأشياء الحية فعليًا من الكائنات وحيدة الخلية إلى الكائنات البشرية.

فيصل: معقول هذا الكلام؟ هذا سحر أم خيال؟!

أ/ شهاب: لا.. هذه أبحاث علمية، والأكثر من ذلك أنهم قاموا بتجارب عملية للتأثير على شاشات الكمبيوتر، من خلال النوايا الجماعية، عن طريق عرض صورتين لافتتين للانتباه لراعي بقر مثلًا ورجل هندي. ويوضع المشاركون في هذه الدراسات أمام شاشات كومبيوتر، ويطلب منهم أن يحاولوا التأثير على الآلة لتعرض مزيدًا من إحدى الصور – راعي

البقـر مثلًا – ثم يركزون لعرض مزيد من صـورة الهندي. من خلال أكثر من 2.5 مليون تجربة اتضح أن النية البشـرية يمكنها التأثير على الأجهزة الإلكترونية وتوجيهها في اتجاه محدد، وتم التوصل إلى نتائجهما هذه من قبل 68 باحثًا مستقلًا آخرين.

رافي: معقول عقل الإنسان يمتلك كل هذه القدرات؟ صحيح صدق الله: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون».

علي: أسـتاذ شهاب، هل نسـتطيع أن نقوم بتجربة الآن لاختبار نوايانا الجماعية قبل أن نبدأ في البحث عن إدريس؟

أ/ شهاب: نعم فلنبدأ فورًا.. أنا سأعلق مفتاحًا معدنيًّا في سقف الغرفة على مسـافة 2: 3 متر بحيث لا تستطيعون لمسـه. وسأربط ذراع المفتاح بمقياس لقوة الضغط، لتحديد أي تغير يحدث في المفتاح وتسـجيله على منحنـى تخطيط بياني. والآن أريد منكـم أن تحاولوا ثني المفتاح المعدني المعلق بالسقف بتركيز نواياكم الجماعية عليه.

بدأت عملية تركيز الشـباب على ثني المفتاح.. حاولوا أول مرة وفشلوا، وكذلك في المرة الثانية فشـلوا أيضًا، لكنهم مع زيادة التركيز حدث شـيء غريـب في المـرة الثالثة. لقد بـدأ المفتـاح يتأرجح ويتشـقق، بل حدثت تغيرات مفاجئـة وقوية في النبضات الكهربائيـة للمفتاح، وصلت إلى 10 فولت، وهي الحد الأقصى لمسـجل الرسـم البياني. المثير أكثر من هذا هو أنه عندما طلب الأسـتاذ شـهاب من رافي وفريقه أن يرسلوا نيتهم إلى عدة مفاتيح معلقة بشـكل منفصل عن بعضها، فإن مسـجلات الضغط سجلت إشارات متزامنة، وكأن المفاتيح تأثرت جميعًا[RB].

زها: أنا لا أكاد أصدق ما أرى!

علي: هذا شيء مذهل!

صافي: هذه الخوارق تذكرني بنكتة.. مرة واحد صيني دخل كهف وأراد أن يسمع صدى صوته فقال: هنج شنج قالو توفا طن ون.. قال له الصدى: الله يأخذك عيدها مرة تانية ما حفظتها.

فيصل: أكيد هذا الشخص جاء معنا غلط.

ود: وهل عدد الفريق له أثر في قوة التأثير؟

أ/ شهاب: تقترح بعض الأبحاث أيضًا أن قوة النية تتضاعف اعتمادًا على عدد الأشخاص الذين يفكرون بالفكرة نفسها في الوقت نفسه. يظهر ذلك في المحاضرات والمظاهرات الجماعية.

رافي: ولكن كيف استطعنا أن نقوم بثني المفتاح؟!

أ/ شهاب: إن الكائن البشري جزء من كل نسميه الكون، وهو جزء محدود زمانًا ومكانًا، يرى نفسه وأفكاره ومشاعره منفصلة عن البقية، وهذا نوع من الخدعة البصرية التي يسببها نقص وعيه.

رافي: أريد أن أفهم أكثر!

أ/ شهاب: أليس الهواء يؤثر فيك عندما يهب؟

رافي: نعم.

أ/ شهاب: لماذا يؤثر فيك؟

رافي: الهواء جزء طبيعي من حركة الكون، لذلك يؤثر فينا.

أ/ شهاب: أنت أيضًا جزء من الكون، لذلك تستطيع بنيتك وعملك أن تؤثر فيه.

رافي: هذا شيء مذهل.. بالتأكيد فإن نوايانا الجماعية ستمكننا من معرفة الحقيقة والوصول إلى إدريس.

سلمى: والآن فلنبدأ في العمل والبحث عن إدريس.

ود: ولكن من أين نبدأ؟!

رافي: نبدأ من معرفة مكان إدريس.

أ/ شهاب: ما هي آخر معلومات لدينا عن مكان إدريس؟

رافي: آخر معلومات أنه ترك مصر وسافر إلى السودان بعد موت أبي بأسبوع.

فيصل: وهل هذه المعلومة مؤكدة؟

رافي: نعم.. لا.. الحقيقة لا أدري.

علي: إذن أول خطوة هي التأكد أنه سافر إلى السودان.

زها: وكيف نعرف ذلك؟

رافي: نحصر أسماء كل من اسمه إدريس وسافر خلال السنة التالية لوفاة أبي إلى السودان.

ود: وكيف نعرف ذلك؟ هذه المعلومات ستكون مسجلة لدى الجهة المشرفة من الجوازات، ولن يسمح لنا بالاطلاع عليها.

علي: هذه مهمتي أنا.. نسيتم أني هاكر أبيض أقتحم المواقع، وأتعرف على كل كلمات السر الخاصة بها، وأفك شفرتها وأصل إلى المعلومات المطلوبة؟ ولكن ليس للإضرار أو للشر بل للخير.

أ/ شهاب: لكن لا يصح أن نقوم بهاكر على موقع للدولة، هذا مخالف للقانون حتى ولو لم يعرف أحد.

رافي: صحيح هذا لا يصح.

علي: دعني أبحث عن مخرج لهذه المشكلة.

رافي: أرجوك تصرف يا علي.

علي: تمام.. وجدت الحل!

رافي: وما هو؟

علي: أعتقد أن نفس المعلومات موجودة على مواقع أخرى للمجتمع المدني، لتسهيل الإجراءات على الجمهور.

رافي: إذن ابدأ الآن فورًا.

فتح علي اللاب توب الخاص به، وبدأ يعمل بجد وسط صمت الجميع، وطال الانتظار حتى بدأت الشكوك تساور رافي وفريقه في قدرات علي، لكن بعد طول انتظار قطع علي هذه الشكوك وصرخ:

- أنا فتحت الموقع وهذه هي البيانات..

قاموا جميعًا ونظروا في شاشة الكمبيوتر باهتمام شديد.

فيصل: ما هذا؟ كل هؤلاء اسمهم إدريس سافروا بعد وفاة والد رافي.. هؤلاء أكثر من 70 اسمًا كلهم إدريس!

فيصل: هل تعرف اسمه الثلاثي يا رافي؟

رافي: لا.. كنا نناديه عم إدريس.. فقط عم إدريس.. لم أعرف اسمه بالكامل!

سلمى: أنا أعرف اسمه بالكامل.. إدريس عبد الدايم إدريس.

سجل علي في خانة البحث الاسم الثلاثي، والتقط الجميع أنفاسهم ينتظرون نتيجة البحث!

علي: ما هذا؟ النتيجة.. لا أحد!

أ/ شهاب: سلمى هل أنت متأكدة أن اسمه الثلاثي إدريس عبد الدايم إدريس؟

سلمى: طبعًا متأكدة.

ود: أعد البحث مرة أخرى يا علي.. سجل اسمه مرة أخرى لعل هناك خطأ.

سجل علي الاسم مرة أخرى: النتيجة.. لا أحد!

فيصل: اجعل مدة البحث أطول لتمتد لسنتين بعد وفاة والد رافي.

علي: حاضر.. النتيجة كما هي.. لا أحد!

رافي: إذن إدريس لم يسافر إلى السودان، وهذه كانت كذبة لتغلق القضية.. إدريس ما زال في مصر!

خيم الصمت على الجميع.. وفي هذه اللحظات دق جرس الباب.

أ/ شهاب: هل تنتظرون أحدًا؟

سلمى: نعم.. أنا أنتظر ضيفًا مهمًّا أنا دعوته وجاء في وقته..

رافي: من يا عمتي؟

لم ترد سلمى.. فقط ابتسمت وأسرعت لتفتح الباب.

سلمى: أهلًا أهلًا.. تفضل تفضل!

رافي: معقول؟ دكتور نبيل أبو العز صديق أبي وجدي؟

جرى الدكتور نبيل بحنان إلى رافي، واحتضنه حضنًا أبويًّا عميقًا:

- أخيرًا قابلتك يا رافي! أنا ظننت أني لن أقابلك مرة أخرى.. الله يسامحه عمك منعني من الوصول إليك، لكن أنا أيضًا أخطأت في حقك.. كان لا بد أن أصر على مقابلتك، لكن عذري أني سافرت وكنت أعمل بالخارج.. سامحني يا حبيبي!

أ/ شهاب: أعرفكم يا شباب.. الدكتور نبيل أبو العز.

د/ نبيل: أنا أول ما اتصلت بي عمتك سلمى وأخبرتني بوجودك أصررت أن أحضر معكم وأساعدكم بكل قوة. أرجو أن تعتبروني مستشارًا لكم. أنا بقيت أعمل في الشـركات التي تبحث في أرض الرملية؛ ليكون لي دور في يوم من الأيام في إظهار الحقيقة. وأنا لست خبيرًا في الجيولوجيا وإنما في التكنولوجيـا.. ربما لو كنت خبيرًا في الجيولوجيا لكنت وصلت إلى الســر من أول يوم.

رافي: أنا أحتاج مشـورتك الآن يــا دكتور نبيل.. كيف نصل إلى إدريس سائق أبي؟

د/ نبيل: أنا أعرف أنه هرب إلى السودان.

رافي: لا.. هذا خبر غير صحيح.. إدريس مازال هاربًا داخل مصر.

صمت الدكتور نبيل وفكر قليلًا ثم قال:

- إدريــس كان ســائقًا، ولا بد أنه كل هــذه المدة ســيحتاج إلى المال، والأقــرب للمنطــق أن يبحث عــن عمل كســائق، ويغير اســمه حتى لا يتعــرف عليــه أحد.. وإذا غير اســمه فلا بد أنه ســيحتاج في هذه الحالة إلى رخصة قيادة جديدة.

رافــي: رائع يا دكتور نبيل رائع.. فلو بحثنا عنه ضمن من اســتخرجوا رخصة قيادة جديدة سنصل إليه.

صافي: يا ســلام.. وكيف سنبحث عنه وهو قد غير اسمه أصلًا؟ أم إننا ســنتخاطب معه عن بعد ليخبرنا باســمه الجديد؟ يعني مثلًا يطلع اســمه الجديد هاني أو تامر.

ضحــك صافي وهو يلتفت حولــه، لكنه أمام جدية الجميع كتم ضحكته والتزم الصمت.

د/ نبيل: لن نستطيع البحث عنه بالاسم، ولكن إذا كان لدينا صورة تخيلية لشكل إدريس عندها نستطيع رسم هذه الصورة على الكمبيوتر، ونقوم بعمل بحث لصاحب هذه الصورة في كشوف استخراج الرخص الجديدة.

صافي: هذا الرجل ذكي جدًّا.. أنا سأكون صورة كربون منه عندما أكبر.

ود: وهذه مهمتي أنا أجيد الرسم الدقيق.. أنتم تصفون لي شكل إدريس هذا وأنا أرسمه.

بعد نصف ساعة من الوصف الدقيق من رافي وعمته سلمى، استطاعت ود أن ترسم صورة تخيلية لإدريس على لوحة صغيرة، فلما انتهت قالت:

- ما رأيكم؟ هل هذه هي صورة إدريس؟

رافي: أنت خطيرة.. هو بعينه!

سلمى: كأنها صورة فوتوغرافية له وليست صورة تخيلية!

رافي: والآن تستطيع يا علي أن تقوم بهاكر على صورة كل مستخرجي رخص القيادة في السنة التالية لوفاة أبي.

علي: طبعًا.. ولكن هل تستطيع ود أن ترسم نفس هذه الرسمة على الكمبيوتر بدلًا من اللوحة؟

ود: نعم حالًا ستكون جاهزة.

رافي: رائع يا ود!

بدأ علي بالبحث مرة أخرى، لكن الإحباط أصاب الجميع؛ لأن النتيجة كانت مرة أخرى.. لا أحد!

زهـــا: يا خســـارة.. إذن لن نصل إليه بهذه الوســيلة، فهو لم يســتخرج رخصة قيادة.

صافي: يعني افتــراض الدكتور نبيل غير صحيح.. أنا لن أكون صورة كربون منه عندما أكبر.

أ/ شــهاب: ربما لم يحتج لاســتخراج الرخصة في الســنة الأولى لوفاة مــراد؛ لأنه أكيد حصل على كثير من المال نتيجة جريمته، لكن يفترض أنه بعـد فترة احتاج إلى العمل، وبالتالي يكون اســتخراجه للرخصة ليس في أول سنة لكن بعد ذلك.

- **رافي:** صحيح.. ابحث يا علي عن صورة إدريس في السنوات التالية.

وفجأة صرخ علي:-

- لقد وجدته.. هذا هو.. هذا هو.. صورته أمامي على الشاشة!

صرخ الجميع:

- وجدناه.. وجدناه!

صافي: وقعت يا إدريس ولا أحد سمى عليك.

علي: انظروا.. لقد غير اسمه فعلًا.. سمى نفسه عثمان فريد!

رافي: انظروا في الشاشــة جيدًا.. انظروا إلى نوع الرخصة التي حصل عليها إدريس!

فيصل: وما هو نوع الرخصة؟

رافي: رخصة قيادة سيارة دفن الموتى.

فيصل: وما أهمية ذلك يا رافي؟

بدأ رافي يتحرك في البيت يمشي ويفكر:

- هذا معناه خطير!

زها: كيف يا رافي؟!

رافي: لماذا يستخرج إدريس مثل هذا النوع من الرخص، رغم أنه يجيد قيادة السيارات الملاكي والأتوبيسات؟ لماذا سيارة دفن الموتى؟

صافي: يمكن افتكر ربنا وحب يكفر عن خطاياه!

رافي: أو لأنه يريد أن يعمل في مهنة يختفي بها عن أعين الناس!

ود: صح كلام صحيح.. لكن ما الذي تريد أن تصل إليه يا رافي؟

وقف رافي بقوة وثقة:

- أنا عرفت مكان إدريس!

رد الجميع في صوت واحد:

- أين؟! أين؟!

رافي: إدريس مختبئ في المقابر.. يعمل هناك ويعيش هناك ويختبئ هناك.

فيصل: لكن هناك مقابر كثيرة.. أي مقابر يا ترى؟

رافي: انظر إلى مكان إدارة المرور الذي صدرت منه الرخصة لتعرف أي المقابر هي الأقرب لهذا المكان.

علي: فعلًا يا رافي معك حق..الرخصة صدرت من إدارة مرور منطقة تسمى «الخليفة».

أ/ شهاب: إذن أقرب مقابر لها هي مقابر الإمام الشافعي.

رافي: لا بد أن نضع فورًا خطة للوصول إلى إدريس!

حـــوش البــاشــــــا

– 1 –

بعد أسبوع وعلى طاولة السـفرة المستديرة في بيت سلمى عمة رافي، جلس الجميع يتشــاورون في طريقة الوصول إلى إدريس حيث يختبئ في المقابــر، وحضر معهم الدكتور نبيل والأســتاذ شــهاب، وأيضًا حضر لأول مرة الدكتور مخلص أبو الوفا.

د/ نبيــل: طوال الأســبوع الماضي وأنا أفكر فــي الوصول إلى إدريس، ووضعــت خطة لذلك دون أن أخبركم حتى أصل إلى نتيجة؛ فكلفت أربعة مــن أكفأ الموظفين عندي في المكتب بمراقبة مداخل المقابر طوال النهار، فــي انتظار أي جنازة تدخــل إلى مقابر الإمام الشــافعي، وطلبت منهم أن يدخلوا مع كل جنازة ليشــاهدوا ســائقي ســيارات نقل الموتى، وأعطيتهم الصورة التخيلية لإدريس.

علي: وكيف كانت النتيجة؟

د/ نبيل: للأســف لايوجد لإدريس أي أثر.. طوال أســبوع كامل تعرفوا على كل سائقي سيارات نقل الموتى، لكن إدريس لم يكن منهم.. كان ودي أن أسعدك يا رافي.

رافي: حقيقي أشكرك يا دكتور نبيل.

أ/ شهاب: إذن لا بد من البحث بطريقة أخرى.

فيصل: ولماذا لا تقول إنه ليس موجودًا أصلًا في المقابر؟

أ/ شهاب: لا تتعجل يا فيصل.. فربما يعيش في المقابر، لكنه لم يخرج إلى العمل في هذه الفترة.

رافي: وأنا حاستي السادسة تؤكد لي أنه مُوجود هناك.

فيصل: ولكن حاستك السادسة لا تكفي وحدها للتأكد أنه موجود بالفعل.

رافـي: لذلك لا بد أن نكمل البحث في المقابر، ونبذل كل جهدنا للنهاية حتى نطمئن إلى نتيجة مؤكدة.

د/ نبيـل: هـذا كلام علمي دقيق يـا رافي.. النتائـج المبدئية إذا جاءت سلبية لا تعني توقف البحث، بل على العكس فإنها تعني مزيدًا من العناية والتدقيق.

علي: إذن هيا نبدأ الآن فورًا بالتحرك إلى المقابر للوصول إلى إدريس.

د/ مخلص: هكذا بسهولة؟

علي: ماذا تقصد يا دكتور مخلص؟

د/ مخلص: أقصد أن الموضوع صعب للغاية!

علي: لماذا؟ أنا لا أفهم أين المشكلة؟

أ/ شهاب: هل فكرت لماذا اختار إدريس هذا المكان بالذات ليختبئ فيه؟!

فيصل: لأنه مكان ناء بعيد عن أعين الناس، لا يدخله أحد إلا عند وجود ميت سيدفن هناك.

أ/ شــهاب: غير صحيح.. إدريس اختار مكانًا مزدحمًا بالسكان.. هناك عشرات الآلاف يسكنون في هذه المقابر.

صافي: تقصد عشرات الآلاف من الجن والعفاريت!

أ/ شهاب: لا.. عشرات الآلاف من البشر.. ناس مثلي ومثلك.

فيصل: تقصد آلافًا من الناس يعيشون ويسكنون في المقابر؟

علـــي: أنا لا أســتطيع أن أصــدق هذا.. أنــاس مثلنا يأكلون ويشــربون يقيمون ويعيشون وسط الموتى؟ لا يمكن هذا.. مستحيل!

أ/ شهاب: هذه هي الحقيقة المؤلمة!

رافي: وما الذي يدفع أناس عقلاء للذهاب والعيش في المقابر؟

أ/ شهاب: الفقر يا رافي.. الفقر الشديد والعوز للمسكن.

رافي: فقر لدرجة أن يسكن الإنسان مع الأموات، يتقاسم قبورهم ويرقد بجوار أجسادهم وعظامهم؟

أ/ شــهاب: بدأت قصة هؤلاء الناس في مصر في فترة الســتينيات من القــرن الماضي بعــد 1967، عندما غلت أســعار المســاكن، وكانت مقابر الأغنيــاء فــي منطقة الإمام الشــافعي تبنى بطراز فخم يختلــف عن مقابر الفقراء.

رافي: حتى في الموت يتميز الغني والفقير؟ وماذا يفيد فخامة قبر من مات؟

أ/ شــهاب: كان الغنــي يذهــب ليمتلك أرضًــا داخل المقابــر يبني بها المدفن الخاص بالعائلة، فيبني سورًا حول قطعة الأرض، أما داخل المدفن

فتجد فناء واسـعًا يسـمى «حوش»، ووسط الفناء تجد سـلالم تأخذك إلى بطـن الأرض، فإذا نزلت هذه السـلالم تجد حجرتين: حجـرة جهة اليمين يدفن بها نسـاء العائلة، وحجرة جهة اليسـار يدفن بها رجال العائلة. وإذا صعدت مرة أخرى للفناء ستجد حجرة أو حجرتين مبنيتين فوق الأرض.

رافي: للأموات أيضًا؟

أ/ شـهاب: لا.. هـذه للأحياء، يجلس فيها كبار السـن من العائلة حتى تتـم عمليـة دفن من مات من أقاربهم، أو يقرأ فيهـا القرآن، وكلما زاد غنى صاحب المدفن كان الفناء (الحوش) أكبر وأوسع، وكانت الحجرة التي فوق الأرض أكبـر. وقـد تجهز بمقاعد وسـجاجيد فاخرة، وقـد يوجد بها حمام وثلاجة.

رافـي: لكـن لماذا سـمح هؤلاء الأغنياء لسـكان القبور أن يسـكنوا في مدافنهم؟

أ/ شهاب: هم لم يسمحوا لهم ولا يعلمون أن مدافنهم يسكن فيها هؤلاء الناس.

رافي: فكيف إذن سكنوا فيها؟ أليس كل مدفن له سور وله باب؟

أ/ شـهاب: نعم.. كل مدفن له سـور وله باب، والباب يغلق وعليه قفل حديد لا يفتح إلا عند حضور أصحاب المدفن للدفن أو للدعاء للموتى.

رافي: إذن كيف دخلوا وسكنوا وأقاموا بها؟

أ/ شـهاب: كل مجموعة مدافن أو «أحواش» لها شخص مسئول عنها، يأخذ راتبًا من صاحب المدفن لحراستها، وهؤلاء الحراس وجدوا أن أصحاب المدافن بطبيعة الحال لا يحضرون إلا نادرًا، أو في المناسـبات فقط، ولأن

الحــراس معهــم مفاتيح المدافن صاروا يســكنون فيها هــم وعائلاتهم، أو يؤجرونها لمن يبحث عن ســكن. وبدأت الفكرة تنتشــر تدريجيًّا كوســيلة للفقراء لإيجاد مكان يأوون إليه هم وأطفالهم.

رافي: وماذا إذا حضر صاحب المدفن؟

أ/ شهاب: صاحب المدفن لا يحضر إلا بعد أن يخبر الحارس أولًا ليفتح المكان، وعندها يأمر الحارس ســكان المدفن بمغادرته فورًا، والجلوس في الشارع حتى انتهاء زيارة صاحب المدفن لمدفنه.

زها: وهل يعيش هؤلاء الناس في المقابر فترات طويلة؟

أ/ شــهاب: هناك من يسكن منذ 20 سنة لم يخرج من المقابر. وهناك من ولد داخل المقبرة، وكبر وتزوج ولا يعرف معنى الحياة إلا هناك.

زها: الحمد لله على نعم الله علينا.. يا رب فضلك كبير علينا!

صافي: يا أستاذ شهاب، وما دخل إدريس في كل هذا؟ نحن نبحث عن إدريس وليس عن سكان المقابر.

أ/ شهاب: لأنك مســتحيل أن تصل إلى إدريس حتى تفهم كيف يعيش النــاس هناك وكيف يتصرفون، عندها ســتفهم كيف يفكــر إدريس وكيف يختبئ، وبالتالي كيف تعثر عليه.

رافــي: تقصد أني لا أســتطيع أن أصل إلى إدريــس إلا إذا تفاهمت مع سكان المقابر؟

أ/ شــهاب: نعم.. لأن هؤلاء الناس يعيشــون في ترقب مستمر، وخوف وقلق أن يدخل المنطقة أحد أصحاب المدافن فيطردهم هم وأولادهم، لذلك وضعوا نظامًا دقيقًا جدًّا لتأمين حياتهم.. فلا يدخل أحد إلى أي مدخل من

مداخل المدافن حتى يعرفوه جيدًا، ويعرفوا لماذا جاء وماذا يريد، ويبلغون بعضهم بســرعة عجيبة، فيستعدون فورًا لدخول أي شخص غريب عنهم.. حتى البوليس يصعب عليه الدخول إلى هناك.

رافي: لذلك اختــار إدريس المقابر ليختبئ بها ليكون عنده إنذار مبكر قبل حدوث أي هجوم على المكان فيهرب بسرعة.

أ/ شهاب: فعلًا هذا صحيح.

علي: إذن فما الحل للوصول إلى إدريس داخل هذه المقابر؟

ود: أعتقد أن الوصول إليه داخل المقابر صار مستحيلًا!

كان الدكتــور نبيــل صامتًا طوال الوقت يراقب ما يــدور بحكمة وعقل، إلى أن قال:

- لا يوجد شــيء اســمه مســتحيل، ولكن لا بد أن تصمموا خطة ذكية للوصــول إلــى إدريــس. وأعتقــد أن أول خطــوة هي أن تســتعينوا بالبوليس؛ لأنكم لن تقدروا وحدكم على مواجهة هذا الأمر.

رافي: نعم نحن نحتاج لمساعدة الشرطة بشدة.

علي: أنا والدي له صديق ضابط شرطة من الممكن أن يساعدنا.

د/ مخلــص: هذه خطوة ضروريــة، ولا بد أن نبدأ بهــا، فأنا أخاف أن يصيبكم مكروه لو تحركتم وحدكم.

رافــي: اتصل بوالدك يــا علي ليرتب لنا لقاء مع الضابط المســئول عن منطقة مقابر الإمام الشافعي.

بعد عدة أيام وفي مكتب المقدم باسل يونس، الذي استمع إلى القصة كاملة من رافي وفريقه، لكنه لم يظهر الاهتمام بما سمع، ربما لصغر سن رافي وفريقه، أو لعدم ثقته بجديتهم ليساعدهم في الوصول إلى إدريس.

لكن رافي ظل يلح عليه بإصرار:

- كيف لك أن تساعدنا في الوصول إلى إدريس؟

المقدم باسل: أولًا قضية وفاة والدك أغلقت وقيدت ضد مجهول، وأنا لا أملك فتحها مرة أخرى إلا بأدلة قوية وجديدة.

وثانيًا لا يوجد دليل ضد إدريس أصلًا لنقبض عليه، ثم من أدراك أنه موجود فعلًا بالمقابر؟ هذه مجرد تخيلات منكم لا دليل عليها!

علي: جئنا إليك لتساعدنا، ولكنك لم تهتم بكلامنا وأضعفت عزيمتنا.

نظر رافي بعمق إلى المقدم باسل وقال بقوة:

- لو كان والدك هو الذي قتل، ولو كانت أرضك هي التي نهبت ما كنت تصرفت معنا هكذا!

تأثر المقدم باسل بكلام رافي فقال:

- أنا آسف.. لم أقصد أن أستهتر بكم أو أن أضعف عزيمتكم، لكن أنا فقط رجل عملي أؤدي عملي في ضوء المعلومات المتاحة.. والمعلومات التي أمامي ليست كافية.

رافي: كلامك صحيح من وجهة نظرك، لكن هناك وجهة نظر أخرى.

المقدم باسل: وما هي وجهة النظر الأخرى؟

رافي: هناك شـــيء اسمه الحاسة السادسة، وأنا حاستي السادسة تؤكد أن إدريس موجود في المقابر[RB].

زها: وأنا أيضًا حاستي السادسة تؤكد ذلك.

علي: ثم إن لدينا أدلة مادية تؤيد حاسة رافي السادسة، فإدريس هرب مباشرة بعد حادثة وفاة والد رافي، وادعى كاذبًا أنه في السودان، في حين أنه هرب داخل مصر، وتأكدنا أنه أخذ رخصة ســائق ســيارة دفن الموتى.. كل هــذه حقائق مادية، ثم إن رافي لديه حاســة سادســة قوية أنه مختبئ هناك في المقابر.

المقدم باســل: وأنا أحترم نظرية الحاســة السادســة، فالحياة ليســت مادية فقط، بل إني تعلمت أن ضابط المباحث المتميز هو من يمتلك حاسة سادسة قوية بجوار المعلومات المادية.

رافي: إذن اتفقنا.

المقدم باسل: لا لم نتفق؛ لأن كل هذا لا يكفي.

رافي: لماذا؟!

المقدم باسل: لأننا لو سلمنا أن حاستك السادسة ومعلوماتك صحيحة، وأن إدريس مختبئ هناك، فإن البوليس لن يستطيع الدخول لهذه المنطقة.

فيصل: لماذا؟!

المقدم باســل: لأن أي غريب يدخل هناك يعــرف الجميع بدخوله، فما بالك لو كان البوليس هو الذي يدخل المنطقة، حتى لو دخلنا بشكل متخف سيكشفنا أهل المنطقة في الحال.

فيصل: إذن كيف سندخل نحن وحدنا؟!

زها وود: صحيح كيف سندخل وحدنا؟!

ضحك المقدم باسل بصوت عال:

- أكيد أنتم تضحكون!

وأخذ يردد كلمته: كيف سندخل وحدنا؟ أكيد تمزحون!

صافي: لماذا تضحك علينا هكذا؟

المقدم باسل: لأنكم مضحكون فعلًا.. أنتم لا تعرفون شيئًا عن حقيقة هذه المنطقة.

علي: أرجوك لا تضحك علينا.. لكن ساعدنا!

المقدم باســل: هناك مجموعة من المعلومات يجب أن تعرفوها أولًا عن هذه المنطقة قبل أن تفكروا مجرد تفكير في الدخول هناك.

رافي: وما هي هذه المعلومات؟

المقدم باســل: أولًا إجمالي ســكان المقابر في مصر يزيد على نصف مليون. 90 % منهم في القاهرة، وأغلبهم في المنطقة التي تريدون البحث عن إدريس فيها، وتسمى منطقة الخليفة، وهي تشمل مقابر الإمام الشافعي والإمام الليثي وترب الغفير. هذه المقابر يسكنها حوالي عشرة آلاف أسرة، يعني ما يقرب من 60 ألف فرد، ومع ذلك فهناك مقابر كثيرة مهجورة[1].

رافي: إذن نحن نبحث عن إدريس بين 60 ألف فرد؟

المقدم باسل: ليس هذا فقط، لكن هناك ما هو أصعب.

رافي: ما هو؟!

(1) معلومات حقيقية.

المقدم باسل: رغم أن أهل هذه المناطق غلابة فقراء طيبون، يبحثون عن الحياة بأي طريقة، إلا أن المنطقة مليئة بتجار المخدرات والمجرمين الهاربين والبلطجية، وكذلك تجار سرقة أعضاء جثث الموتى وبيعها، وهؤلاء عبارة عن عصابات لا يتحرك غريب داخل المقابر إلا شعروا به في الحال، وراقبوه وربما قتلوه أو خطفوه.

صمت جميع الشباب.. وأصاب الجميع اليأس.

ابتسم المقدم باسل وقال باستخفاف:

- عرفتم لماذا أضحكني كلامكم؟

نظر الجميع إلى رافي الذي فاجأ الجميع:

- كلامك لم يزدني إلا إصرارًا على رأيي.. وسأذهب وأبحث عنه ولو كنت وحدي!

كل الفريق: كلنا معك يا رافي.. لقد تعاهدنا وانتهى الأمر!

اغتاظ المقدم باسل من إصرار رافي وفريقه:

- في هذه الحالة أنتم مسئولون عن أنفسكم.. أنا لا أستطيع تأمينكم ولا أضمن سلامتكم.

رافي: مهما حدث لن أترك إدريس يفلت من يدي!

ضحك المقدم باسل مرة أخرى:

- لكنه أكيد سيفلت إذا ذهبتم إلى المقابر.

رافي: لماذا؟

المقـدم باسـل: لأن إدريس حتـى الآن لا يعلم أنك تبحـث عنه، وربما اسـتقر وشعر بالأمان أنه لا يوجد بعد مرور هذه السنين من يريد الوصول إليه، فإذا عرف بوجودكم بالمقابر وأكيد سيعرف.. سوف يأخذ حذره أكثر ويهرب لمكان جديد لا تعرفه.

فيصل: كلام منطقي صحيح.

ود: الأمر يحتاج إلى معجزة.

صافي: مضى زمن المعجزات.

صمت الجميع، بينما ابتسم المقدم باسل أنه أخيرًا أقنع الشباب بالتراجع عن فكرتهم المجنونة. وفجأة تكلم رافي مرة أخرى بعزم وقوة أكثر:

- المعجـزة إرادة وهمة وفكرة ذكيـة وروح عالية.. هذه هي المعجزة. لو استسـلم الناس للصعوبات لما تطورت الدنيا، ولما ظهر مبدعون وعلمـاء ومصلحـون. الفرق بين الفاشـل والناجح أن الفاشـل يرى صعوبـة في كل فرصـة، بينما يرى الناجح فرصـة في كل صعوبة. ثم ماذا أقول لأبي عندما ألقاه؟ أقول له استسـلمت عند أول صعوبة وتركت دمك وحلمك؟ ثم أين الله؟ الله الذي له ملك السموات والأرض ويفتح الأبواب لعباده المجتهدين؟ أنا سأذهب، وسأجد إدريس ومعي ربي وعقلي وإرادتي وحاستي السادسة.

علي: ومعك شيء آخر يا رافي.. أنا معك!

فيصل وصافي: وأنا أيضًا معك.

زها وود: وأنا.

رافي: إذن توكلنا على الله.. فلنضع خطتنا الآن.

المقدم باسل: أنا لم أر في حياتي شبابًا بهذه الإرادة والعزيمة.. أنا الآن أستطيع أن أقول بحاستي السادسة إنكم أكيد ستصلون إلى الحقيقة، وإن واجبي أن أساعدكم. اطمئنوا ستكون الشرطة حولكم هناك.. لن تشعروا بنا، ولكننا سنكون حولكم ومعكم.. فلا تخافوا!

رافي: ألف شكر يا سيادة المقدم.

المقدم باسل: لكن أود أن أنصحكم نصائح مهمة.. ابحثوا عن عدة طرق ذكية للتخفي، حتى لا يشك فيكم أحد، ولا تستخدموا كاميرات أو موبايلات مطلقًا، فهذا سيعرضكم للخطر وسيزيد شكوكهم فيكم.

فيصل: ولكن كيف سنتواصل فيما بيننا هناك؟

عاد الصمت مرة أخرى يخيم على كل الفريق، حتى كان رافي أول من قام من مكانه وقد لمعت عيناه بفكرة ممتازة.

رافي: وجدتها.. سننفذ طريقة التخاطب عن بعد وقراءة الأفكار طوال فترة وجودنا هناك.

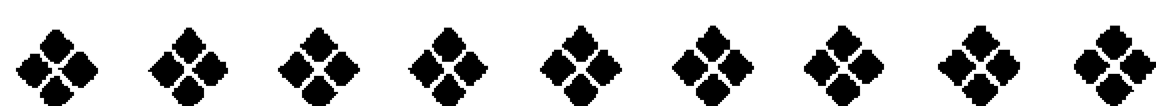
المقدم باسل: وهل تستطيعون ذلك؟

علي: لقد تدربنا عليها في مركز تنمية القدرات (DCGT) وسننفذها بدقة.

ازداد حماس المقدم باسل قائلًا:

- عندي شيء آخر أستطيع أن أساعدكم به.. سأرتب لكم لقاء مع أحد الناس الطيبين بالمقابر.. عم فضل.. هو رجل غلبان من أقدم ساكني المقابر ويعرف الجميع هناك، وسأقدمكم له على أنكم مجموعة من الشباب تقوم ببحث في المدرسة عن أحوال أهل المقابر. لكن إياكم

أن تخبـروه أنكـم تبحثون عـن إدريس، فأنا لا أضمـن، فقد يتحدث أمـام أحد هنـاك فيصل الخبر إلـى إدريس.. أنا متأكـد أن عم فضل سيساعدكم كثيرًا في وضع خطتكم.



بعـد عدة أيام التقى رافـي وفريقه بعم فضل.. كان هدف الشـباب هو جمع معلومات عن طبيعة المقابر وأهلها ليحددوا خطتهم بدقة.

ظـل رافـي يدقق النظـر في عم فضـل. هو رجـل بسـيط للغاية وفي الخمسـين من عمره، يمشـي منحني الظهر؛ فقد كسـرت الدنيا ظهره. أما ملابـس الرجـل فهي بيجامـا.. نعم بيجامـا يخرج بها ويعيـش بها وينام بهـا ويقابل بها الناس، عليها آثـار ذرات التراب، فتـراب المقابر الصفراء ظاهر في ملامحه حقيقة وليس خيالًا، فشعره الأسود ملطخ بذرات التراب الصفراء حتى صار التراب جزءًا من أنسـجة الشـعر، فلا هو أسـود ولا هو أصفر، لكنه لون داكن حزين بينهما. أما ملامح وجهه فهي أشـد غرابة من شـعره، فوجهـه ليس كوجوه البشـر التي قابلها رافي مـن قبل، فهو ليس أبيض أحرقته الشـمس كباقي المصريين، ولكنه أبيض أحرقته الحياة بين الأموات، فترى في وجهه معاني الحياة ومعاني الموت معًا، فعندما يبتسـم تتحير إن كانت هذه الابتسـامة ابتسـامة الحي الذي يسـخر من الدنيا، أم ابتسـامة الميـت عندما ينزل قبره ويرتـاح من الحياة. وعندمـا ينظر إليك تشـعر أنه يطالبك أن تسـاعده على الحياة، ثم تزيغ عيناه فجأة حتى تظن أن المـوت ناداه في هذه اللحظـة. وله حركة لا إرادية، فهو دائمًا يضع يده على وجهه للحظات، ثم يمسح وجهه بيده ويرسلها مرة أخرى، ويفعل ذلك

بشــكل مستمر كل عدة دقائق، وكأنه يريد أن يخفي معالم الألم من وجهه، أو أنه يمسح معالم الموت عن وجهه.

حــاول رافــي أن يخترق قلب هــذا الرجل، فوجد طيبــة معجونة بالألم، ووجد الرضا عن الله مخلوطًا بالسخط على المجتمع الذي تركه لفقره.

كان اللقاء في بيت الأســتاذ شــهاب، الذي صار هو والدكتور نبيل أكبر داعميــن لرافي وفريقه ليصلوا إلى الحقيقة. جلس عم فضل على مقعد في ناحيــة من المنزل، وقد شــعر بالخجل والوحدة، لذلــك جلس الدكتور نبيل يجاذبــه الحديث ليخفف عنه، وجلس الشــباب حولهم وقد تأثروا لحال عم فضل.

نظر رافي إلى علي وهمس في أذنه:

- كلنا سنحاسب يوم القيامة على هؤلاء الناس.. وسيكون السؤال: ماذا فعلنا لنرحمهم؟ وأخشى ألا نجد الإجابة!

علي: ولماذا يحاســبنا الله وهو قــادر أن يغنيهم؟ أما نحن فكل أموالنا وأموال العالم لن تكفي الملايين من الفقراء.. فلماذا تركهم الله؟

رافــي: يــا علي، اللــه كريم يعطــي عباده بســخاء. رزاق يــرزق عباده كما يشــاء. واســع يحب أن يوســع على عباده. غني عنده خزائن السموات والأرض.. فــإذا كانت هي صفــات الله الظاهرة أمامنا فــي الكون كله، فلا يُعقــل أن يضيق على هؤلاء الناس هكذا إلا إذا كان هناك شــيء خطأ نفعله جميعًا.

علي: خطأ مثل ماذا؟

رافي: خطأ في ثلاث كلمات كلها تبدأ بحرف العين: علم وعمل وعطاء.

علي: ماذا تقصد يا رافي؟

رافــي: أقصد أن اللــه أودع لنا في الأرض خيرات وكنــوزًا كثيرة تجعل حياتنــا أجمل وأفضل، وكل مــا طلبه منا هو الاجتهاد فــي البحث عن هذه الكنوز، فيزيد دخلنا ونعيش ويعيش هؤلاء الفقراء بشــكل أفضل.. وكل ما يريده منا هو السعي لنستخرج هذه الكنوز، والسعي عبارة عن علم ثم عمل ثم عطاء لإنقاذ هؤلاء الناس.

لذلك أول آية في القرآن هي «اقرأ»، ثم بعد ذلك كلمة «عملوا الصالحات» جــاءت مرات عديدة، ثم جــاءت «أنفقوا مما رزقكم الله» مرات ومرات. فعم فضل هذا لا يملك قدرات العلم والعمل كما نملكها أنا وأنت، ولذلك حســابه يوم القيامة غير حسابي أنا وأنت.

علي: لكن أين رحمة الله بهؤلاء في هذا العالم يا رافي؟

رافي: هل تســأل عن رحمة الخالق أم رحمــة المخلوق؟ أما الله الخالق فقــد رحــم بالفعل يــوم أودع كنوزه فــي الأرض، وأما المخلــوق فعليه أن يتصف بصفات الله فيســتخرج رحمات الله ويوزعها على عباده، فيتحقق معنى «الراحمون يرحمهــم الرحمن»، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

علي: فهمت يا رافي فهمت.. لم يتركهم الله، ولكن طلب ممن تعلموا أن يبحثــوا في كنوز الكون ويعطوا، فــإذا لم نفعل ضيق علينا جميعًا؛ لأننا لم نسع بالعلم والعمل والعطاء.

رافي: تعرف يا علي.. أنا بعد ما ســمعت عن ســكان المقابر، وبعد أن رأيــت عم فضل صــارت لى نية جديدة فــي اكتشــاف أرض الرملية.. هذه

الأرض جعلهــا جــدي وقفًــا لله[RB]، وأنــا اليوم أعاهــد الله إذا عرفنا ســرها وأخرجنا خيرها، أن أنفق منها على أهل بلدي وعلى سكان المقابر، ويومها لن أعطيهم المال في أيديهم، ولكن سأبني لهم ورشًا ومشروعًا حرفيًّا كبيرًا منه يرتزقون، ليخرجوا من هذه المقابر، فأكون فعلًا رافيًا لهم كما سماني أبي.

علي: ربنا يسمعك الآن يا رافي، وهو شاهد على نيتك الحلوة هذه.

قطع الأستاذ شهاب حديث رافي وعلي وقال:

- كفانــا أحاديث جانبية.. نرحب بك يا عم فضل. هؤلاء الشــباب لديهم بحث في المدرسة عن سكان المقابر، لذلك طلبوا لقاءك.

عم فضل بصوت منخفض:

- وأنا تحت أمرهم.

أراد الأســتاذ شهاب أن يسأل أسئلة سهلة تخفف على الرجل قلقه، وهو جالس أمام 8 أشخاص يسألونه فقال:

- عم فضل، منذ متى وأنت تسكن في المقابر؟

تجاوب عم فضل مع السؤال وارتفع صوته أكثر:

- يااااه! من 30 سنة، من قبل أن أتزوج.

أ/ شهاب: عندك أولاد يا عم فضل؟

عم فضل: نعم عندي 6 عيال.. 4 بنات وولدان أصغرهم طه 4 ســنوات وأكبرهم ياسمين عمرها 17 سنة.

ثم ابتسم عم فضل وقال:

- سـميتها ياسمين لأني لا أشـم إلا رائحة التراب، فقلت على الأقل أشم معنى الياسمين في اسمها.

أ/ شهاب: وكيف سكنت المقابر يا عم فضل؟

عم فضل: كانت البداية مع جدي.

ثم صمت عم فضل كأنه يتذكر الماضي البعيد[1]:

- جدي كان «توربي»، يعني عمله هو دفن الموتى، وهو الذي قام بدفن الملك فاروق سـنة 1965، دفنه سـرًّا السـاعة الواحـدة صباحًا؛ لأن الملـك فاروق مات خارج مصـر، فقد عاش آخر أيام حياته بالمنفى، لكنـه طلب أن يدفن في مصـر، فوافقت الدولة على ذلك بشـرط أن يدفن بدون إعلان أو أي مراسـم شعبية.. دفنه جدي في مدافن عائلة محمد علي باشا، وكان اسـم مدفنهم «حوش الباشا»[2]، وكان مدفنًا فخمًا جدًّا به حجرتان وأثاث ونجف غالي الثمن.. كان مفتاح المدفن والقفل الحديد مع جدي، ومرت سنون، ثم تم نقل رفات الملك فاروق إلى المقبرة الملكية بمسـجد الرفاعي، ومـن يومها لم يدفن أحد من العائلـة المالكة بهـذا المدفن، لكـن بقيت ذكريات أجسـاد الملوك. وكبر سن جدي فسُـرقت الحجرتان حتى النجفة والسجاجيد وحتى الشـبابيك، سرقت فأخذني جدي وكنت شـابًّا صغيرًا وطلب مني أن أسـاعده في حماية حوش الباشـا، فوجدت نفسـي أقيـم هناك أيامًا طويلة، حتى اسـتقر بي الحال هناك، فلـم يكن لدي عمل أو رزق إلا هذا. ولما فكرت في الزواج لم أجد مكانًا أتزوج فيه..

(1) قصة حقيقية.

(2) في الموقع الإلكتروني صورة حقيقية لحوش الباشا.

صمت عم فضل ووضع يده على وجهه كعادته ونظر إلى الأرض.

رق قلب زها لعم فضل فقالت:

- فماذا حدث يا عم فضل؟

عـم فضل: فـكان يوم الدخلة ويـوم الفرح داخل المقبـرة.. في حوش الباشا.. وعشنا وخلفنا أولادنا هناك.

زها: وماذا تعمل الآن يا عم فضل؟

صمت عم فضل قليلًا ثم قال:

- أدفن الموتى وأعيش على صدقات أهل الخير.

مسح عم فضل وجهه بيده مرة أخرى.

زها: هل أنت مُتعب يا عم فضل؟

عم فضل: الحقيقة نعم أنا لم أنم اليوم، فأنا أنام بالنهار وأصحو بالليل.

زها: لماذا؟

عم فضل: أنا أبيت كل ليلة مستيقظًا أحرس عيالي طوال الليل، فقد يمر بين المقابر ليلًا من يبحث عن شيء يبيعه ليدخن به المخدرات، فقد يخلع نافذة أو باب غرفتنا ليبيعه، وقد حدث ذلك لنا من قبل أمام أولادي.

كانت زها تبكي دون صوت وهي تقول:

- بماذا تحلم في الحياة يا عم فضل؟

سرح عم فضل قائلًا:

- أنا مـا عادت لي أحلام، ولكنـي أحلم أن يحلـم أولادي بالخروج من المقابر.

جرت دموع زها غزيرة على خدها:

- معقول ليس حلمـك أن يخرجوا من المقابر.. ولكن حلمك أن يحلموا بالخروج؟!

عــم فضل: نعــم يكفي الحلم.. فأنا أمنــع أولادي الصغار من الحلم، بل أمنعهــم من الخروج من المقابر حتى لا يــروا الدنيا، وحتى لا يعرفوا كيف يعيش غيرهم.. فيكرهون حياتهم.

زها: وماذا عن ابنتك الكبيرة ياسمين؟!

عم فضل: ياســمين الآن سنها 17 سنة وستتزوج يومًا ما، لكن زواجها صعب، فلا أحد يرضى أن يتزوج من بنت تعيش في المقابر، فلن يتزوجها إلا من يعيش مثلها في المقابر أو العشوائيات.. لذلك كله يكفي الحلم.

شــعر رافي رغم تأثــره أن الحوار مع عم فضل ذهــب بعيدًا عن الهدف المطلوب، وهو جمع معلومات تساعدهم في تحديد طريقة يدخلون بها إلى المقابر دون أن يشك فيهم أحد، فقاطع زها قائلًا:

- قل لي يا عم فضل.. من يزوركم في المقابر ليساعدكم ويهتم بحالكم؟

عــم فضل: هناك بعض الجمعيات الخيريــة تأتي لتوزع علينا بطاطين في الشتاء.

ثم ابتسم بسخرية:

- وهنــاك أصحــاب المصالح فــي الانتخابات يأتون ليشــتروا أصواتنا بكرتونة بيض أو علبة زيت أو سمن.

شعر رافي أنه بدأ يمسك خيطًا يساعده في تحديد طرق طبيعية لدخول المقابر لا يشك فيها أحد فقال:

- ومن أيضًا يا عم فضل؟

عـم فضل: وهناك أيضًا بعـض خبراء الآثار، يأتـون لمتابعة أو ترميم مقابر المشـاهير أو العلماء القدامى؛ لأن عندنـا قبورًا مهمة حتى لصحابة سـيدنا محمد مثل قبر أبـي ذر الغفاري، وبجوارنا ضريـح عقبة بن عامر الجهني، وقبور تابعين مثل قبر أم كلثوم بنت الحسين بن علي[1].

رافي: ومن أيضًا يا عم فضل؟

عـم فضل: وهناك بعـض الإعلاميين والقنوات الفضائيـة تأتي لتصور فقرات عنا، ليكسبوا عطف المشاهدين علينا مقابل مبالغ يعطونها لنا.

فجأة ضحك عم فضل بشدة، ثم مسح وجهه مرة أخرى.

رافي: لماذا تضحك يا عم فضل؟

عم فضـل: تذكرت قصة حدثت العام الماضـي، عندما حضرت مذيعة ومعهـا كاميـرا للتصوير، وطلبـت أن تصور مع زوجتي بشـرط أن تبكي زوجتي أمام الكاميرا ليتأثر المشـاهدون.. وسجلت الحوار لكن زوجتي لم تبك، فغضبت المذيعة وقالت لي وهي تنصرف: لن ندفع لأنها لم تبك، فقلت لها: صحيح هي لم تبك أمام الكاميرا.. لكن انظري هي تبكي الآن.

صمـت الجميع، لكن رافي عـاد فقطع الصمت ليحصـل على مزيد من المعلومات.

رافـي: هل هناك أحد آخر يزوركم يا عـم فضل غير الجمعيات الخيرية والإعلاميين ومروجي الحملات الانتخابية؟

(1) معلومات حقيقية.

عم فضل: نعم بعض مدمني المخدرات.. وأحيانًا للأسـف بعضهم من المشاهير يحضرون ليشتروا قطع الحشيش من الدولاب.

د/ نبيل: ماذا قلت؟ الدولاب؟

ابتسم عم فضل قائلًا:

- نعم الدولاب هو الاسم الحركي لمكان إخباء المخدرات.

د/ نبيل: وما المقصود بها؟

عم فضل: الدولاب هو التربة نفسـها، فبعـض تجار المخدرات يدفنون الحشيش في التربة بجوار الأموات.

د/ نبيل: ولماذا يفعلون ذلك؟

عـم فضل: لأن حرمة الموتى كبيرة جدًّا، فـإذا جاء البوليس وحاول أن ينبـش في القبور للبحث عن المخدرات سـتكون فضيحة.. فلن يجرؤ على ذلك أحد.

ود: أنا أشعر أن رأسي تدور مما أسمع.. أرجوكم كفاية أنا تعبت!

شكر رافي عم فضل ثم سأله:

- هل ستسمح لنا بزيارتك يا عم فضل؟

رد عم فضل بشهامة:

- أنتم تشـرفوننا.. صحيح نحن ناس على حالنا، لكن سوف نفتح لكم حوش الباشـا ونعمل لكـم (Tour) في المقابر.. طبعًـا أصل عندنا قبـور نـاس مهمة جدًّا، ولتـزوروا قبور الصحابة وطبعًـا قبر الإمام الشافعي، ونشوي لكم ذرة.

صافي: يا سلام.. (Tour) رائعة فعلًا!

قام رافي وحضن عم فضل:

- أنت رجل طيب وشهم يا عم فضل.

أخذ الأستاذ شهاب عم فضل من يده وخرج معه من المنزل ومعه الدكتور نبيل، وبقي الشباب في المنزل في حالة وجوم وصمت، ولا تزال دموع زها وود تجري. شعر صافي أنه لا بد من تلطيف الجو على الجميع، فهو هكذا يفعل دائمًا، فلا بد للحياة أن تسير بحلوها ومرها.

صافي: يا جماعة أنا حلمت حلمًا عجيبًا جدًّا الأمس.. حلمت أني وقعت من الدور الرابع، وعندما لمست الأرض وجدت نفسي تحولت لزجاجة مياه غازية تفور وتفور في السماء، ثم تحولت مرة أخرى إلى زرافة طويلة، ووصلت إلى الدور الرابع، ورقبة الزرافة كلها أدراج، كل درج بداخله زجاجة مياه غازية تفور وتفور. هل منكم أحد يعرف تفسيره؟

فيصل: مرة مرة حلم سخيف.. لو كنت عندي الآن في جدة كنت أنا الذي ألقيتك من الدور الرابع.

صافي: ولكني سألت عن تفسيره فقالوا معناه أني عندما أكبر سأتزوج أربع ستات، وسيقبلن الزواج مني لأني زرافة دمي ظريف، لكن لأن الستات يعشقن النكد، سيفور بسببهن دمي ليلًا ونهارًا.. مثل زجاجات المياه الغازية عندما تفور.

زها: هل أنت متأكد أن عندك دمًا أصلًا أصلًا ليفور؟ ألم تسمع ما سمعناه من عم فضل؟

أكمل صافي حديثه كأنه لم يسمعها:

- سمعتم آخر نكتة؟ مرة..

ثم صمت صافي وقال:

- يا زها، أنا سمعت كلام عم فضل، لكن أردت أن أخفف عنكم.

زها: حقيقي شكرًا يا صافي.. أنت دائمًا تخفف عنا!

كان رافي أثناء هذا الحوار صامتًا سارحًا يفكر بعمق، وفجأة صرخ:

- وجدتها.. وجدت الخطة لدخول المقابر دون أن يشك فينا أحد!

وفي هذه اللحظة دخل الأســتاذ شــهاب والدكتور نبيل، وتجمع الشباب ليسمعوا خطة رافي..

– 2 –

بدأ العمل لوضع خطة لدخول المقابر..

رافي: سنقسم أنفسـنا ثلاث مجموعات، مجموعة ستدخل المقابر على أنهـا جمعيـة خيرية توزع بطاطين عدة أيام، فتدخـل كل مكان تبحث عن إدريس، وهذه المجموعة مكونة من فيصل وزها.

أ/ شهاب: هذا اختيار صحيح؛ لأن فيصل لهجته سعودية، فالأفضل أنه دخل ليوزع بطاطين.

د/ نبيـل: وأنـا سـأتكفل بقيمـة البطاطيـن، وسأرسـل معهم بعض الموظفيـن من المكتب حتـى يبدو الأمر طبيعيًا، ولا يشـك أحد في فيصل وزها لأنهما صغيران في السن.

رافـي: المجموعـة الثانية يدخلون على أنهم خبراء آثـار قدموا للمقابر ليفتشـوا عن آثار مقابر المشـاهير من الصحابة والعلماء والأسر العريقة، ونسـتعين بالدكتور مخلص أبـو الوفا كخبير للآثار ليكـون معهم، فيبدو الأمـر طبيعيًا، وهذه المجموعة يكون هدفهـا البحث في القبور المهجورة، فربما يكون إدريس مختبأ فيها.

صافي: أنا مستعد أن أكون ضمن هذه المجموعة.

ود: وأنا أيضًا، فأنا لهجتي سـورية، وسـيكون مقبولًا وأنا أحب الفنون، وأنا أحضر لمصر لأهتم بالآثار.

رافي: لكن ما هو المبرر لدخول شباب في سنكم للبحث عن الآثار؟

د/ مخلص: فعلًا هذا أمر مريب ومخيف.

أ/ شـهاب: لا تخـف يا دكتـور مخلص.. نقول إنهم طلبة في مدرسـة يريـدون أن يتخصصوا في دراسـة الآثار، فكلفتهم المدرسـة بهذه المهمة معك.

د/ مخلص: طيب.. ربنا يستر.

أ/ شـهاب: عظيـم.. إذن صافي وود مع الدكتـور مخلص أبو الوفا في هذه المجموعة.

رافـي: أمـا المجموعة الثالثة فأنا وعلي، ويكون معنا الأسـتاذ شـهاب، وسـندخل ضمـن جنازة عادية علـى أننا من أهل الميت، وسـنحاول البقاء هناك أطول فترة ممكنة من خلال التواصل مع عم فضل.

د/ نبيل: لكن لا بد أن تحددوا مدة زمنية لهذه الخطة، وإلا سينكشـف الأمر.

أ/ شهاب: صحيح.. أعتقد أن ثلاثة أيام هي أقصى مدة لهذه المهمة.

فيصل: لكن كيف سنفعل كل ذلك في مكان لا نعرفه ولم نره من قبل؟

علي: بسـيطة.. ندخـل الآن على جوجـل إرث ونرى المـكان بالكامل، ونعرف المداخل والمخارج بالتفصيل..

فتـح علي جهاز اللاب توب الخاص بـه، وكتب على جوجل إرث «مقابر الإمام الشافعي»، فظهرت خريطة كاملة بتفاصيل المكان.

رافي: اكتب يا علي «حوش الباشا».

كتب علي فلم يظهر له شيء.

رافي: إذن اكتب مدافن أسرة محمد علي باشا.

علي: نعم ظهرت.. ها هي.. تمامًا كما وصفها عم فضل.

زها: إذن هكذا اكتملت الخطة.

رافي: بقي شيء واحد.. لكنه شديد الأهمية.

زها: وما هو؟!

رافي: المقدم باسل أخبرنا أن التواصل فيما بيننا بالموبايلات سيثير الشكوك حولنا، ولذلك سنتواصل عن طريق قراءة الأفكار والتخاطب عن بعد.

د/ نبيل: وما هو التخاطب عن بعد؟

أ/ شهاب: هو قدرة عقل الشخص على الاتصال بعقل شخص آخر دون وجود وسط فيزيقي.

د/ نبيل: أنا آسف يا أستاذ شهاب.. أنا رجل علمي أومن بالعلم، فهل عندك دليل علمي على هذا الكلام؟

أشار الأستاذ شهاب إلى جهاز اللاب توب قائلًا:

- جهاز الكمبيوتر هذا عبارة عن حديد فهو جماد، لكنه يرسل إيميلات عبر العالم عن طريق الكهرباء.. إذا كان الحديد يفعل ذلك، فما بالك بعقل الإنسان؟ عقل الإنسان أيضًا به نشاط كهربائي أقوى من الحديد، وهذا ما أثبته العلم الحديث. وكلما زادت طاقة الإنسان

الذهنية، وزاد تركيزه العميق، زادت قدرته على إرسال تلك الموجات الكهربائية عبر الفضاء ودون وسيط مادي[1].

د/ نبيل: هل هذه معجزات ضد الطبيعة؟

أ/ شـهاب: لا تحدث المعجزات ضـد الطبيعة، ولكن تحدث ضد ما هو معروف عن الطبيعة.

رافي: نريد الآن أن نتدرب على طرق للتخاطب عن بعد؛ لأن أي خطأ قد يعرض حياتنا للخطر.

أ/ شـهاب: دعوني أجـرب معكم بعـض التجـارب الآن، لنطمئن على قدراتنا جميعًا، لكن لا بد أن نستعد ذهنيًا ونفسيًا لذلك.

د/ نبيل: وكيف ذلك؟

أ/ شـهاب: لا بد من مكان مفتوح غيـر مغلق، مكان به مناظر طبيعية مريحة للعين، فيها اتسـاع للنظر. ممكـن أن نصعد إلى روف المنزل، فهو يطل على واحة خضراء خلفها صحراء ممتدة.

وفي روف المنزل وأمام منظر طبيعي ساحر بعيدًا عن تعقيدات الحياة المادية، قال الأستاذ شهاب:

- كل منا يجلس أكثر جلسـة مريحة لأعصابه، ويبدأ في التأمل العميق بتركيز شـديد لمـدة 20 دقيقـة، ويطرد كل الأفكار المشوشـة على تفكيره إلا فكرة واحدة، هي أننا سنتخاطب الآن عن بعد.

(1) حقيقة علمية.

ساد صمت طويل عميق حتى توقفت الحركة تمامًا، ثم عاد صوت الأستاذ شهاب:

- والآن نق نواياك من كل كراهية أو بغضاء أو حقد، وخذ نفسًا عميقًا كأنك تسافر بعيدًا عن كل شيء سيئ.. عد إلى فطرتك!

وبعد عدة دقائق عاد الأستاذ شهاب:

- والآن أعتقد أنكم مستعدون للتجربة.

رد الجميع بصوت واحد في منتهى الهدوء:

- نعم مستعدون.

أ/ شهاب: يوجد أمام كل منكم جهاز اللاب توب الخاص به؛ سنفتح جميعًا جوجل إرث على مقابر الإمام الشافعي.. هناك 4 مداخل لهذه المقابر، والآن أريد من رافي أن يرسل لكل واحد منكم دون أن يتحدث معه بريدًا ذهنيًا بالباب الذي يريده الدخول منه، وعلى كل منكم إذا جاءته هذه الإيميلات الذهنية أن يكتب في ورقة أمامه رقم المدخل دون أن يراه أحد.

ساد الصمت لمدة 10 دقائق كاملة بلا أي حركة، ثم بدأت زها تكتب، وبعدها مباشرة بدأت ود تكتب، ثم علي، حتى صاح فيصل:

- أنا مدخل 3!

زها: وأنا أيضًا كتبت مدخل 3!

رافي: وهذا بالضبط ما أرسلته إليكما.

ود: وأنا مدخل رقم 1!

رافي: صح!

علي: وأنا مدخل رقم 2!

رافي: معي من نفس المدخل يا علي.

أ/ شهاب: شيء رائع ممتاز.

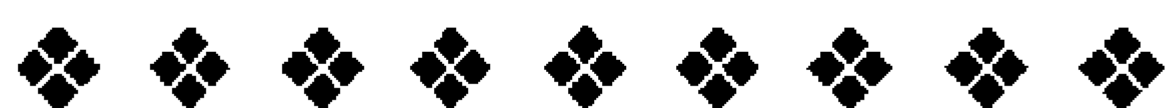
صافي: هل أنتم متأكدون أن مقابر الإمام الشافعي موجودة على جوجل إرث؟

ضحك رافي:

- عمومًا أنت مدخل واحد مع ود يا صافي.

صافي: طبعًا طبعًا.. أنا كنت أمزح، أنا فعلًا مدخل رقم واحد.. أنا فاهم كل حاجة.

رافي: الآن نتوكل بحق على الله.. غدًا إن شاء الله ندخل المقابر.



وفـــي اليـوم التالي دخل رافي وعلي والأسـتاذ شـهاب ضمـن جنازة لا يعرفون أصحابها. لم تكن لحظات دخول المقابر سـهلة عليهم، ليس فقط لخطـورة مهمتهم، ولكن لهيبــة المكان، فالموت له رهبة ليس لها مثيل في الحياة.

كان الصمت يحيط بالمكان، ليس فقط صمت الأموات، ولكن حتى جدران القبور كان لها صمت عجيب، حتى الأشجار القليلة الموجودة بالمكان كأنها تشـتكي هي أيضًا مرض الصمت، فما عـادت تحرك أغصانها ولا أوراقها.. أما الشـيء الغالب علـى المكان فهو التراب.. تراب يغطـي الموتى، وتراب يكسـو الجدران، وتـراب يملأ الوجـوه ويغطي الأقدام.. والمقابر مقسـمة

شوارع غير مرصوفة، وكل شارع له اسم عكس الحقيقة، فهذا شارع اسمه عين الحياة.. وهذا يسمى بشارع النور.. وكل شارع به سلسلة متصلة من الأحواش عن اليمين والشمال، وكل مقبرة لها رقم وعليها لوحة رخام مكتوب عليها اسم العائلة أصحاب المدفن «الحوش»، وجدرانها مبنية من الطوب الحجري القديم، ومساحة كل حوش لا تزيد عن 120 مترًا. أما السلالم المؤدية إلى الغرف السفلية حيث يدفن الموتى فهي مغلقة بألواح كبيرة من صخور وإسمنت، بحيث لا تفتح إلا عند الدفن. وقف رافي وعلي وسط المعزين في الجنازة لكنهما يراقبان كل شيء حولهما.

مضى اليوم الأول وقد أدى كل فريق مهمته، لكن لم يعثر أحد على إدريس أو على أي خيط يوصل إليه، ولم يحاولوا أن يسألوا أي واحد حتى لا يثيروا الشكوك. وفي اليوم التالي عاد كل فريق ليكمل مهمته، وزار فيصل وزها عددًا أكبر من أهل المقابر ليوزعا البطاطين، وللأسف لم يصلا إلى إدريس، لكنهما تأثرا بشدة لبؤس الأطفال هناك، فالأطفال هناك حفاة بملابس رقيقة وسط برد الشتاء.

وجدت زها نفسها أمام أم تجلس أمام مقبرة، وحولها ثلاثة أطفال أعمارهم بين السابعة والعاشرة.

زها: هذه بطاطين لأولادك.

الأم: أنا لا أريد بطاطين.. أنا أريد ما هو أهم من ذلك.

فيصل: أؤمريني يا أمي.. ماذا تريدين أنا في خدمتك.

الأم: أريد أن أعالج أولادي الثلاثة.

فيصل: الثلاثة مرضى؟!

الأم: نعم كلهم عندهم مرض نفســي.. يصرخون بالليل ويكســرون كل شيء، وأحيانًا يكلمون أنفسهم ودائمًا مكتئبون.

فيصل: أكيد مرض الاكتئاب هو أشد مرض موجود في هذا المكان.

الأم: ذهبنــا إلى الأطباء فقالوا عندهــم كهرباء زائدة في المخ، ولا بد أن يعيشوا خارج المقابر. أرجوكم ساعدوني أن أجد مسكنًا ولو 50 مترًا.

فيصل: أعدك يا أمي سأفعل.. أعدك.. لكن كيف أجدك مرة أخرى؟

الأم: إذا صدقت في وعدك فقط اسأل عني.. اسمي أم محمود حوش 41 شارع عين الحياة.

أمــا فريق صافــي وود مع الدكتور مخلص أبو الوفــا فلم يجدوا أي أثر لإدريــس في اليوم الثاني أيضًا، لكنهم فوجئوا بشــيء غير متوقع.. فوجئوا بفــرح داخــل المقابر.. نعم فــرح وعريس وعروســة وزفة، وأم العروســة تتلقــى التهاني، وأم العريس توزع الشــربات، وكل ذلــك بين القبور.. كان وجه العروســة يخفي خوفًا كبيرًاعندما يلتقي مكياج الوجه بتراب الأرض، ووصلــت الزفة إلى بــاب المقبرة، ووقف أهل العروســين مودعين العريس والعروسة، فوقف صافي وود مذهولين.

ود: ما هذا؟ زفاف إلى المقبرة؟!

صافي: شيء لا يصدقه عقل!

نظر الدكتور مخلص بتأمل في وجه العروسة:

- من 7 آلاف ســنة كان قدماء المصريين يزفون عروســة النيل، ليكون يــوم زفافها هــو يوم موتها، حتى جاء عمر بــن الخطاب فأبطل هذه العادة السيئة، فهل نحن اليوم نعود لما فعله أجدادنا؟[RB].

RB:www.RafiBarakat.com

صافـي: أنا مدين لعمر بن الخطـاب أنه أنقذ بنات مصر من الإلقاء في النيل.. لكن من لبنات المقابر اليوم؟!

ود: أنـا فقـط أقول الحمد لله.. فعلًا الحمد للـه.. نحن لا تعجبنا حياتنا ودائمًا غير راضين رغم كل نعم الله علينا.. أنا الآن أشـعر بالخجل بعد كل نعم الله علي.

وبينمـا هم كذلك كان رافي وسـط جنـازة أخرى، لكنه أيضًـا لم يعثر لإدريس على أي أثر، وأراد أن يطمئن على باقي الفريق ويخاطبهم عن بعد، فأرسـل بريدًا ذهنيًـا لزها وفيصل: «أريد أن أطمئـن عليكم». وإذا بفيصل يقـول لزها: «ما رأيك أن نمر من هذا الطريق، يمكن أن نجد رافي فنطمئن علـى بعضنا؟». وبالفعل التقيا وتبادلا نظرات الاطمئنان، وسـلمت العيون بهدوء وانصرف كل فريق ليكمل مهمته.

انتهـى اليـوم الثاني ولا أثـر لإدريس علـى الإطـلاق، وزاد التوتر لدى الجميـع، فلـم يعد يبقى إلا اليـوم الأخير. كان رافي في قمـة التركيز، وقد دخـل أيضًا للمرة الثالثة ضمن جنازة لا يعرفها، لكنه قرر أنه لن يرحل في هذا اليوم حتى يجد إدريس.

لكـن أحداث اليوم الثالث والأخير مضت عكـس ما يتمنى الجميع، ففي منتصـف النهار نفدت كل البطاطين من زهـا وفيصل، ووقفا حائرين ماذا يفعلان.. في نفس هذه اللحظات أحس رافي بحاسـته السادسة أن الفريق الأول أنهى مهمته ولم يعثر على إدريس، وأدرك أنهم في حيرة هل يرحلون أم يبقون، فتخاطب معهم بسـرعة: «أشـكركم على جهدكـم، لكن لا بد أن ترحلوا الآن». وصلت الرسـالة إلى زها فحسمت حيرة فيصل وقالت له: «لا بد أن نعود الآن».. فتركوا المقابر وانصرفوا.

أما الفريق الثاني فقد أحـس الدكتور مخلص بقلقه المعروف أن هناك من يراقبه، فقرر أن ينصرف فورًا، فاضطر صافي وود أن ينصرفا معه.

وهكـذا اقترب مغرب اليوم الثالث ولم يصل رافي لأي نتيجة، لكن رافي الـذي لا يعرف المســتحيل زاد إصرارًا على الوصول إلــى نتيجة، فقرر أن يذهب إلى حوش الباشا ليقابل عم فضل لعله يصل إلى شيء.

وبالفعل اتجه رافي إلى حوش الباشا، وهناك وجد عم فضل جالسًا على عتبة المقبرة واضعًا يده على وجهه كالعادة.

رافي: عم فضل، هل تتذكرني؟ تقابلنا الأسبوع الماضي.

عم فضل: أهلًا أهلًا وسهلًا.

رافي: أنا وفيت بوعدي وجئت أزورك كما وعدتك.

عـم فضل: هذا شـرف كبير.. تفضل.. هذا حوش الباشـا.. شــيء آخر فخامة.

دخـل رافي وعلي والأسـتاذ شـهاب. كانت أسـوار الحوش النحاسـية محطمة من آثار السـرقة. أما الحجرة التي يعيـش فيها عم فضل وأطفاله السـتة فلا كهرباء ولا ماء.. فقط هناك جردل ممتلـئ بالماء، بجواره كوز، وبجـوار الجردل شـمعة صغيرة ومقشـة. كان بالحجرة 6 مراتب ليسـت بالسـميكة، وبجوار كل مرتبة بطانية. أما نافذة الحجرة فليسـت في أعلى الجدار مثل البيوت العادية، وإنما بجوار الأرض؛ لأنها ليست مصممة أصلًا لسكن البشر، فإذا مر إنسان خارج الحوش تظهر أقدامه عند النافذة.

جلس رافي على إحـدى المراتب وبجواره أولاد عم فضل يلعبون، وقدم لهم عم فضل الشاي وإن كانوا لا يدرون من أين أتى به.

طال جلوس رافي وبدأ يحاول أن يسأل عم فضل أسئلة أكثر تفصيلًا عن مكان المقابر، وعم فضل يجيب.. لكن عم فضل بدأ يكثر من حركته اللاإرادية في مسح وجهه بيده وبدأ يشعر بارتباك.. لذلك بدأ رافي يقرأ أفكار عم فضل، فهمس في أُذن الأستاذ شهاب:

- هذا الرجل بدأ يشك فينا.

أ/ شهاب: لا لا.. أعتقد أنه رجل طيب.

رافي: نعم أنا أعرف أنه طيب، لكنه ربما يخاف على نفسه وأولاده.. عمومًا إذا قام وخرج من الحوش فأعتقد أن ذلك معناه أنه سوف يستدعي أحدًا ليتعامل معنا.

أ/ شهاب: الرجل جالس كما ترى.. لم يتحرك من مكانه.

وبعد دقائق قال عم فضل:

- أستأذنكم 5 دقائق.. عندي مشوار قصير.. البيت بيتكم.

علي: طبعًا طبعًا يا عم فضل.

وبمجرد خروج عم فضل، قال رافي:

- هيا بنا الآن!

نظر الأستاذ شهاب من نافذة الحجرة، فوجد أقدام رجل بجوار السور:

- انظروا!

رافي: إذن هناك من يراقبنا!

علي: وما الحل الآن؟!

أ/ شهاب: لا بد أولًا أن نخرج من هنا فورًا.

خرج الثلاثة وإذا برجل يقف ومعه بطارية صغيرة ظهر بسبب ضوئها ظله من نافذة عم فضـل.. تحرك الثلاثة وبدأ الرجل يتحرك خلفهم بخطى بطيئة.

رافي: أليس هناك شـيء اسـمه تشـويش علـى الـرادارات والمحطات الفضائية؟

علي: نعم.

رافـي: فلماذا لا نحاول أن نشـوش على أفكار هـذا الرجل حتى نهرب منه؟

علي: حاول يا رافي أن تفعل ذلك!

بـدأ رافي يركز بشـدة علـى بطارية الرجل حتى تسـقط من يده، وإذا بالرجل يتعثر بحجر أمام أحد المقابر فيسقط على وجهه وتنكسر البطارية.

أ/ شهاب: اجر يا رافي.. اجر يا علي.

علي: إلى أين يا أستاذ شهاب؟ الدنيا أظلمت ولا نعرف مداخل ومخارج المكان!

أ/ شهاب: إلى أي مقبرة غير مغلقة لنختبئ بها حتى الصباح.

علي: معقول أنا سأبيت في المقابر بين الأموات؟ لا.. لا يمكن!

أ/ شهاب: اسمع الكلام يا علي.

علي: أنا سأعود!

أخذ رافي وهو يجري يشد علي من ملابسه ويسحبه:

- اسمع الكلام واجر يا علي!

أ/ شهاب: هذه مقبرة مفتوحة.. هيا ادخلوا!

رافي: يوجد في الحوش حجرة لكنها مغلقة، والحوش مفتوح، وإذا دخل أحد سيرانا، وقد يرى ظلنا في ضوء القمر.

علي: نحن مكشوفون حتى داخل المقبرة.

أ/ شهاب: انظروا السلالم السفلية المؤدية إلى مكان الدفن بالأسفل مفتوحة، وهذا معناه أن هذا المدفن لم يدفن فيه أحد بعد.. هيا ننزل إلى أسفل المقبرة نختبئ هناك.

علي: لا.. لا.. لا.. هل سندفن أنفسنا أحياء؟ أنا لن أنزل.. لن أنزل!

رافي: تمالك نفسك يا علي.. نحن في وضع خطير.. أرجوك انزل معنا!

كان علي يرتعش وهو يتمتم:

- لا أقدر.. لا أستطيع!

جذب رافي علي بشدة إلى أسفل:

- انزل معي يا علي أرجوك وإلا سيكشف أمرنا جميعًا.

نزل الثلاثة إلى أسفل المقبرة حيث يدفن الموتى. كان الظلام شديدًا، وساد صمت مخيف كأنما شموا رائحة الموت ولمسوا معنى الموت. جلس الثلاثة وقد أسندوا ظهورهم على الحائط داخل المقبرة.

علي: أنا خائف من ظلام الليل، وظلام الموتى، وظلام القبر، ثلاث ظلمات مخيفة.

رافي: ســـبح الله يا علي.. ناج الله وكلمه واستعن به.. الله معنا يسمعنا ويرانا ويعلم صدق نوايانا ولن يتركنا فلا تخف. وعمومًا أنا معي بطاريتي، ستترك لنا بعض الضوء لتطمئن.

بدأ علي يسبح وبدأ يهدأ. أما الأستاذ شهاب فظل يقرأ بصوت منخفض رقيق آيات من القرآن. أما رافي فجلس يتأمل معًا في الموت والحياة، وفجأة تذكـر والــده ووالدته ووجد نفســه يكلمهما: أبي أنت قلت لي اقرأ واســأل وابحث لتصل إلى الحقيقة، وأنا فعلت الثلاثة لكني لم أصل إلى أي شيء!

ثم تذكر كلمات الشيخ سالم: «ستمر عليك لحظات صعبة ستشعر فيها أن مهمتك ثقيلة بل مســتحيلة، فإذا شعرت بذلك فأفضل دواء لك أن تخرج من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته، وقل عندها: لا حول ولا قوة إلا بالله».

سالت دموعه ثم جرى لسانه بهذا الدعاء: يا رب.. أنا ضعيف لا حول لي ولا قوة، لم يعد لي ملجأ فلا تتركني!

ظل يرددها في ســره ودموعه تسيل بلا صوت.. وأخذ يردد: لا حول ولا قوة إلا بالله!

فجأة سمع الثلاثة صوت أقدام تقترب من المقبرة. كتم الثلاثة أنفاسهم حتى لا يشــعر بهم أحد وأطفأ رافي بطاريته.. وإذا بأقدام رجلين يقتربان مــن المقبرة، ووقفــا داخل حوش المقبــرة على بعد خطوات من الســلالم السفلية حيث رافي وعلي والأستاذ شهاب.

نادى الرجل الأول:

- يا ولد يا فرحات..

فرحات: نعم يا معلم؟

المعلـم: انزل التربـة وأحضر الأمانة من الـدولاب للزبون الموجود عند المدخل 3.

فرحات: حاضر يا معلم.

المعلم: أنا قلقت من العيال الذين دخلوا المقابر من يومين.

فرحات: خافوا وهربوا يا معلم.. كل شيء أمان.

المعلم: وعثمان مختبئ في مكانه الجديد؟

فرحـات: تمـام يا معلم.. ذهبت إليه ونقلته إلى حوش رقم خمسـة هنا بجوارك، وأغلقت عليه الحوش بالقفل الحديد لمزيد من الحرص. لكن لماذا يا معلم نأوي عثمان هذا؟ واضح أن وراءه مشاكل كثيرة.

المعلم: يا ولد يا فرحات الرجل يدفع مبالغ ليست بالقليلة، والمخدرات صعبة هذه الأيام، والناس صارت بلا كيف، والحكومة مفتوحة الأعين علينا.

فرحات: الله يستر علينا.

نـزل فرحات إلى أسـفل المقبرة علـى بعد خطوات من رافـي، لكنه لم يشـعر بهـم، فقد كتموا أنفاسـهم وتوقفوا عن الحركة تمامًـا.. بدأ فرحات ينبـش فـي الأرض، وأخرج قطعـة ملفوفة في قماش لـم يتبينها رافي في الظلام، ثم خرج فرحات وانصرف.

كان الثلاثـة يتصببـون عرقًا مـن صعوبة الموقف، فلمـا خرج فرحات خرج الثلاثة من صمتهم مرددين:

- الحمد لله!

تصاعدت أنفاس رافي ودقات قلبه بشدة وهمس:

- أخيرًا وصلت إلى قاتل أبي.. عثمان هو إدريس!

مضى المعلم وفرحات، وسجد رافي شكرًا لله ونظر إلى علي وهو يبكي من الفرح، وقال:

- فهمت الرسالة يا علي.. فهمت الرسالة.. هذه رسالة من الله أنك عليك الجهد، تقرأ وتبحث وتسأل لكن النجاح لا يحصل من مجهودك، ولكن بقدرة ومعونة الله؛ ليعلمنا أن نخرج من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته.

علي: الحمد لله يا رافي.. الحمد لله.

رافي: لكن أين حوش 5؟

أ/ شهاب: أكيد في هذا الشارع؛ لأنه قال بجوارك.

رافي: لنخرج بهدوء نبحث عن الأرقام.

علي: هذا حوش 7.. إذن حوش 5 قبله من هذه الناحية.

رافي: وجدته.. هذا حوش 5.. إدريس هنا.. وهذا هو القفل الحديد على الباب!

علي: اخفض صوتك يا رافي.

أ/ شهاب: اسمع يا علي.. لا يوجد وقت، سنوزع الأدوار.. أنا ورافي سنحاول الدخول وأنت ستذهب بسرعة خارج المقابر، لتحاول الاتصال بالمقدم باسل ليحضر بقوة للقبض على إدريس.

علي: حاضر سأبذل ما في وسعي، لكني خائف.

رافي: لا تذهب يا علي.. حاستي السادسة تقول إن المقدم باسل حولنا وقريب منا ولم يتركنا.

فجأة سمع رافي أصوات أقدام عديدة قادمة خلفه تجري بسرعة وصوت ينطلق:

- حاستك السادسة صحيحة يا رافي.

رافي: المقدم باسل!

أمر المقدم باسل العساكر قائلًا:

- اكسروا قفل هذا الباب.

كسر القفل بسرعة وانطلق الجميع نحو حجرة في جانب الحوش، وفي أيديهم كشافات كبيرة سلطوا الأضواء داخل الحجرة، ورافي يسابقهم إليها وفي يده بطاريته.

صرخ رافي بأعلى صوته:

- الحجرة فارغة! لا يوجد أحد! أين إدريس؟!

المقدم باسل: انظروا.. هناك كسر في نافذة الغرفة.

رافي: كيف عرف؟

علي: لا بد أنه أحس بنا فهرب.

المقدم باسل: أكيد هناك من أخبره أنه مراقب وإلا كيف عرف؟!

نظر رافي من النافذة:

- لن يفلت مني!

المقدم باسل: حاصروا كل الطرق المحيطة بهذه المقبرة.

علي: انظروا هذه آثار دماء على النافذة.. لا بد أنه أصيب وهو يهرب.

رافي: وهذه آثار أقدامه.. لقد هرب في اتجاه حوش الباشا.

جرى الجميع ودخلوا حوش الباشا.. وهناك كان إدريس.

سلط رافي بطاريته فوقعت على وجه إنسان.. صرخ رافي:

- إدريس.. هذا هو إدريس!

المقدم باسل: لا تتحرك يا إدريس.. اثبت مكانك!

كان إدريــس في جانب الحجرة جالسًــا منكمشًــا، يبــدو عليه الاكتئاب والاستسلام.

علي: أخيرًا وجدناك!

المقدم باسل: اقبضوا عليه.

رافي: لحظة واحدة أرجوك.

جرى رافي وجذب إدريس من ملابسه:

- لماذا قتلت أبي؟ لماذا خنت من أحسن إليك؟!

بدأ إدريس يعترف وقد انهار باكيًا:

- أنــا كنت عبد المأمــور.. وأنا نادم نادم نادم. أرجوك يا أســتاذ رافي سامحني.. ارحمني من عذاب الضمير. لم أكن أتصور أن يموت أبوك، واللــه العظيــم لم أكن أتصور أن يموت.. قالــوا لي فقط اقطع فرامل الســيارة، لتحدث حادثــة لتلين دماغ مراد ليحقــق ما نريد، فقطعت الفرامل لكن والله لم أكن أريد قتله.. سامحني أرجوك.

رافي: من الذي أمرك بكل هذا يا إدريس؟

إدريس: مجموعة من الخواجات جاءوا يزورون والدك.. كانوا تشكيلة من أجناس كثيرة.. هنود وصينيون وعرب وأجانب، لكن بعضهم يعرف عربي مكسر، فأرسلني والدك كسائق لهم عدة مرات، فكانوا يعطونني أموالًا كثيرة بسخاء، وكانوا يذهبون إلى أرض الرملية.. وفي مرة سمعت أباك يقسم لهم قبل وفاته بأسبوع أنه لن يبيع لهم حبة رمل من أرض الرملية، إلا بعد أن يعرف سر هذه الأرض ويبني مدرسة لأهل القرية.. لكنهم جاءوا مرة أخرى فرفض أن يقابلهم، وطلب مني أن أوصلهم إلى القاهرة من أدبه مع الناس.. فذهبت معهم فعرضوا علي أموالًا وشغلًا عندهم مقابل أن أقطع الفرامل فقط لتخويف والدك.. غووني وصدقتهم ومن يومها وأنا نادم نادم.

ظل إدريس يبكي بصوت عال وقد وضع العساكر الكلبشات في يديه.

رافي: ما هي أسماؤهم يا إدريس؟

إدريس: كان فيهم واحد هندي اسمه جامشيد.

رافي: دكتور جامشيد! عرفته.. عرفته!

إدريس: نعم هو اسمه دكتور جامشيد.. هو الذي كان يتكلم معي.

رافي: ومن أيضًا يا إدريس؟

إدريس: لا أعرف الباقين.. والله لا أعرفهم.

أ/ شهاب: انطق يا إدريس!

إدريس: والله لا أعرفهم.

رافي: أعتقد أنه صادق.

إدريس: والله هذا كل ما أعرفه.. لا.. هناك شيء آخر تذكرته الآن.

رافي: ما هو؟!

إدريس: عندما رفض أبوك أن يقابلهم كانوا يقولون كلمة لم أفهم معناها!

رافي: وما هي؟!

إدريس: سمعتهم يقولون المايسترو.

رافي: ما معنى هذا؟!

إدريس: قالوا سنترك المايسترو ليتصرف هو مع مراد.

قام رافي وصمت ثواني، وقد شعر أن هذه الكلمات هي الخيط الحقيقي لمعرفة كل الحقائق:

جامشيد ثم المايسترو.. هذه رحلة بحث جديدة!

المايسترو

- 1 -

العالم يفسح الطريق للإنسان الذي يعرف أين هو ذاهب.. كانت هذه هي كلمات الأستاذ شهاب أمام حيرة رافي ورفاقه، بعد القبض على إدريس وظهور شخصية مبهمة جديدة عرفوا اسمه السري، ولم يعرفوا اسمه الحقيقي.. إنه المايسترو؛ مما جعلهم يشعرون أنهم تائهون ومحبطون.

لكن إحباط الفريق لم يمنع رافي أن يمارس تمارينه اليومية لتنمية قدراته الخاصة.. كل يوم في الصباح الباكر يمشي ساعة، ثم يجلس جلسة تأمل طويلة يذكر فيها الله بعمق كبير، ثم يتأمل كل ما حوله بدقة كأنه يحفظ تفاصيل كل ما يحيط به. وأحيانًا يكون معه قلم رصاص وورقة فيدير ظهره للمكان ويرسمه بالتفصيل، فلا ينسى شيئًا كأن عينيه عينا صقر من قوة التركيز. ثم بدأ يمارس تمارين جديدة تسمى (Tummo)[RB] تركز على التحكم في درجة حرارة الجسد، بحيث يتحمل البرودة الشديدة أو الحرارة الشديدة، بإشارات يرسلها لعقله بأن يرفع درجة حرارة جسده عند البرد الشديد والعكس بالعكس. كما بدأ يثبت في مكانه جالسًا لمدة ساعة كل يوم يمارس اليوجا[RB]. كان يفعل كل ذلك مع تركيز كل عقله في فكرة واحدة فقط هي الوصول إلى المايسترو. وكان الأستاذ شهاب هو

RB:www.RafiBarakat.com

المـدرب له في هـذه التمارين اليوميـة، فلقد كان يـدرك أن القدرات تنمو بالتدريب، وأن الموهبة وحدها لا تكفي لتجعل رافي في سـنه هذا إنسـانًا غير عادي. لكن رافي في نفس الوقت كان يدرك أن الكون كله ملك لله، فهو الـذي بيـده الأمر والملك، فلم تزده قدراته إلا تواضعًـا لله وتذللًا بين يديه، فكان يصلي ويشكر الله في سجوده على نعمته عليه.

لكـن تركيز رافي بهذه القوة لم يمنع حالة الارتباك التي أصابت الفريق وهـم يحاولون الوصول إلى المايسـترو، من خلال جلسـاتهم الطويلة مع الدكتور نبيل والأستاذ شهاب.

علي: كلما ظننا أننا وصلنا إلى خط النهاية، نفاجأ أننا لم نبدأ بعد!

ود: كأننا ندور في حلقة مفرغة.

صافي: وكأنك يا أبو زيد ما غزيت.

فيصل: ماذا يقول هذا الكائن؟

أ/ شهاب: أعتقد أنكم تفكرون بطريقة خاطئة.

رافي: كيف يا أستاذ شهاب؟!

أ/ شـهاب: الدكتـور جامشـيد يعمـل ضمـن مجموعة عمـل يقودها المايسـترو، فلا يمكن أن تصلوا إلى المايسـترو وأنتم تبحثون عنه بشكل فردي على أنه شخص يتحرك وحده.

علي: ما الذي يجب أن نفعله؟

أ/ شهاب: علينا حتى نصل إليهم أن نبحث عنهم كفريق وليس كأفراد.. يسـتطيع الفرد أن يذوب في المجموعة، لكـن لا يمكن للمجموعة أن تذوب في فرد.

صافي: ياســلام! كلامك حكم يا أستاذ شهاب.. صحيح أنا لم أفهم آخر جملة لكن كلامك حكم.. أنا منذ رأيتك يا أســتاذ شــهاب في (DCGT) وأنا أرى أنك إنسان عبقري.

فيصل: أنت كنت تقول إن الدكتور نبيل هو العبقري.. الآن غيرت كلامك.

صافي: كلهم عباقرة يا سيدي.. وأنت ورافي وزها والمايسترو والدكتور جامشيد.. مبسوط؟

زها: إدريس لم يوصلنا إلى شيء ذي قيمة.

فيصل: لا.. إدريس أوصلنا إلى الدكتور جامشيد والمايسترو.

رافــي: كنا نبحث عن إدريس وهو شــخصية معروفــة، والآن نبحث عن المايسترو وهو شخصية مجهولة.

ود: صحيح هو شــخصية مبهمة، لكن لماذا ســمى نفســه بهذا الاسم؟ وأين نجده؟

صافي: أكيد نجده في الأوبرا.. هاهاها.. المايسترو الفنان!

فيصل: !Shut up

فجأة التفت رافي إلى صافي:

- صح يا صافي.. أنت صح.. المايسترو لقب أكيد له علاقة بالفن!

علي: ماذا تقصد يا رافي؟!

رافي: أقصد أننا نفكر بطريقة تقليدية.. لن نصل إلى المايسترو إلا بأن نفكر خارج الصندوق بطريقة إبداعية غير نمطية.. مثلًا نحتاج لرجل مثل الدكتور مخلص أبو الوفا عالم الآثار الفرعونية.

علي: وما علاقة الدكتور أبو الوفا بما نحن فيه؟

رافي: لو وجدنا عنده بحثًا علميًا عن أي علاقة بين أرض الرملية، وبين أي نـوع من أنـواع الفنون الفرعونيـة القديمة، من الممكـن أن يكون ذلك طريقًا إبداعيًا غير تقليدي يقربنا من المايسترو!

علي: هذه طريقة خيالية في التفكير يا رافي.

رافي: كل إبـداع أوله خيال، ثم إن هذه الطريقة الإبداعية غير التقليدية تتناسب مع عقلية رجل مثل المايسترو.

علي: لكنها طريقة تسـتهلك جهدنا ووقتنا، وقد لا نصل إلى شـيء في النهاية.

رافي: يا علي.. إذا لم تناضل من أجل ما تريده، فلا تبك إذا خسرته!

د/ نبيل: لقد عشت حياتي وأنا مؤمن بهذه المقولة يا رافي.

صمت رافي لثوان، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم بدأ يستجمع كل تركيزه، فلقد كان بداخلـه دافع قوي يدعوه إلى البحث في موضوع الفنون. كان يشـعر بحاسته السادسة أن هناك ارتباطًا ما بين المايسترو وبين الفنون، وأن كل ذلك له علاقة بأرض الرملية.

ورغم أنه كان يرى أن الصلة بين هذه الأشياء تبدو بعيدة جدًا، لكنه كان يشعر أنه لو بذل مجهودًا في هذا الاتجاه قد يصل إلى خيط أساسي يوصل إلى المايسـترو، لكنه في النهاية يحتاج إلى معونة من الله؛ فأخذ يدعو: يا رب، اجعل في طريقي نورًا، وفي عقلي نورًا، وفي قلبي نورًا.. يا رب اجعل لي نورًا!

ومـا هي إلا لحظات ودق جرس موبايـل رافي، وقبل أن ينظر رافي في الرقم المتصل قال بصوت عالٍ:

- إذا صدقت حاسـتي السادسة فهذا التليفون من الدكتور مخلص أبو الوفا.

نظر رافي في الهاتف المحمول وابتسم ابتسامة عريضة:

- انظروا.. هذا هو رقم الدكتور مخلص أبو الوفا.

نظرالجميع إلى بعضهم بعضًا بدهشة شديدة!

زها: هذا هو فعلًا أقوى مثال للتخاطر عن بُعد[1].

فتح رافي الخط ووضع مكبر الصوت:

- أهلًا أهلًا يا دكتور مخلص.

د/ مخلص: رافي عندي لك أخبار مذهلة.

رافي: دكتور مخلص، من فضلك ممكن تشـرفنا في بيت عمتي سـلمى في القاهرة؟

د/ مخلص: لا لا أنا بعيد.. أنا في بني سويف الآن.

رافي: إذن قل لي يا دكتور ما هي الأخبار المذهلة التي عندك؟

د/ مخلـص: أنا كنت في رحلة بحثية في هرم سـنفرو، ودخلت حجرة داخل الهرم تسـمى المعبـد الجنائزي[RB]؛ فوجدت نقوشًـا فرعونية عجيبة مرسـومة علـى جدران المعبـد، لكنها لم تلفـت نظري من قبـل، أما اليوم فاكتشفت أن لها صلة قوية بأرض الرملية، لذلك اتصلت بك.

(1) في الموقع الإلكتروني صور إيضاحية للتخاطر عن بُعد.

رافي: ماذا وجدت يا دكتور؟!

د/ مخلص: وجدت رسـمًا لأرض تشـبه تمامًا أرض الرملية، ويتساقط عليها نيازك من السـماء، بينما كان هناك احتفال ملكي ظهر فيه كل فناني المعبـد. منهـم من يضرب الدفـوف، ومنهم من يعزف، ومنهم من يرسـم، ومنهم من يقدم ألعابًا مسلية للملك سنفرو. وظهر خلف الملك رجل يحاول سرقة أحجار هذه الأرض، يرتدي زيًّا يلبسه العلماء في عهد الملك سنفرو، وفي يده عصا تشبه عصا المايسترو يشير بها إلى العازفين[1].

رافي: ماذا تقول يا دكتور مخلص؟ أنا لا أصدق ما أسـمع! تقول عصا مايسترو؟ وهل كان القدماء المصريون يعرفون المايسترو؟

د/ مخلـص: طبعًا عرفـوا قائد الفرقة الموسـيقية، وعزفوا على الكثير من الآلات[RB].

رافي: هذا كلام مذهل!

د/ مخلـص: لكـن الأهـم أني وجـدت مكتوبًـا بالجرانيـت تحت هذه الرسـومات بيد الكاتب والمخترع (عاخبر-رع- سنب): «لا تمكنوا الأشرار من امتلاك هذه الأحجار الكريمة، وإلا سيدمرون العالم».

رافي: وهذا معناه أن الفراعنة كانوا يعرفون سر هذه الأرض، وخطورة هذه الأحجار التي أسقطتها النيازك؟

د/ مخلـص: نعم.. بل أكثر من ذلك، فهم يحـذرون من كل من يحاول السـطو علـى هـذه الأرض، ووصفوه فـي ذلـك الرجل الـذي يحمل عصا المايسترو.

---

(1) في الموقع الإلكتروني صورة حقيقية للمايسترو على جدران المعابد المصرية القديمة.

جلـس رافــي مكانه من قوة المفاجأة، وشــكر الدكتــور مخلص، وبقي مذهولًا!

د/ نبيل: هذا الكلام مهم للغاية.

أ/ شهاب: هذه الرسمة ستقودنا حتمًا للوصول إلى المايسترو.

علي: فعلًا أنت تفكيرك غير تقليدي يا رافي!

صافي: أنا طول عمري أقول إن الولد رافي هذا عبقري.. يشبهني تمامًا.

رافــي: اهدأ يــا صافي أرجـوك.. نحن أمــام خطوة حاســمة.. ما رأيك يا دكتور نبيل؟

د/ نبيل: !Very interesting

رافــي: إذن لا بد من تحليل هذه الرســمة جيدًا؛ لأنها مفتاح ســر أرض الرملية.

أ/ شــهاب: أكيد المايســترو شــاهد هذه النقوش الفرعونية، وتأثر بها حتى إنه تقمص شــخصية المايســترو الذي في الرســمة، وقرر أن يقلده، وصــادف ذلك حبه للفنون والموســيقى، فقرر تنفيذ مخططه وهو يمارس هذه الفنون.

ود: معقول يخطط للشر، وهو يحب الفن بهذه الصورة الكبيرة؟

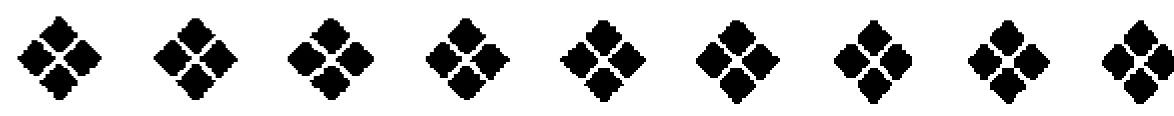
صافي: أكيد مجنون!

رافــي: إذا كان المايســترو متأثرًا بالفن لهــذه الدرجة، ويخطط لأرض الرملية بهذا الإصرار؛ فاحتمال كبير أن يكون قد أنشــأ وســاهم في أعمال فنية حديثة تتماشى مع حبه لأرض الرملية.

علـي: صحيح ممكن جدًّا.. لذلك لا بـد أن نبحث حول هذه الفنون؛ لأنه ربما تكون لها علاقة مباشـرة بأرض الرملية، وقد توصلنا إلى المايسترو.. الموسيقى والرسم وأيضًا الألعاب المسلية.

أ/ شهاب: لن تنجح إلا إذا عملنا كفريق عمل متكامل.

رافـي: كل منـا له قدرات غير عاديـة في أحد مجـالات الحياة، فلنكمل قـدرات بعضنا البعض، ونوزع أنفسـنا للبحث عـن أي علاقة لهذه الفنون بأرض الرملية.



في صباح اليوم التالي، كان الجميع يبحث في مهمته، فكانت ود تبحث في عالم الـ(Art) عن لوحات فنية لها علاقة بأرض الرملية، وزها تبحث عن اختراع يربط الفن بشخصية المايسترو، وفيصل يتابع الجديد في عالم الألعاب الإلكترونية، لعله يجد لعبة جديدة مسـلية، كتلك التي في الرسـمة الفرعونية[RB]، وعلـي يبحث على الإنترنت عن كل العلماء المتخصصين على مسـتوى العالم في جيولوجيـا الأراضي الصحراوية. أمـا صافي فقرر أن يذهب إلى الأوبرا، ليشاهد كيف يتصرف المايسترو.

ظـل رافي يتابع الجميع لكنه لم ينس تمارين القدرات الخاصة اليومية، وكان يشـعر كل يـوم أن قدراته تتطـور وتتطور أكثر وأكثـر. لقد صارت عقليته وتصرفاته تفوق سنه بكثير بفضل إصراره وثقته بنفسه وبالتدريب المستمر.

في هذه الأثناء كانت سلمى عمة رافي تتلقى إيميلات من زوجها الدكتور زاهـر مهران، يطلب منها إنهاء إجازتها فـي مصر والعودة إلى دلهي، فقد

طالت مدة ســفرها وهو يحتاج لوجودها بجواره. لكن ســلمى كانت تؤجل المرة بعد المرة، لشــعورها باحتياج رافي لوجودها، وإلا ســيعود إلى بيت عمه ببطن النعمة، لكنها في النهاية قررت أن تسافر بعد أسبوعين، لعل في هذه الفترة يصل رافي ورفاقه إلى شيء مهم.

لذلك شــعر رافي ورفاقه أنهم أمام تحد كبير.. هو تحدي الوقت. فلأول مرة يجد رافي نفســه تحت ضغط نفسي شــديد، يوجب عليه الوصول إلى نتيجة محددة خلال أسبوعين، وإلا ضاعت كل جهودهم السابقة.

مضت أول 3 أيام بلا أي نتائج؛ مما زاد الضغط النفسي والتوتر على كل الفريــق، حتى صافي صار يحــذر أن يطلق نكاته خوفًا من رد فعل الفريق خاصة فيصل.

لكن مســاء اليوم الرابع كان يحمل أخبارًا ســارة للجميع.. كان يوم ود، فهي التي أخرجت الجميع من حالة الإحباط والقلق حين صرخت:

- وجدتها.. وجدتها!

رافي: ماذا وجدتِ؟

صرخت ود:

- وجدت معرض لوحات فنية على الإنترنت، وبه لوحة حديثة مرسومة لأحد الفنانين، تشبه تمامًا اللوحة المرسومة على جدار المعبد.

فالتفت الجميع حول ود ليشاهدوا اللوحة.

علي: فعلًا تمامًا كما وصفها الدكتور مخلص أبو الوفا.

د/ نبيل: ابحثي يا ود عن اسم الفنان الذي رسم اللوحة، أو اسم صاحب المعرض.

ود: لم يظهر لي اسم الفنان، لكن ظهر لي اسم صاحب المعرض.. إنها سيدة اسمها راوية برزاني.

د/ نبيل: هذا اسم عراقي كردي!

ود: دعني أبحث أكثر..

وبعد دقائق:

- فعلًا هي سيدة كردية، لكن لها معرض فني للوحات عالمية بالقاهرة.

رافي: متى بدأ هذا المعرض؟

ود: بدأ منذ 3 أيام وسينتهي غدًا.

رافي: أين مكان المعرض يا ود لنذهب فورًا؟

ود: بحي الزمالك بالقاهرة، لكن الوقت متأخر الآن، وأكيد أغلق المعرض.. فلنذهب في الصباح.

رافي: نحن نغامر بكل يوم قبل سفر عمتي إلى الهند وبالتالي عودتي إلى عمي.. الوقت يطاردنا بشدة!

علي: ليس في أيدينا شيء يا رافي أكثر مما نفعل، لذلك لا تخف، فهنا يأتي معنى التوكل على الله حق توكله.

رافي: صدقت يا علي.. التوكل الحقيقي يكون بعد العمل الجاد. أما وقد عملنا بجدية فلنتوكل على الله بكل طمأنينة.

تبادل الجميع بثقة ويقين كلمة: «توكلنا على الله».

في صباح اليوم التالي وفي معرض اللوحات في أرض المعارض بجوار الأوبرا المصرية، وصل رافي وود ومعهم الدكتور نبيل، بينما بقي

علي والأستاذ شهاب ليبحثا عن أسماء العلماء المختصين في جيولوجيا الأراضي الصحراوية.

أما فيصل فقد بقي يلعب (Games) على شاشة اللاب توب الخاص به، مما أثار ضيق الجميع لعدم شعوره بالمسئولية.. في حين اختفت زها وصافي دون أن يعلم أحد أين ذهبا.

وفي المعرض كانت السيدة راوية تشرح لرواد المعرض بلغة عربية ركيكة اللوحات المعروضة، والقيمة الفنية لكل لوحة، وفي الزحام دخل رافي وود وسط الجمهور ليستمعوا إليها.

راوية: هذه لوحة لفارس عربي نبيل، يرفع قرية كاملة بيديه لينقذها من الفيضان، بينما يغرق هو وحده.

سيدة لبنانية: شو حلو هذا الفارس!

راوية: وهذه لوحة لسيدة رائعة الجمال وهي تقف بين رجلين: رجل مربوط بأوتار قلبها هو حبيبها وزوجها، أما الرجل الآخر فتسر له سرًّا في أذنه.

سيدة كويتية: وايش يكون هذا الرجل؟

راوية: هذا هو المخبر السري الذي عينته لمراقبة زوجها.

ضحك الجميع، ثم انتقلوا إلى لوحة أرض الرملية، فتسمر عندها رافي وود.

راوية: هذه لوحة نادرة لا تقدر بمال؛ لأنها صورة طبق الأصل من نقش فرعوني مرسوم على جدار أحد معابد الفراعنة.

رافي: من الذي رسم هذه اللوحة؟

راوية: فنان هندي شاب اسمه سانجاي عمره 32 سنة، رسمها سنة 1998 ثم أهداها لي، ومن يومها وقيمة اللوحة الفنية والمادية تزيد بشكل كبير.. سعرها يقدر الآن بنصف مليون دولار.

د/ نبيل: ليهديك لوحة بهذه القيمة فلا بد أنه يريد أن يتزوجك.

راوية: صحيح.. هو فعلًا يريد ذلك.

همست ود في أذن رافي:

- أشعر بخبرتي وحاستي السادسة أن هذه اللوحة مقلدة وليست الأصلية.

فهمس رافي في أذنها:

- لو عرفت السيدة راوية أن اللوحة مقلدة ستموت في الحال بحسرتها.

د/ نبيل: ولماذا رسم الفنان الهندي هذه اللوحة؟

راوية: لا يسأل الفنان لماذا يرسم شيئًا معينًا.. إنها مسألة إبداع، والإبداع لا يحتاج لسبب أو تبرير.. لكن عمومًا هو قال لي: إن هذه اللوحة لها سر، وعندما يكتشف هذا السر سترتفع قيمة اللوحة إلى ما يزيد على 2 مليون دولار.

ود: وكيف يعرف فنان من الهند سر لوحة لها علاقة بمصر الفرعونية؟

راوية: له صديق من علماء الجيولوجيا كتب له على ظهر اللوحة بخطه الشخصي ثلاث كلمات حول هذا السر، ووضع إمضاء باسم المايسترو.

رافي: أرجوك ممكن نرى اللوحة من الخلف؟

راوية: Ok why not!

قلبت راوية اللوحة ونظرت إليها، ثم صرخت بصوت عال:

- أيـن الكلام الذي كان في الخلف؟ هذه ليسـت لوحتـي.. هذه تقليد.. لوحتي سرقت!

انقلب المعرض رأسًـا على عقب، وجاءت الشرطة وكانت راوية منهارة تمامًـا، وعندمـا سـألها ضابط الشـرطة عن آخر مـرة رأت فيهـا الكلمات المكتوبة على اللوحة الأصلية من الخلف، أجابت راوية:

- أمس.. أمس فقط في المساء.

رافي: إذن اللوحة سرقت أمس.

د/ نبيل: وأين نجد صديقك الفنان الهندي سانجاي؟

راوية: لقد سافر إلى دلهي بالأمس.

همست ود في أذن رافي:

- لقد اكتشفنا اللوحة بالأمس، وليلة أمس سرقت اللوحة، وسافر الفنان سانجاي إلى دلهي عاصمة الهند في نفس اليوم.. فما معنى هذا؟!

رافـي: معنى هذا أن هناك من يراقبنا عن قـرب، ويعرف كل تحركاتنا خطوة بخطوة.

غادر رافي وود والدكتور نبيل المعرض دون الوصول إلى نتيجة، ليجد رافي اتصالًا من علي.

علي: أنا مستاء بشدة من فيصل الذي يلعب طوال اليوم (Games) على اللاب توب ولا يساعد أحدًا.

كان رافي يريد أن يحافظ على وحدة الفريق، فرد بذكاء:

- فيصل بذل مجهودًا كبيرًا يا علي، ومن حقه أن يستريح بعض الوقت.

علي: كذلك صافي وأختي زها اختفيا من وقت الظهر، وأحاول التواصل معهما لكن لا أحد يرد.. أنا أشعر بالقلق عليهما.

شعر رافي بالقلق أيضًا، لكنه أراد أن يطمئن علي:

- لا تقلق، الموضوع بسيط.. سأبذل جهدي يا علي للبحث عنهما.

جلس رافي على كافيه داخل أرض المعارض أمام مبنى الأوبرا، واستجمع كل طاقته الروحية والعقلية، وأغمض عينيه لمدة خمس دقائق، وصفا ذهنه وروحه تمامًا من أي تشويش ليركز في استدعاء صافي وزها، وتذكر أن مما تعلمه في (DCGT) أن طاقة الحب أو الصداقة بين الناس تزيد من القدرة على التخاطب عن بعد؛ لأن أرواحهم تتآلف بسرعة. وبعد دقائق فتح عينيه ليجد صافي وزها قادمين من ناحية الأوبرا.

رافي: أين كنتما؟

صافي: حجزنا تذاكر لحفل غنائي في الأوبرا، لنشاهد عن قرب كيف يقوم المايسترو بعمله، لكننا وسط الحفل شعرنا بشيء يلح علينا أن نترك الحفل ونتصل بكم، فوجدناك أمامنا.

رافي: أرجوكم لا تتحركوا دون أن تخبرونا، فقد نكون مراقبين.

كانت زها تبتسم وتخفي شيئًا خلف ظهرها.

رافي: ما هذا الذي بيدك؟

زها: هذه مفاجأة!

رافي: وما هي؟!

زهـا: انظر هذا الاختراع لعصا مايســترو عليها نقوش فرعونية، وتتلون بلون فضي لامع مثل أرض الرملية إذا عرضتها لأشعة الشمس.

رافـي: هذا مذهل!

وفــي طريق العــودة، كان رافي مع الدكتور نبيل في الســيارة، فاتصل رافي بالمقدم باسل.

رافـي: هل من جديد في التحقيقات مع إدريس؟

المقدم باسل: ما الجديد الذي تريده يا رافي؟ إدريس اعترف أنه القاتل وسيحاكم.

رافـي: لكن سر الأرض لم يكتشف بعد.

المقدم باســل: سر الأرض موضوع يخصك أنت وأهل بلدك، لكنه ليس من اختصاص الشرطة.

رافـي: وماذا عن الدكتور جامشيد؟

المقدم باســل: لقد قمنا بالتحقيق مع الدكتور جامشــيد، لكن لا يوجد أي دليل مادي ضده، ثم إنه سافر بالأمس عائدًا إلى الهند.

رافـي: وكيف تتركونه يسافر هكذا؟!

المقدم باسل: قلت لك لا يوجد دليل واحد عليه.

رافـي: وماذا عن المايسترو الذي أخبر عنه إدريس؟

المقدم باسل: هذا كلام فارغ بلا دليل.

رافـي بغضب: حرام.. هذا ليس هو الحق!

رد المقدم باسل بصرامة وهو يغلق السماعة:

- أنا شغلي البحث عن الحق وأنت شغلك تذاكر وتنجح.. مع السلامة.

وجد رافي نفسه حائرًا أمام أفكار وحقائق صعبة، فنظر إلى الدكتور نبيل:

- الوصول إلى الحق صعب، والأصعب أن تقنع باقي الناس بما تعتقد أنه الحق!

د/ نبيل: الحق يا رافي واحد، ولكنه متعدد الوجوه.. مثل مكعب تراه من عدة أوجه، لكنه نفس المكعب.. مشكلة أغلب الناس أنه لا يقبل إلا الوجه الذي يرى هو منه المكعب، ويرفض مجرد التفكير أن له أوجهًا أخرى.

رافي: ولماذا لا يجتمع الناس كلهم على وجه واحد للحق لنستريح من الخلاف؟

د/ نبيل: هذا من حكمة الله، فلو كان للحق وجه واحد فقط لكانت الحياة بلا قيمة وبدون اختيارات، إما واحد أو صفر ولا بديل ثالث.

رافي: وما المشكلة لو كانت كذلك؟

د/ نبيل: لو حدث ذلك لما رأيت كل التنوع الذي تراه في الدنيا في كل المجالات، فلو كان الحق واحدًا في كل مسألة بلا جدال أو اختلاف، لما ظهرت آراء وأفكار وكتب ومؤلفات مختلفة، لكن تنوع وجوه الحق يجعل هذا يفكر وهذا يفكر عكسه.. وهذا يبدع والآخر يبدع عكسه.. وهذا يخترع وهذا ينتقد اختراعه؛ فتزدهر الدنيا نتيجة هذا التنوع، وهذا هو مراد الله.

رافي: دائمًا تعجبني آراءك المتزنة يا دكتور نبيل.. أشعر أني أتعلم منك دروس الحياة كما كنت أتعلمها من أبي.

د/ نبيل: أبـوك كان أخي وصديقي يا رافي.. أعتقد أني كنت أقرب إليه أنا والأستاذ شهاب حتى من عمك عباس.

عـاد رافـي إلى بيت عمته سـلمى ليجـد علي ما زال يعمـل في البحث علـى الإنترنت؛ فقرر أن لا يخبر أحدًا بما حدث في المعرض حتى لا يحبط الفريق، أما فيصل فمازال يلعب (Games).

رافي: ماذا تفعل يا فيصل؟

فيصل: كما ترى ألعب (Games) على الإنترنت..

سكت رافي وانصرف.

أ/ شهاب: أنا وصلت إلى معلومة مهمة جدًّا.. واضح أن فريق المايسترو مكون من 5 أشخاص.. 4 علماء منهم الدكتور جامشيد وفوقهم المايسترو.

رافي: وكيف عرفت ذلك؟!

أ/ شـهاب: إدريس قـال إنهم كانوا مجموعة خواجـات، وإن أباك كلفه عدة مرات أن يوصلهم بالسيارة، فالغالب إذن أنهم 4 أشخاص.

صافـي: كنا نبحث عـن واحد صرنا نبحث عن أربعة.. أنا قلت من الأول هذا الرجل ليس عبقريًّا.. العبقري هو الدكتور نبيل.

علي: أنا مستعد أن أبذل كل جهدي لأجد هؤلاء الأربعة.

أ/ شـهاب: أعتقد أن الطريقة الصحيحة للبحث عنهم هي أن يقوم علي بعمل بحث على الإنترنت، لمعرفة أسماء العلماء المتخصصين على مستوى العالم في أبحاث جيولوجيا الأراضي الصحراوية.

علي: أنا مستعد فورًا.

– 2 –

بعد عدة ساعات..

رافي: هل أنت جاهز يا علي؟

علـي: نعم جاهز تمامًا.. اسـتطعت أن أجمع قائمة بأسـماء 100 عالم كانـوا كلهم يعملون في مجال الأراضي الصحراوية، وكونت (Data base) قوية عنهم، تشمل كل التفاصيل عن جنسياتهم ودرجاتهم العلمية، وأماكن عملهـم وحركتهم، ثـم حددت من منهـم زار مصر بداية من سـنة 2000 وحتى الآن، فوجدت أن 7 منهم زاروا مصر في آخر 5 سنوات، وتوصلت إلى 4 علماء تكررت زيارتهم 6 مرات في آخر 3 سـنوات، وفعلًا منهم الدكتور جامشيد، وبالتالي أكيد توصلنا إلى العلماء الأربعة المطلوبين.

زها وود: Wooow نجحنا!

فيصل: أنت رائع يا علي!

رافي: افتح يا علي بسرعة لنرى هذه المعلومات.

وسط شكر الجميع بدأ علي يفتح اللاب توب، وهو يشعر بالفخر للجهد الرائع الذي قام به والنتيجة التي توصل إليها.. لكن المفاجأة كانت شديدة!

صرخ علي:

- مـا هذا؟! أين الملف؟! والله أنا عملـت (Save) للملف على الجهاز.. نفس عنوان الملف لكن الموجود شيء آخر تمامًا!

جرت زها بسرعة لتنظر في لاب توب أخيها علي:

- هذا هاكر اخترق جهازك يا علي وأفسد ملفاتك ووضع ملفات بدلًا منها!

علي: حرام! حرام! كل جهدي ضاع!

زها: هون عليك يا علي.

رافي: أشعر الآن أكثر وأكثر أن هناك من يتتبع خطواتنا لحظة بلحظة.

زهـا: يا علي أنت هاكر أبيض.. حاول أن تعرف من هو الهاكر الأسود الذي فتح جهازك.

وبعد ساعة..

علي: أنا وصلت للهاكر الأسود الذي فعل هذا.. هو هاكر أسود من الهند اسمه على النت ساري.

ساد صمت طويل، لكن بعد ساعة صرخ فيصل:

- غير معقول! أنا لا أصدق ما أرى! هذا ليس خيالًا هذه حقيقة!

رافي: ماذا تقصد؟

فيصل: الحقيقة أني كنت أختبر شيئًا ولم أخبركم بماذا أفعل حتى أتأكد من صحة توقعاتي.. عندما بدأت بالبحث على النت عن ألعاب مسلية لها علاقة بأرض الرملية، وجدت ألعابًا كثيرة، لكن لفت نظري (Game) اسمه (Sand Game)، ولما بدأت ألعب وأحل المعادلات الرياضية لأصل لنهايته وجدت شيئًا غريبًا جدًا.

الجميع: ماذا وجدت؟!

فيصل: وجـدت أن مراحل (Levels) اللعبة مماثلـة تمامًا لتحركنا في البحث عن أرض الرملية!

الجميع: كيف هذا؟ كيف يكون هذا؟!

فيصل: انظروا إلى المسـتوى الأول للـ(Game) وهو أسـهل مستوى، عبارة عن البحث عن سارق الرمال في قرية صغيرة. المستوى الثاني عبارة عن البحث عن سـارق الرمال في معبد فرعوني، ثم المستوى الثالث عبارة عن البحث عن السـارق في المقابر.. شـيء مذهل.. هل ممكن أن يكون كل ذلك صدفة؟

صافي: ومتى استطاعوا أن يتابعونا ويقوموا بالبرمجة لهذا الـ(Game) في هذا الوقت القصير؟

فيصـل: لا يا ذكي.. هـذا معناه أن الذي أعد برنامـج الـ(Game) كان يعـرف أين يختفي السـارق، ثم وضع تصـورًا منطقيًـا لمتابعته، وهو ما فعلناه نحن.

د/ نبيل: هل تستطيع يا فيصل أن تعرف المستوى النهائي للـ(Game)؟

فيصل: حاولـت أن أفك المعادلات الرياضية للمسـتويات التالية.. لكن الأمر شبه مستحيل!

رافـي: هل تسـتطيع أن تعرف مبرمج هذا الـــ(Game)؟ لأن المبرمج أكيد على صلة بالمايسترو.

فيصل: دعني أبحث.

بعد ساعة عاد فيصل ومعه تقرير على الكمبيوتر عن مبرمج اللعبة..

فيصـل: اسـمها أنيتا خـان من الهند، درسـت فـي أمريكا فـي معهد كاليفورنيـا للتكنولوجيا، ثم عملت في سـيلكون فالـي[RB]، وفي عام 1998 قررت قـرارًا مصيريًّا أن تتـرك أمريكا رغم نجاحها هنـاك وراتبها الكبير لتعود إلى بلدها. وبالفعل عادت إلى بنجالور عاصمة ولاية كارنتكا بالهند. أسسـت شـركة خاصة ببرامج الكمبيوتر، ومن أكبر عملائها جامعة دلهي التـي يعمل بهـا الدكتور جامشـيد. كما إن لهـا عقودًا مع شـركات كبيرة متعددة الجنسـيات، وأنتجت عدة برامج كمبيوتـر، وتخصصت في برامج ألعاب الكمبيوتر خاصة (Play Station) وبرامج ألعاب المغامرات.

أ/ شـهاب: أكيد المايسـترو استعان بشـركة هذه الفتاة لتنفيذ اللعبة، لكن هناك شيء غير مفهوم، وهو لماذا يكشف نفسه بهذه التصرفات؟

زهـا: كل هذه الأشـياء مرتبطة ببعضها.. أكيد المايسـترو هو المحرك لكل هذه الأشياء.

ود: ولكن ما مصلحة أي شـخص يقوم بجريمة أن يكشـف نفسه هكذا عن طريق لوحة فنية عليها جزء من السـر، وعن طريق لعبة تعرض كيفية الوصول إلى السارق بخطوات صحيحة تمامًا؟!

صافي: وقد يكون منفذ هذه الأشياء شخصًا يريد أن يكشف المايسترو.

فيصل: يا ابني ركز.. لو يريد أن يكشف المايسترو لأبلغ البوليس دون كل هذا الجهد.

صافي: صح.. أول مرة أشعر أنك عبقري يا فيصل.

علي: لا بد من تحليل شخصية المايسترو.

زها: صحيح لا بد أن نتخيل كيف يفكر المايسترو!

أ/ شهاب: لا بد أن الأمر به سر غير مفهوم!

رافي: أو قد يكون المايسترو مهووسًا بذكائه وبالفنون، وكأنه يتحدى أي فرد أو جهاز شرطة أن يصل إليه.

د/ نبيل: جنون العبقرية.

أ/ شهاب: فعلًا أعتقد ذلك.

علي: لاحظوا أن كل الخيوط التي نبحث عنها صارت في الهند.

رافي: ثالث مرة أسمع كلمة الهند في يوم واحد.. الهاكر الأسود من الهند، والرسام الهندي واللوحة في الهند، والدكتور جامشيد عاد إلى الهند.

د/ نبيل: هذا معناه أن محور تحركات المايسترو ليست مصر ولكنها الهند.

صافي: صحيح.. وهذا معناه أن المايسترو يدير تحركاته من الهند.

فيصل: شكرًا على المعلومات القيمة.

قام رافي وبدأ يتحرك في الغرفة يفكر..

علي: فيم تفكر يا رافي؟

رافي: إذن لا بد أن نذهب إلى الهند!

الجميع بصوت واحد:

- الهند؟! نذهب إلى الهند؟!

فيصل: هذا اقتراح مستحيل.. الهند بعيدة ولا أتصور السفر إليها.

صافي: مرة واحد غبي اتصل بشركة طيران يسأل الموظفة: الطائرة من هنا إلى الهند تستغرق كم من الوقت؟ قالت له الموظفة: ثانية واحدة.. قال لها: شكرًا وقفل الخط.

زها وود: لا لا يمكن أن نسافر.

رافي: لكن كل الأمور تشير إلى أن جميع الأطراف هربت من مصر وكلهم في الهند، ثم إن معنى ترك الدكتور جامشيد لمصر وسفره إلى الهند، قد يعني أنهم انتهوا من معاينة الأرض، وقد يكونون قد وصلوا إلى سر الأرض، ولا تنس الكلمات الموجودة على المعبد الفرعوني.. هذا معناه أن هناك خطرًا كبيرًا يواجه بلدنا والعالم كله.

علي: أنا معك يا رافي في أي مكان.. هذا عهد بيننا.

زها: لكن يا جماعة كونوا واقعيين.. كيف سنذهب إلى الهند؟

صافي: بالطائرة.

فيصل: Shut up!

زها: أقصد ما الطريقة؟ وأين سنقيم هناك؟ وهل سيوافق آباؤنا؟ وأنت يا رافي كيف أصلًا سيوافق عمك؟

سلمى: هذا أمر سهل.. لا تنسوا أني أقيم في الهند مع زوجي وسأسافر الأسبوع القادم.. ثم إن زوجي أستاذ جيولوجيا، وأكيد سيساعد رافي للوصول إلى الدكتور جامشيد، وأنا مستعدة لاستضافتكم جميعًا في بيتنا في دلهي، فهو بيت كبير ويسعنا جميعًا.

رافي: شكرًا يا عمتي.. هذا سيسهل علي الكثير من الأمور.

علي: ونحن هل سنأتي معك؟ وكيف سنقنع آباءنا وأمهاتنا بالسفر معك؟

رافي: لا بد أن نكمل المشوار سويًا.. ومن الممكن أن نقول لهم إننا نريد قضاء جزء من إجازة الصيف هذا العام سويًا عند عمتي في الهند لنساعد رافي، ومن أجل السياحة ومشاهدة عالم جديد.

علي: وماذا عن تكاليف السفر؟ هذا الأمر سيتكلف الكثير!

رافــي: لا بــد أن نجــد طريقة ذكية نعمــل فيها عملًا يوفر لنــا التمويل الكافي للرحلة، وننفذ هذا العمل خلال شهر من الآن لنكون جاهزين بعدها للسفر إلى الهند.

علي: عمل مثل ماذا؟

د/ نبيل: العمل يحتاج وقتًا يا رافي.. الموضوع ليس بهذه البساطة.

أ/ شهاب: إلا لو وجدتَ أفكارًا ذهبية توفر المال المطلوب.

رافــي: كان أبي يقول: «الفكرة الحلوة تأتي بالمال.. لكن المال وحده لا يمكن أن يأتي بالأفكار الحلوة».

زهــا: أنا عنــدي اختراع جديد غير موجود بمصر، لو نفذ ســيوفر جزءًا من المال.

رافي: وما هو؟

زها: تعرفون كوريك السيارات الذي يرفع السيارة عند تبديل الإطارات؟

علي: طبعًا معروف.

زها: هو غير مناســب للســيدات اللواتي يقدن السيارات، وتحتاج دائمًا لرجل يساعدها. لذلك أنا وجدت اختراع اسمه (Air Jack)، عبارة عن نفخ هوائــي بضغط زر، لرفع الســيارة في 60 ثانية، ومصمم أساسًــا للبنات.. ســأتفق فورًا مع مســتوردي هذه الأجهزة في مصر، وسأطلب من الشركة المصممة توريده لمصر مقابل نسبة أحصل عليها.

فيصل: كم تحتاجين من الوقت لإتمام هذه الصفقة؟

زها: أنا أعرف المستورد الرئيسي في مصر لمثل هذه المعدات، ولي اتصال بالشركة المصدرة، لذلك لن نحتاج إلا لفترة الشحن، وهي لن تزيد عن شهر.

علي: وأنا تعلمت لغة الصم والبكم عربية وإنجليزية، وعرفت أن لدينا مشكلة في مصر في توفير المرشدين السياحيين للأجانب الصم والبكم، فسأرسل فورًا لشركات السياحة أني جاهز لمدة شهر لمرافقة هذه الأفواج السياحية القادمة من أوروبا.

فيصل: وأنا صديق والدي لديه شركة برمجيات، سأتصل به فورًا وسأستغل موهبتي في الألعاب الإلكترونية، وأعمل في شركة متخصصة في إنتاج برامج وألعاب الكمبيوتر.

ود: أما أنا فتعرفت على السيدة راوية برزاني يوم المعرض، وأخذت الكارت الخاص بها، وعرفتها على قدراتي وأعجبت بقدراتي الفنية وعرضت علي التعاون، وسأتصل بها قبل سفرها وأعرض عليها أن أكون مساعدة لها في مصر عبر الإنترنت.

د/ نبيل: أنا فخور بكم يا شباب.. لذلك سأتبرع بمرتبي لهذا الشهر للمساهمة في حجز تذاكر الطيران.

أ/ شهاب: وأنا مثلك يا دكتور نبيل؛ حتى نغطي تكلفة تذاكر طيران الشباب بالكامل.

رافي: أما أنا فسأفعل شيئًا مختلفًا، لكنه سيوفر مبلغًا ماليًا كبيرًا.. لكن...

علي: لكن ماذا يا رافي؟!

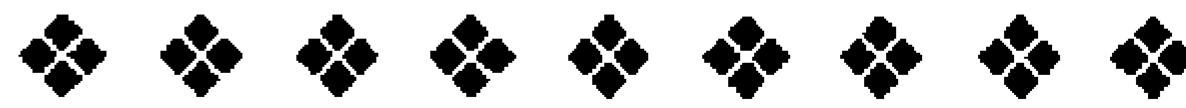
رافي: عمتي متى ستسافرين؟

سلمى: بعد 10 أيام من الآن.

رافي: إذن لا بد أن أنفذ فكرتي خلال 10 أيام وقبل عودتي لبيت عمي.

زها: ماذا ستفعل يا رافي؟

رافي: ستعرفون قريبًا.. تعال معي يا علي.



خرج رافي واتصل بالأستاذ طاهر كمال (مدير مدرسة رافي)، وأخذ منه رقم تليفون أخيه الأستاذ إيهاب كمال، والذي يعمل مديرًا لإحدى القنوات الفضائية، وكان رافي قد تعرف عليه عندما زار أخاه الأستاذ طاهر في المدرسة قبل وفاة والد رافي، وأعجب يومها بقدرات رافي، فاتصل به رافي وطلب مقابلته.

أ/ إيهاب: أهلًا يا رافي.. لم أقابلك من زمن طويل.. ما شاء الله كبرت وصرت رجلًا.. أنا دائمًا كنت معجبًا بك.

رافي: أنا أريد منك خدمة تساعدني فيها.

أ/ إيهاب: من عيوني يا رافي.

رافي: أنا لدي مهمة كبيرة تحتاج مبلغًا كبيرًا من المال.

أ/ إيهاب: طبعًا طبعًا.. أي مبلغ تريد؟

رافي: لا.. لا حضرتك فهمتني خطأ.. أنا لدي قدرات غير عادية.

أ/ إيهاب: نعم أعرف ذلك.. أخبرني أخي طاهر مدير مدرستك.

رافي: أنا أريد أن أستغلها في أي برنامج فضائي أعرض فيه قدراتي غير العادية، بشرط أن أصور هذا البرنامج خلال 10 أيام من الآن، ويكون من عدد محدود من الحلقات؛ لأني مرتبط بالسفر إلى الهند بعد شهر من الآن.

أ/ إيهاب: وما هي القدرات غير العادية التي ترغب في تقديمها للناس؟

رافي: أي قدرات خارقة تريد اختيارها أنا جاهز لها.. لكن هذا البرنامج يجب أن تكون له رسالة، فأنا أكره أن أقوم بشيء بلا قيمة لأحصل على المال.

أ/ إيهاب: كثيرون يفعلون ذلك يا رافي.

رافي: لكني أحترم نفسي، فلن أفعل ذلك إلا لو كانت له رسالة مفيدة.

أ/ إيهاب: وما هي رسالتك في هذا العمل؟

رافي: أرغب في تقديم رسالة إلى الشباب، فكلنا لديه طاقات غير محدودة، وأي شاب يستطيع أن يوقظ هذه الطاقات والقدرات. الأمر يحتاج أشياء محددة لو فعلها كل شاب سيحقق الكثير من أحلامه في الحياة.

أ/ إيهاب: وما هي هذه الأشياء يا رافي؟

رافي: هي أربعة أشياء:

1 - هدف كبير تريد تحقيقه يكون هو الوقود الذي يشعل قدراتك اللامحدودة.

2 - عقل صاف من التشويش؛ ليكون مستعدًّا للتركيز الكامل على إطلاق القدرات غير العادية التي يمتلكها كل منا، فالعقل البشري إن صفا وركز فإنه يبدع إبداعات فوق قدرة صاحبه على التخيل.

3 - الثقـة بالنفس والثقة باللـه الذي أبدع هذه النفـس، حتى إنه اختصر الكون في هذا المخلوق الذي اسمه إنسان.

4 - تمارين التأمل المسـتمرة، أو المشـي الطويل لتقويـة التركيز ولرفع قدرات كل منا.

أ/ إيهاب: وإذا فعلنا هذه الأربعة نصل إلى التركيز الكامل؟

رافي: نعم.. لكن سـتختلف هذه القدرات من شخص لآخر في النهاية، فكل موهوب في مجال يستطيع أن يطلق فيه قدراته الخاصة.

أ/ إيهـاب: أنـا موافق يا رافي، وسـنبدأ فورًا في التصويـر. لكن هناك مشكلة، فلا يمكن إنتاج برنامج خلال 10 أيام.. هذا يحتاج لوقت لا يقل عن شهرين، لكن لو قدمناك في أحد البرامج القائمة بالفعل، والتي لها جمهور ولها مصداقية سيكون أسهل وأسرع.

رافي: أنا جاهز.

أ/ إيهـاب: أنا أقتـرح برنامج الأسـتاذ أيمن صبري، فهـو محترم وله مصداقية كبيرة، وسنعطيك في الحلقة الواحدة مكافأة قدرها 5000 جنيه، وسنصور حلقة كل يوم.. كم حلقة تريد أن تقدم؟

رافي: 10 حلقات.

أ/ إيهاب: اتفقنا.. توكلنا على الله.

وجد رافي نفسـه فجـأة أمام الكاميرا.. في البداية أخذته رهبة شـديدة لكنه تماسك.. كانت مدة ظهوره في الحلقة 20 دقيقة فقط، وكان التصوير داخل الأسـتوديو مع لقطـات خارجية إذا احتاج الأمر لإظهـار قدراته غير العادية، وكان هناك جمهور من الشباب والبنات مما زاد من توتر رافي.

فجأة سـمع صوت مدير الأستوديو ينادي بصوت مرتفع: 5 – 4 – 3 – 2 – 1.. أكشن..

أ/ أيمن: أهلًا بكم.. معنا اليوم شاب عمره 14 سنة، لكنه يمتلك قدرات غير عادية.. قبل أن نشاهدها، هو لديه رسالة يريد أن يقدمها إلى الشباب.. معنا اليوم رافي بركات.. تفضل يا رافي.

رافي: في عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، ذهب مجموعة من العلماء الجيولوجييـن إلى أفريقيا؛ بحثًا عـن الماس والأحجار النادرة، وكان من بين هؤلاء العلماء عالم ياباني يدعى «يوكي»، وكان «يوكي» شابًا في الثلاثين من عمره، وكان مليئًا بالحماس والحيوية، وعُرف بالمثابرة وبحبه للمغامرة.

كان يستيقظ مبكرًا في الخامسة صباحًا؛ ليبدأ رحلته اليومية في البحث عن الماس والأحجار الكريمة النادرة، ثم يعود إلى الفندق في العاشرة مساء.

مــرت الأيام، ومع ذلك لم يجد «يوكي» أي شــيء يُذكر، فقرر بعد مرور أسـبوعين آخرين أن يوقف البحث ويعود إلى اليابان، حين كان قد فقد كل الأمل في العثور على شيء، وكانت هذه المرة الأولى في حياة «يوكي» التي يتخلى فيها عن هدف من أهدافه.

وفي اليوم الأخير أنهى «يوكي» عمله في الخامسة مساء، وقرر أن يعود إلــى الفندق لينهــي إقامته ويعود إلى بلاده، وفي طريقــه إلى الفندق قابل طفلًا في السادســة من عمره، وفي يده حجر كبير ذو شــكل غريب، فطلب هــذا الطفل مــن «يوكي» أن يأخذ هذا الحجر منــه، مقابل أن يعطيه بعض الحلــوى، فأعطــاه «يوكي» الحلــوى، وأخذ منه ذلك الحجــر الكبير اللامع، وذهــب به إلى الفندق؛ لكي يبحثــه بمجهره الخاص به والذي أحضره معه لهذا الغرض.

وعندهـا لم يصدق «يوكي» عينيه؛ فأعاد البحث مرة أخرى، ثم مرة بعد مرة، واسـتمر فـي إعادة البحث عدة مـرات متتابعة لم ينـم خلالها دقيقة واحدة، فلقد كان هذا الحجر الذي رآه «يوكي» هو أكبر ماسـة شاهدها في حياته، والتي تزيد قيمتها عن عشرة ملايين دولار!

وبعدهـا كتب «يوكي» في بحثه أن ذلك الطفـل كان يمتلك ثروة كبيرة، ولكنـه لم يكـن يعرف قيمتهـا؛ فباعها رخيصـة، ولو كان يعـرف حقيقة قيمتها، لما باعها بهذا الثمن البخس.

وأنـا شـخصيًّا أقـول: إن كثيـرًا مـن الناس لا يعـرف حقيقـة قدراته اللامحـدودة التي وهبها الله عز وجل له؛ فيضيع وقته، بل وحياته ونفسـه رخيصة.. تمامًا مثل ذلك الطفل الذي لم يعرف حقيقة ما كان بين يديه.

أ/ أيمن: شـكرًا يا رافي.. والآن مع عجائب القدرة البشـرية التي خلقها الله.

رافي: أنا اليوم سـأقدم لكم شـيئًا تدربت عليه كثيرًا حتى أتقنته.. إنها (Tummo) أي التحكم في درجة حرارة الجسد.

انتقـل التصوير إلى لقطة خارجية في حمام سـباحة تجمدت به المياه حتى صار ثلجًا، حيث نزل رافي مرتديًا الشـورت فقط وسـط الثلج بلا أي تـردد أو ضيق في درجة حرارة تحت الصفر، وبدأ رافي وكأنه يسـبح في حمام سباحة سبق تدفأته، وبقي كذلك عدة دقائق[RB].

عاد المشـهد إلى الأسـتوديو وصفـق الجمهور بحرارة وصاح الأسـتاذ أيمن:

- رائع يا رافي.. رائع.. كيف فعلت ذلك؟!

رافي: لم أكن أتصور أني أفعل ذلك أبدًا، لكنه التدريب المستمر.

وكانت الحلقة التالية مبدعة تمامًا مثل الحلقة الأولى، وكذلك بدأها رافي بقصة حدثت منذ أكثر من ألفي عام، وذلك عندما اجتمع بعض الصينيين وقرروا أن ينحتوا تمثالًا من الذهب يزيد وزنه عن خمسة أطنان، وكان الهدف من بنائه أن يكون من أهم الآثار الصينية التي يتكلم عنها التاريخ، ويشاهدها المهتمون من كافة أنحاء العالم، وبالفعل استطاعوا أن يبنوا ذلك التمثال.

وبعد الانتهاء من بناء ذلك التمثال الضخم مباشرة، هجم جيش يدعى «البرمود» على الصين، وكان ذلك الجيش معروفًا بالشراسة لأبعد الحدود، وكان عندما يهاجم أي قرية أو بلد فهو يهدم ويحرق كل شيء، ولا يترك أي شيء حيًّا؛ فخاف حكماء الصين على التمثال، وقرروا أن يغطوه بالطين السميك حتى لا يكتشف جيش البرمود أمره. وبالفعل قاموا بتغطية التمثال بالطين، ثم بعد الانتهاء من ذلك حدث ما توقعه الجميع، وهجم جيش البرمود على قريتهم، وحطم كل شيء فيها، وقتل أهلها ووجدوا التمثال الضخم أمامهم ولم يكن بالنسبة لهم ذا أهمية أو قيمة.. فهو في نهاية الأمر ليس إلا تمثالًا ضخمًا من الطين، فتركوه ومضوا.

وتمر الأيام والتمثال موجود في مكانه لم يتحرك، ومنذ حوالي مئة وخمسين سنة قررت السلطات الصينية نقل التمثال من مكانه ووضعه في بكين (عاصمة الصين)، على أنه من الآثار الصينية دون علمهم بما بداخله.

فأحضروا المعدات القوية المتوفرة لديهم لرفع التمثال ووضعه في ناقلة ضخمة؛ كي ينقلوه إلى بكين. وهنا اكتشفوا المفاجأة.. لقد تحطم الطين

مـن فوق التمثال، ووقفـوا جميعًا مذهولين حين وجـدوا أمامهم تمثالًا من الذهب الخالص قيمته غير محدودة، ولم يروا مثل روعته أبدًا في عصرهم.

لقـد وجدوا تمثالًا مـن الذهب بداخـل غطاء الطين. تدخلت السـلطات الصينيـة ونقلوا التمثال الذهبي بحرص شـديد إلـى العاصمة؛ لكي يكون مصـدرًا لجذب المهتمين والسـياح، وهذا التمثال موجـود الآن في الصين، وقصته مكتوبة عليه، وأيضًا حكمة صينية وهي: «بداخل الطين كنز».

وأنـا أقول للناس: إن بداخل كل فرد من البشـر كنـزًا من القدرات التي وضعهـا الله عز وجل بداخلنا. ولقد قال لنا الله في القرآن: «وفي أنفسـكم أفـلا تبصـرون؟» ولكن معظـم الناس لا يبحثـون بداخلهم كي يكتشـفوا قدراتهم الحقيقية.

ثـم عرض رافي نوعًـا جديدًا من الإبداع للقدرات غيـر المحدودة، ولكن فـي مجال جديد، فلقـد طلب من الجمهور اختيار صـورة لمدينة مزدحمة السـكان كثيرة المعالم المعمارية ذات التفاصيل المعقدة، وهو سينظر لها مرة واحدة، ثم يرسمها على (Sheet) بقلم رصاص بنفس دقة التفاصيل.. اختار الجمهور مدينة نيويورك بلقطة من طائرة هليكوبتر، ونظر رافي لها بتركيز شـديد لمدة 3 دقائق.. لقد تدرب على ذلك مرارًا، ثم اسـتدار وبدأ يرسم الصورة دون توقف، وبعد 10 دقائق أنهى الرسم ورفع الصورة أمام الناس وظهره للشاشة الكبيرة التي عليها نفس الصورة بألوانها الطبيعية، فكانت صورة رافي طبق الأصل لوسـط مدينة نيويـورك بأدق تفاصيلها.. وأخذ الجمهور يتناقل صوره ويأخذون له صورًا فوتوغرافية.

دائمًـا كان رافـي يختـم الحلقـة بكلمة: «أيقـظ قواك الخفيـة». جرى الجمهـور للتصوير مع رافي وهو يشـكرهم بتواضع. لقـد نجح رافي في

تصوير 10 حلقات كضيف في البرنامج، وأعطى رسالة مفيدة، وحصل على مبلغ 50,000 جنيه عن 10 حلقات.

الآن أصبح كل شيء معدًّا للسفر إلى الهند.. وتحرك كل شاب من رفاق رافي ينفذ فكرته للحصول على التمويل المطلوب للرحلة، وبدأ كل منهم يستأذن أهله في السفر مع رافي، ووافقوا جميعًا عدا والدة ود، التي رفضت في البداية حتى اتصلت بها سلمى عمة رافي وطمأنتها أن ود ستكون في رعايتها فوافقت أخيرًا.. ثم سافرت سلمى عمة رافي إلى دلهي، وقد اتفقت مع رافي أن تتصل بعمه عباس لتطلب منه سفر رافي إليها لقضاء جزء من إجازة الصيف عندها. وعاد رافي إلى قريته «بطن النعمة» يعمل في المزرعة باجتهاد، حتى اتصلت سلمى بعمه عباس، وبعد جدل طويل وافق عباس على سفر رافي إلى الهند.. وبدأ استعداد الجميع ليوم السفر.

سحر الهند

- 1 -

هنـاك في مطـار القاهرة الدولي كان النداء من مكبرات الصوت تُسمع في كل أرجاء المطار: «تعلن الخطوط الجوية الهندية عن تأخر رحلتها إلى دلهي 4 ساعات لسوء الأحوال الجوية والضباب الكثيف بسماء العاصمة الهندية».. كان هذا النداء مؤججًا لمزيد من مشاعر الحب في لحظات الوداع.

فقد كان في وداع رافي ورفاقه الكثير من الأهل والأصدقاء، حضروا إلى المطار في جو مليء بالكثير من الأشواق والمحبة، مع الكثير من النصائح والوصايا الأسرية.. فعلي وزها في أحضان والديهما، بينما كان فيصل وود يستمعان لكلمات الحب والحنان تغذي أرواحهما من الأهل والأصدقاء، وكذلك صافي حضر والداه ومعهما الأنبا باخوم صديق والده وراعي الكنيسة ليوصيه بعض الوصايا قبل سفره.

أما رافي فقد كان وحيدًا بين كل هؤلاء فلم يودعه أحد، حتى عمه لم يحضر معه للمطار، فقط أرسل سائقًا يوصله، لذلك كان رافي ينظر إلى باقي رفاقه بين أحضان آبائهم وقبلات أمهاتهم وفي قلبه حزن وألم يخفيه بابتسامة ترحيب للجميع، لكنه كان يقاوم دموعه أن تسيل ساخنة على خديه.

لكن علي أحس برافي فذهب إليه يواسيه:

- لا تحزن يا رافي، فكل أصدقائك حولك.

رافي: يا علي.. أصدقاء الدنيا كلها لا يعوضون حضن الأب والأم.

علي: أنا أشعر بك يا رافي.

نظر رافي إلى أم ود وهي تحتضنها:

- أشتاق إلى حضن أمي وعطف أمي.. وأعشق عمري لأن نجاحي يسعد أمي، وأبكي من قسوة الأيام.. ولكن أين أبكي وقد ذهب حجر أمي؟

لكن رافي نظر فجأة، فإذا بشخص قادم من بعيد بابتسامة عريضة، يمشي بخطى ثابتة في اتجاه رافي.

علي: انظر يا رافي.. من جاء ليودعك! إنه الشيخ سالم إمام مسجد القرية.

رافي: معقول الشيخ سالم جاء ليودعني؟!

علي: انظر كيف يواسي الله عباده يا رافي، فيرسل لهم من يشعرهم بالحب والحنان لتطمئن وتهدأ قلوبهم؟!

الشيخ سالم: علمت من عمك بسفرك إلى الهند، فعزمت ألا تسافر حتى أودعك وأوصيك.

سالت دموع رافي وما عاد يستطيع أن يحبسها أكثر من ذلك:

- حضورك أسعدني يا شيخ سالم!

الشيخ سالم: أنت غال علي يا رافي.. كما إنني حضرت لأوصيك قبل أن تسافر.

رافي: يا شيخ سالم، أنا ذاهب لأواجه أشرارًا ملأ الشر قلوبهم حتى قتلوا أبي.. من الأقوى يا شيخ سالم الخير أم الشر؟ الحق أم الباطل؟!

الشيخ سالم: يا رافي لا تواجه الشر بالشر، ولكن انتصر على الشر بالخير «وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ». تعرف لماذا؟ لأن الخير أبقى وأقوى وأنفع للناس.

رافي: لكن الشر أعلى وأظهر من الخير، حتى إنه يغطي وجه الخير.

الشيخ سالم: يا رافي، في بلدنا في فصل الشتاء كل عام يحدث سيل يحرك الماء في الوادي، لكن الماء الذي هو رمز الخير يحمل معه الكثير من القش والحشائش والغبار، فتطفو هذه الأشياء فوق سطح الماء، حتى إنها تغطي وجه الماء في بعض الأحيان، لكن كل هذه الأشياء ما تلبث أن تزول، ويظل الماء هو الباقي والنافع للناس، فالشر يعلو ويطفو وينتفخ، لكنه في النهاية لا حقيقة له ولا تماسك، والخير هادئ ساكن، لكنه باق لأنه هو الذي ينفع الناس.

في نفس اللحظة كان صافي يسأل الأنبا باخوم عن الخير والشر.. عن الحب والكراهية.

الأنبا باخوم: يا صافي، أنت شاب طيب القلب، وستقابل في حياتك الكثير من الأشرار، فلا تتخل عن قلبك الطيب.. فعيسى قاتل أعداءه بالحب، وانتصر عليهم وهو أعزل وهم مدججون بالسلاح.. سلاح الحب أقوى سلاح في الوجود.

الشـيخ سـالم: كما إن هناك قانونًا اسمه جاذبية الأرض، فهناك قانون أقوى اسـمه جاذبية الحب.. نحن ننجذب إلى الأرض لنستقر عليها، وكذلك الحب ليس مجرد عاطفة، وإنما هو قانون يحفظ استقرار قلوبنا ونفوسنا.

الأنبا باخوم: الحب هو الذي دفع المسـيح حين أحاط به كيد الكائدين لأن يقول: «اغفر لهم يا رباه، فإنهم لا يعلمون ما يفعلون!».

الشيخ سالم: الحب هو الذي دفع نبينا محمدًا حين آذاه قومه يوم أحد لأن يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!».

الأنبا باخوم: الحب هو الذي جعل عيسى يقول لمرأة فعلت ذنبًا كبيرًا: «لقد أحبت الله كثيرًا، فغفر لها كثيرًا».

الشـيخ سـالم: الحب هو الذي جعل محمدًا يقول لأصحابه عن شارب الخمر: «لا تلعنوه، فإنه يحب الله ورسوله».

الأنبا باخوم: عيسى يقول: «الله محبة».

الشيخ سـالم: محمد يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

الأنبا باخوم: عيسى يقول: «طوبى لصانعي السلام».

الشيخ سالم: محمد يقول: «أفشوا السلام بينكم».

الأنبا باخوم: عيسى يقول: «أنا خبز الحياة» أي خيرها.

الشيخ سالم: محمد يقول: «أنا رحمة مهداة».

رافي: فعلًا.. الأنبياء إخوة.. أمهاتهم شتى ودينهم واحد.

صافي: فعلًا.. الحب والخير والأخوة الإنسانية هي ما تجمعنا جميعًا.

وهكذا التقت كلمات الشيخ سالم والأنبا باخوم قبل أن تلتقي أيديهما، ويسلما على بعضهما ويدعو كل منهما لرافي وصافي بالخير والحفظ ونقاء القلب. لقد أدرك رافي وصافي من هذه المعاني الخالدة أن الدين لم يكن أبدًا هو سبب الصراع بين البشر، بل على العكس؛ فالدين هو الذي يريد أن يحفظ السلام على وجه الأرض، وإنما السبب الحقيقي لصراع البشر هو الجشع والطمع والفساد، والدين بريء من كل ذلك بنص كلام عيسى ومحمد.

هم رافي بالانصراف، لكن الشيخ سالم كانت لديه نصيحة أخيرة، فقال لرافي:

- رافي، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.. ليس مطلوبًا منك أن تغير العالم، فقط أنت تريد تقديم شيء لأبيك ولقريتك.

رافي: لماذا هذا الكلام يا شيخ سالم؟!

الشيخ سالم: يظن بعض الناس لأن الله كلفنا بإعمار الأرض أن عليهم أن يصلحوا الكون كله، فيعيشون أعمارهم تعساء، ويكلفون أنفسهم فوق طاقتها، فيعرضون أنفسهم لمصائب وأذى وابتلاء فوق قدراتهم، والنبي يقول: «لا يذل أحدكم نفسه». قالوا: كيف يذلها يا رسول الله؟ قال: «يحملها من البلاء ما لا تطيق». لذلك أنت لست مسئولًا عن الكون، لكن أنت مسئول عن نفسك ودم أبيك وأهل قريتك.. هذا هو دورك.

رافي: فهمت يا شيخ سالم.

هم رافي مرة أخرى بالانصراف، لكنه وجد صوتًا من خلفه يناديه:

- تسافر بالسلامة يا رافي..

التفت رافي ليجد المقدم باسل يودعه.

رافي: كيف عرفت أننا مسافرون اليوم؟!

المقدم باسل: هذا عملي يا رافي.. أردت أن أودعك وأطمئنك، فنحن معكم وهذا دورنا.

صعد الشباب إلى الطائرة ليجدوا مفاجأة من العيار الثقيل.. لقد وجدوا الأستاذ شهاب والدكتور نبيل والدكتور مخلص أبو الوفا معهم على الطائرة.

ردد الجميع بفرحة كبيرة:

- ما هذه المفاجأة الرائعة؟!

أ/ شهاب: الحقيقة أني قررت ألا أترككم، وأن أسافر معكم لأرافقكم في رحلتكم، وساعدني على ذلك أن مركز (DCGT) طلب مني التعاقد مع مؤسسة علمية في دلهي للعمل معها.

علي: رائع.. هذا مدهش!

د/ نبيل: وأنا لدي مؤتمر في جامعة دلهي عن آخر صيحات التكنولوجيا، فوجدتها فرصة لأرافقكم وأساعدكم في رحلتكم.

د/ مخلص: وأنا كذلك تصادف وجود مؤتمر عن علاقة الحضارة الفرعونية بالحضارة الهندية مع موعد رحلتكم، فقررت أن أرافقكم.

رافي: والمؤتمر أيضًا في دلهي يا دكتور؟

د/ مخلص: نعم.. وفي نفس وقت رحلتكم.

ود وزها وصافي: صدفة رائعة!

فيصل: ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد!

علي: لو كنا بذلنا كل جهدنا لما رتبنا السفر بهذه الدقة.. فعلًا رب صدفة خيرٌ من ألف ميعاد.

حدث رافي نفسه:

- غريب.. معقول يكون كل ذلك صدفة؟!

علي: ماذا بك يا رافي؟

رافي: معقول ثلاثة مؤتمرات للأساتذة الثلاثة في وقت واحد؟!

صافي: شكلها كذبة.. أليس كذلك؟

رافي: لا لا لم أقصد ذلك.

صافي: مرة ثلاثة كذابين فشارين.. الأول قال: أنا معي فلوس أشتري أمريكا الشمالية كلها.. والثاني قال: وأنا معي فلوس أشتري أمريكا الجنوبية كلها.. فالثالث رد وقال: ومن قال لكم أني سأبيع؟

ضحك رافي ولم يعلق بشيء.

وصل الجميع مطار دلهي (مطار العاصمة الهندية)، وكان في انتظارهم سلمى عمة رافي وزوجها الدكتور زاهر مهران.

مطار دلهي غريب.. فهو مطار كبير واسع، لكن الجو هناك خانق وقاتم، فهو خانق لأنك عندما تنزل إلى مطار دلهي ستجد كل شيء لونه رمادي: الهواء، السحاب، حتى الزرع مائل للرمادي. وهو قاتم بالوجوه الكثيرة التي ازدحمت في كل مكان، والتي تنظر إليك دون أن تركز عليك، فلست الوجه الذي يستحق الفرجة؛ فهناك ألوف غيرك قد نزلوا من الطائرات قبلك ومعك وسينزلون بعدك، لزيارة ثاني أكبر دول العالم من حيث تعداد السكان[RB].

RB:www.RafiBarakat.com

قال رافي لعلي:

- انظر إلى هذه السيدة.. إنها تبتسم إلي! ملامحها بيضاء وملابسها بيضاء أيضًا، ولا أعرف إن كانت هذه وردة التي في شعرها أم بقعة حبر أحمر فاقع.. ولكن من المؤكد أن ابتسامتها شخصية جدًا.. أي موجهة ناحيتي!

علي: ربما إنها إحدى سـيدات السفارة المصرية.. أرسلها المقدم باسل لاستقبالنا.

صافي: أو سكرتيرة رئيس الهند جاءت لاستقبالي، وربما جاءت لتقدم لي فنجانًا من الشاي الهندي الذي على أصله.

علي: إنها تركز نظرتها علينا أكثر، وتركز ابتسامتها علينا أكثر فأكثر.

ضحك صافي وعلي من طريقة السيدة المضحكة في النظر..

رافي: لا تضحكوا، بل يجب أن تخجلوا من أنفسكم!

صافي: لماذا؟!

رافي: إن السـيدة لا تنظر إلى أحد، وإنما تنظر في كل هذا الاتجاه.. ولا تبتسم لأحد، وإنما تبتسم للمطار كله.. وللطائرات كلها.. وللسماء الواسعة.. إن ابتسامتها لله.. إن السيدة عمياء!

صافي: آسف.. واضح أننا سنتعلم في الهند أشياء كثيرة جديدة.

تحركت سيارة الدكتور زاهر.. سيارة (Van) كبيرة، استأجرها خصيصًا لتكفي رافي وأصدقاءه، وبدأت السيارة تتجول في شوارع مدينة دلهي.

أوقف الدكتور زاهر السـيارة فجأة أمام تمثـال كبير.. لقد كان التمثال لغاندي[RB]. نزل الشـباب ليقرءوا المكتوب تحت التمثـال، لقد كانت كلمات

غانـدي الخالدة: «يمكنـك أن تقيدني، يمكنك أن تعذبنـي، يمكنك حتى أن تدمـر جسـدي.. لكنك لـن تنجح أبدًا فـي محاصرة عقلـي!». حركت هذه الكلمات روح الإصرار في رافي أكثر وأكثر لكي يصل إلى سر أرض الرملية وإلى قاتل أبيه.

ورغـم أن رافـي ورفاقه في مهمة كبيـرة جاءوا من أجلها، لكن سـحر حضـارة الهند سـيطر علـى عقولهـم، فقضوا اليـوم الأول لهم فـي الهند يشاهدون ويتأملون عجائب الهند، من مكان إلى مكان في رفقة عمة رافي وزوجها في سيارته الكبيرة.

د/ زاهـر: الهنـد بلد الديانـات والروحانيـات، والخرافـات والأمراض، والفقر والزهد، والتسامح وغاندي.

سـلمى: في الهند في اسـتطاعتك أن تسـتغني عن أذنيـك؛ فكل الذي تسـمعه لا معنى له، فهم يتكلمون لغات كثيرة ولهجات كثيرة جدًّا[RB]، حتى اللغة الإنجليزية وهي إحدى اللغات الرسـمية في الهند، لهم طريقة خاصة فـي نطقهـا. وعلى الرغم مـن أنهم يتكلمون الإنجليزية بشـكل سـليم من الناحيـة النحوية، فـإن اللهجة الهندية تجعلها لغة أخـرى، ويصعب عليك فهمها في كثير من الأحيان.

د/ زاهر: لكنك في نفس الوقت سـتملأ عينيك بأشـكال وألوان لم تكن تخطـر لك على بال.. فالوجوه غريبة جدًّا، وسـتلمح على الأقل في أي جهة تتجه إليها عشرين شخصًا فيهم شبه كبير جدًّا من غاندي.. وفي أول لحظة قد تتصور أن هؤلاء الناس أقارب لغاندي، ولكنك بعد ذلك ستفهم أنه ليس بينهم قرابة، لكنهم متشابهون لهذه الدرجة.

RB:www.RafiBarakat.com

رافي: إن أول شـــيء شـعرت بـه وأنا في بلاد الهند هي هــذه الروائح.. إنها بحر من الروائح بالإضافة إلى بحر المطر الغزير.. وبالإضافة إلى بحر الرطوبة، وبحر الناس!

ود: أنا لا أعرف بالضبط ما اسم هذه الروائح: هل هي أطعمة أم بخور؟ أم جثـث موتــى؟ أم عرق وطيـن ومطر؟ لكنها فــي النهايــة رائحة الهند المميزة.

زها: إنها رائحة (Very spicy).. أكيد هي رائحة الكاري.

صافي: أنا مستمتع بكل هذه الروائح، فهي تحرك خيالي.. أنا أفكر من أنفــي، وهذه الروائح تحرك أفكاري، تمامًا كما يحلم الإنســان وهو مفتوح العينين، فأنفي هو الآخر عنده أحلام يقظة!

زها: الرجال الهنود لهم شــكل مميز.. فالرجل الهندي رشـيق ممشوق القــوام ولا توجد أكراش. وبين الهنــود رجال طوال كالعمالقة. ولاحظت أن بشرتهم خليط من الأصفر والأسمر، والشعر أسود فاحم ناعم.. كل الشعور سوداء فاحمة في لون الليل في الشتاء.

ود: أما السيدات فهن أميل إلى السمنة.

زها: لكن لماذا تضع بعض السيدات نقطة حمراء في أسفل الجبهة؟

سلمى: هذه علامة تدل على أنها متزوجة، فلا يحاول أحد أن يخطبها.. تمامًا مثل الدبلة عندنا.

زها: لكن انظري إن شــعر المرأة الهندية أسود جدًّا، تحسدها عليها كل نساء أوروبا وأمريكا.

ود: Wow!

سلمى: والمرأة الهندية يجب أن تستر كتفيها وساقيها.. أما ما عدا ذلك فليس عورة عندهم، فهي مثلًا تكشف بطنها كلها.. وسرتها تبدو واضحة تحت الساري الهندي الذي هو قطعة واحدة من القماش الحريري.

لكن الهنديات خارج الهند يراعين التقاليد طبعًا، فيخفين هذا الجانب من الجسم. ولذلك لا يمكن أن نرى هندية واحدة في شوارع القاهرة وقد عرت هذه الأجزاء من جسمها.. وإلا كانت فضيحة!

تدخل الدكتور زاهر في الحديث:

- الأهم من كل ذلك أنهم أناس طيبون جدًّا، وفي غاية الهدوء. وحبهم للسلام قائم على شعور عميق صادق وليس مظهريًّا. وكراهية الهنود لإسالة الدماء تنبع من أديانهم وتاريخهم، فالزهد هو العنصر المشترك في كل الديانات الهندية[RB].

سلمى: لكن لهم عادات صعبة خاصة في دفن الموتى، فبعض الديانات الهندية تحرم دفن الموتى، وإنما تتركها للصقور والنسور تمزقها وتأكلها وتطير بها. والبعض الآخر لا يدفن الجسد إلا بعد أن يحرق تمامًا، ولا يبقى إلا بقايا العظام تدفن. وهذه هي الطريقة التي دفنوا بها غاندي.

د/ زاهر: وفي الهند أناس لا يأكلون اللحوم ولا المواد المستخرجة من الحيوانات، فلا يشربون اللبن ولا يأكلون الجبن، ولا يأكلون البيض ولا السمك، ولا يذبحون الأبقار؛ لأن البقرة مقدسة وهي رمز الحياة والخصوبة[RB].

علي: فعلًا البقرة حيوان سعيد في الهند.. انظر إلى دلالها ودلعها وتمخطرها في الشوارع.. في أحسن الشوارع.. وفي دخولها أحسن المحلات دون أن يمسها أي إنسان!

صافي: أما الثور فعلى الرغم من أن أمه بقرة، وجدته بقرة، وابنته أيضًا بقرة، إلا أنــه ليس محترمًا على الإطلاق، فهو يجر العربات ويحرث الأرض ويضربه الفلاحون، واليد التي تضربه هي نفس اليد التي ترفع التحية لأمه أو لجدته أو حفيدته.. وعجبي!

رافي: ما هي الأكلة الشعبية الأساسية في الهند؟

سـلمى: الـكاري.. الهنـود يضعون الشـطة أو الفلفل علــى كل طعام وشــراب، بـل إنهم يضعون الشـطة علــى الحلويات وعلــى الفاكهة، وعلى الجاتوه الذي يقدمونه مع الشاي.

د/ زاهر: المانجو بالشطة والبطيخ بالشطة.

صافي: ليس على لســاني الآن غير هذه الأغنية: أكلك نار.. شــربك نار.. بعدك نار.. قربك نار!

د/ زاهر: وكل شيء هنا يتم ببطء شديد.. الزمن بطيء والصيف بطيء، والشـتاء بطيء والحيــاة كلها بطيئة جدًّا. إنها الحــرارة التي تصيب الكبد، فتنقل متاعبه إلى بقية أعضاء الجسم. ويقال إن الإنجليز عندما دخلوا هذه البلاد قرروا أن يعودوا إلى بلادهم لولا الكســل الــذي أصابهم فمكثوا فيها ثلاثة قرون!

سلمى: لكن أحسن ما في الهنود هو طريقة التحية عندهم، فأنت لست بحاجة إلى أن تصافح كل الموجودين عند دخولك وخروجك ووداعك.. وإنما يكفــي أن تضم كفيك وترفعهما إلى أعلى. وفــي هذا تحية لواحد، ولمليون واحد! تمامًا مثل تحية الصينيين واليابانيين.

وصـل الفريق إلى منزل عمة رافي.. المنـزل كان من طابقين وبه أكثر من 4 حجرات نوم، ويطل على حديقة جميلة، لكن تعليمات سـلمى جعلت الشباب أكثر حذرًا.

سـلمى: إذا ذهبتـم إلى حديقـة المنزل أو أي حديقـة، فيجب ألا يكون ذاك في سـاعة مبكرة من النهار أو سـاعة متأخرة من الليل؛ ففي الحديقة أشجار لها عطر، ويجب ألا تغريكم هذه العطور والألوان الحمراء والصفراء المنتشـرة بين أزهار الشـجرة وأوراقها؛ فهذه الأشـجار تجتـذب نوعًا من الأفاعي له سـم يقتـل بعد 48 ثانيـة.. لذلك لا تذهبوا إلـى الحدائق إلا في وضح النهار.

د/ زاهـر: وهنـاك نـوع من الأفاعـي اسـمها «الكوبرا السـلطانية» أو «الكوبـرا الملكية»، بعضها ينام على الأشـجار ذات العطور وبعضها ينام على التي بلا عطور. وهذه الأخيرة سمها يقتل في نصف المدة.. أي في 24 ثانية.. أي قبل أن يقول الإنسـان: آه.. يعني الموت هنا أسـرع من الصوت! وهذه الأنواع من الثعابين منتشرة في الهند بكثرة.

صافي: أريد أن أعود إلى مصر!

د/ زاهر: وفي هذه المنطقة ملايين القرود، وكلها شرسة، وهناك حادثة لصحفـي أمريكـي ظل طول الليـل يكتب، وفي الصباح وجـد الآلة الكاتبة والأوراق وملابسه كلها غير موجودة. أبلغ إدارة الفندق، وفي قسم البوليس أتـوا له بالمتهم وفي يده السلاسـل ومعـه الآلة الكاتبة وكـوم من الأوراق الممزقة.. وكان المتهم قردًا!

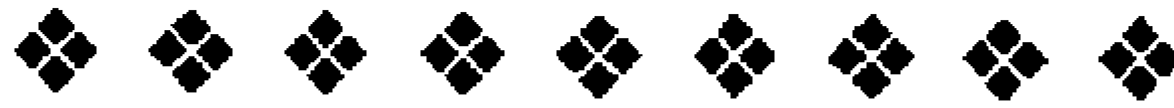
صافي: كفاية.. أرجوكم.. أنا أريد الذهاب إلى الحمام!

د/ زاهـر: نشـرت الصحف اليـوم أن الحكومة قد تمكنـت من القبض علـى 80 قـردًا.. وهذه القرود كانـت تهجم على دواويـن الحكومة وتمزق الدوسـيهات، وقد اتفقت الحكومة مع عدد من الصيادين للقبض على هذه القرود بسعر 80 روبية للقرد الواحد.

صافي: ارحمني.. أرجوك أنا تعبان!

د/ زاهـر: وتمكن هؤلاء الصيادون من إمسـاك القـرود.. أما طريقتهم فهي أنهم أتوا بقرد صغير وراحوا يضربونه والقرد يصرخ؛ فجاءت القرود الكبيرة لإنقاذه فسـقطت في الشـبكة. واحتج الصيادون على ضآلة الأجر، وهددوا بإطلاق القرود، فأعطتهم الحكومة عشرة روبيات أخرى لكل قرد!

صافي: ماما.. أين أنت يا ماما؟!



في صباح اليوم التالي جلس الجميع لبدء العمل..

د/ نبيل: لا بد أن نحدد المهمات المطلوبة ونوزع أنفسنا للقيام بها.

أ/ شـهاب: عندنا ثلاث مهام رئيسـية: الوصول إلى الفتاة «أنيتا خان» مبرمجة الـ(Sand Game)، والوصول إلى الفنان «سـانجاي» الذي رسـم لوحة أرض الرملية، والوصول إلى الدكتور جامشيد.

زها: وكل هدفنا من الوصول إليهم هو معرفة علاقتهم بالمايسترو.

رافي: الهـدف الحقيقي هو معرفة قاتل أبي، وحماية أرض الرملية من شر المايسترو.

د/ مخلص: والأهم هو بناء المدرسة لأهل القرية كما تمنى أبوك يا رافي.

شعر رافي بالارتياح لأن كل الفريق تجمعهم رؤية وهدف واحد، فهذا أول طريق النجاح، فتمتم:

- الحمد لله!

د/ نبيل: إذن فلنبدأ بتوزيع المهام.. أنا مهمتي الوصول إلى الدكتور جامشيد.. فأنا أعرفه وقابلته عندما حضر إلى مصر، لكني أحتاج مساعدة للوصول إليه.

د/ زاهر: أنا أعرف الدكتور جامشيد شخصيًّا، وأنا أعمل معه في نفس المجال وفي نفس الجامعة، وأستطيع أن أساعدك للوصول إليه.

ود: وأنا لا بد أن أصل إلى الفنان الهندي سانجاي لأعرف صلته بالمايسترو ولوحة أرض الرملية، ولذلك أحتاج مساعدة الدكتور مخلص لأنه يعرف اللوحة الفرعونية الأصلية.

فيصل: أما أنا فمن الضروري أن أبحث عن مبرمجة الألعاب الإلكترونية «أنيتا خان»، وأزورها في مكتبها لأعرف علاقة المايسترو بها وبلعبة (Sand Game).

سلمى: أنا سأذهب معك إليها يا فيصل.

علي: وأنا سأعيش مع اللاب توب وأعيد البحث عن أسماء علماء الجيولوجيا الذين زاروا مصر آخر 3 سنوات، وسأصل للهاكر الأسود بأي ثمن.

رافي: وأنا معك يا علي.

صافي: وأنا سأقوم بأهم (shopping) في دلهي، لنتخفى جميعًا في الملابس الهندية التقليدية.

نظر الجميع إلى صافي نظرات غاضبة!

زها: والله فرصة.. وأنا معك يا صافي لأبحث عن عصا المايسترو في أسواق الهند!

كان فيصل أسرع أفراد الفريق وصولًا لهدفه، فقد ساعدته سلمى للوصول إلى مقر شركة «أنيتا خان»، وهناك استقبلتهم أنيتا بلطف واهتمام، وأخبرتهم أنها فعلًا هي التي صممت الـ(Sand Game)، لكن صاحب الفكرة والممول لها أستاذ جيولوجيا في جامعة دلهي اسمه.. دكتور جامشيد!

أما ود والدكتور مخلص فقد اضطرا للسفر إلى مدينة بومباي[RB] حيث يقيم الفنان سانجاي.. وهناك كان اللقاء معه، ولم يأت اللقاء بمفاجأة جديدة، فالرجل كان واضحًا بلا غموض، فهو فعلًا رسم لوحة أرض الرملية بناءً على طلب من صديق له يحب الفن ويقدره، وقد أخبره أن هذه الأرض بها سر كبير سيُعرف يومًا ما، وبالتالي لو رسم هذه اللوحة سيرتفع ثمنها ارتفاعًا كبيرًا، فرسمها ثم عرف أن اللوحة الأصلية سرقت ولا يدري أين ذهبت.. ولم يخف أن صديقه الذي طلب منه رسم اللوحة هو أستاذ جيولوجيا في جامعة دلهي واسمه.. دكتور جامشيد!

تجمعت الأخبار عند رافي الذي وجد نفسه يقول بوضوح:

- إذن المايسترو هو الدكتور جامشيد.. نعم هو المايسترو!

في نفس اللحظة صرخ علي:

- أنا وصلت لأسماء علماء الجولوجيا الأربعة الذين زاروا مصر آخر 3 سنوات.. هذا هو فريق المايسترو، وها هي أسماؤهم: الدكتور جامشيد من الهند، والدكتور فاوهوانج من الصين، والدكتور كونتي من جنوب أفريقيا، والدكتور توني من إيطاليا. ووصلت أيضًا إلى الهاكر الأسود الذي اخترق جهاز اللاب توب الخاص بي، وعرفت اسمه على الإنترنت.. اسمه ساري وعرفت إيميله الشخصي.

رافي: ما هو إيميله؟

علي: GB@gmail.com.

زها: GB هي اختصار جامشيد بهير.. وهذا يؤكد أنه هو المايسترو!

رافي: صحيح إلا إذا..!

علي: إلا إذا ماذا؟!

رافي: إلا إذا كان المايسترو الحقيقي يريد أن يضللنا، ويحمل كل شيء على الدكتور جامشيد.

عاد الدكتور نبيل والدكتور زاهر من جامعة دلهي يحملان معهما مفاجأة أخرى، فقد استقال الدكتور جامشيد من الجامعة، وترك منزله ولا أحد يعرف أين ذهب، حتى مكتبه في الجامعة خال من جميع الأوراق والكتب العلمية التي كانت به، إلا مكتبة خاصة للكتب الروحانية لأحد حكماء الهند.. هذا هو الشيء الوحيد الذي تركه ولم يأخذه معه.

صمت الشباب وبدأ اليأس يتسلل إلى نفوس الجميع، فكلما لاحت لهم الحقيقة اكتشفوا أنها سراب، وأنهم بعيدون عنها، فكان لا بد للجميع من حكمة الكبار، وهنا كان دور الدكتور نبيل.

د/ نبيــل: نحن في الهند بلــد الحكمة، والحكمة تقــول: «إذا رغبت في شيء بصدق وإصرار، فإن العالم كله سيطاوعك لتحقيق رغبتك».

علي: ماذا تقصد بذلك يا دكتور نبيل؟

د/ نبيل: أقصد أنكم لكم رغبة في حماية أرض الرملية، بينما المايسترو له رغبة في السيطرة عليها.. فمن كانت رغبته أقوى فهو الذي سينجح.

أ/ شهاب: أحيانًا يظن الإنسان أنه فشل، وهو أقرب ما يكون إلى الحقيقة.

د/ مخلص: فعلًا هناك نقوش فرعونية تؤكد كل هذه المعاني.

رافــي: دكتــور زاهــر أنت كنــت زميلًا للدكتــور جامشــيد.. حدثنا عن شخصيته.

د/ زاهر: الدكتور جامشــيد شــخص غامــض قليل الــكلام، وجهه بلا تعابيــر(Poker face) مثــل لاعبــي البوكــر، كل كلماته موزونة بحســاب شــديد.. ودائمًا كلامه يحمل أكثر من معنى، بحيث يسهل عليه تغيير كلامه إذا واجهه أحد، فيقول بكل ســهولة إنه كان يقصــد معنى آخر تمامًا. لكنه رغم ذلك رجل روحاني، مثل الكثير من الشــعب الهندي. وهو مسلم متدين مهتم بشعائر دينه، ويعيش حياة أسرية مستقرة.

وبعد تفكير صرخ رافي:

- وجدت طريقة توصلنا إلى الدكتور جامشيد.

سلمى: وما هي الطريقة يا رافي؟!

رافي: الدكتور نبيل قال إن الدكتور جامشــيد أخذ كل أوراقه وكتبه من مكتبــه بالجامعــة، إلا مكتبة خاصــة للكتب الروحانية لأحــد حكماء الهند، والدكتور زاهر يؤكد أنه رجل روحاني.

زها: وماذا في ذلك؟!

رافي: هذا هو الخيط الوحيد الذي يمكن أن يوصلنا إلى الدكتور جامشيد.

زها: كيف؟

رافي: هذا معناه أنه مهتم بعلم الروحانيات، ولديه حكيم معين يقرأ كل كتبه، لدرجة أنه جعل له مكتبة خاصة داخل مكتبه في الجامعة، وليس في بيته مثلًا، مما يدل أن هذا الأمر مهم وكبير في حياة الدكتور جامشيد.

أ/ شهاب: برافو يا رافي.

رافي: ولو كان هذا الحكيم على قيد الحياة، فأكيد الدكتور جامشيد على اتصال به، وقد يلجأ إليه بالذات في مثل هذه الظروف ليواسيه نفسيًا.

د/ زاهر: نعم مازال حيًا، وله مركز روحاني يشرح فيه الحكمة بجوار مسجد دلهي الكبير، واسمه الدكتور صادق ميرزا.

فيصل: إذن هيا بنا الآن لنصل إليه.

رافي: انتظروا لحظة لأتصل بالمقدم باسل.

علي: لماذا تريد الاتصال به الآن يا رافي؟

رافي: لأعطيه أسماء العلماء الثلاثة الآخرين الذين جاءوا إلى مصر، ليبحث عنهم عن طريق الإنتربول، لعلنا نصل إليهم لنعرف الحقيقة.

بعد الاتصال بالمقدم باسل تحرك الجميع نحو أكبر مركز للروحانيات في دلهي.

- 2 -

الطريق إلى المركز كان صعبًا؛ فالمركز يقع وسط منطقة شعبية مزدحمة بالسكان في قلب العاصمة دلهي، وكان الشباب يشاهدون معالم الهند الحقيقية وطريقة حياة الناس.

د/ زاهر: المناطق الشعبية في الهند لها تقاليد مختلفة عن أي مكان في العالم.

علي: ما هذا؟ انظروا الناس تنشر الملابس في الشوارع وعلى الكباري، فليس لديهم مناشر!

سلمى: فعلًا ليست لديهم وسيلة لتجفيف ملابسهم إلا بنشرها في الشوارع وعلى الأشجار وعلى الكباري.

د/ زاهر: ليس هذا فقط.. الأفراح والزفة هنا تكون في الشوارع، حتى لو الحفلة في فندق كبير تبدأ الزفة في الشارع، والعريس يجلس على حصان أبيض.

سلمى: حتى بيع الكتب يتم في إشارات المرور.. حتى إنك تشعر أنك أمام معرض كتب متنقل.

نظر الدكتور زاهر من النافذة، وعلق على ما يراه قائلًا:

- كل شيء في الهند في الشارع.. نشر الملابس.. الأفراح. قد تجدون مجموعة من الناس تشعل نارًا للتدفئة في الشارع، وتترك سياراتها

وتجلس حول النار. والحلاق في الشارع بدون محل، وإنما يحلق للناس على الرصيف.. البقر في الشوارع، وأيضًا القرود والجمال والزحام والناس والموتسيكلات، وأكيد التوك توك، فنحن في بلد التوك توك!

سلمى: تستطيع أن تشاهد نصف حديقة الحيوان في شوارع الهند.

توقفت السيارة فجأة..

رافي: ماذا حدث؟

د/ زاهر: انظر هناك بقرة ستعبر الطريق.. في الهند يجب أن يتوقف الجميع حتى بدون وجود إشارة مرور حتى تعبر البقرة الطريق.

ود: من هؤلاء الرجال الذين يلبسون عمامة بطريقة معينة حول رؤوسهم؟

سلمى: هؤلاء هم السيخ، يطلقون شعر الرأس واللحية طوال العمر، ودينهم يمنعهم أن يقصوا شعرة واحدة.. ويضع الواحد منهم عمامة كبيرة ملفوفة حول شعرهم، الذي هو أطول من شعر أي امرأة.

كانت سلمى والدكتور زاهر يشرحان للشباب كل شيء في الطريق، حتى وصلوا إلى مركز الدكتور ميرزا، ليجدوا آلاف الهنود يجلسون باهتمام غريب وفي صمت رهيب يستمعون لكلمات الرجل.

كان اللقاء في ساحة كبيرة أمام مسجد جاما[1] وليس داخل المسجد، فرغم أن الدكتور صادق ميرزا عالم مسلم، لكنه دائمًا يقدم محاضراته خارج المسجد، ليحضر الجميع من كل الأديان بلا حرج، فالكل يحضر له،

(1) في الموقع الإلكتروني صورة لمسجد جاما.

كبار وصغار رجال ونساء.. من المسلمين والهندوس والسيخ والمسيحيين والبوذيين.

كانت كلمات الحكيم الهندي بإنجليزية سهلة بسيطة، اخترقت رافي ورفاقه، وكأن الرجل ينقش الكلمات في أذهانهم وفي أذهان الجموع الحاضرة.

وكان مما سمعه رافي من كلمات الرجل:

- أنت أيها الإنسان عبارة عن مجموعة طبقات.. الجسد طبقة، والفكر طبقة، والرغبات طبقة، والمشاعر طبقة، ومخاوف الحياة طبقة، والروح طبقة. وأهم طبقة هي الروح، لكنك تسمح لكل هذه الطبقات الأخرى أن تغطيها، مع أن الروح هي أهم هذه الطبقات.. لو كانت الروح سليمة، فهي التي ستسمح للطبقات الأخرى أن تعمل بكفاءة.

لو صفت الروح وصفا القلب لحدثت العجائب.. الموقف الواحد البسيط في لحظة صفاء القلب يحدث أثرًا لا تحدثه آلاف المواقف والأحداث الأخرى العادية.. صفا قلب زكريا في لحظة دعاء صادقة؛ فاستجاب الله له فأنجب يحيى بعد سنين طويلة بلا إنجاب.

صفا قلب امرأة تمارس الرذيلة في لحظة، فسقت كلبًا عطشان شربة ماء واحدة؛ فغفر الله لها كل ذنوبها، ولو ألف امرأة أخرى مثلها فعلت ذلك فربما لم يغفر الله لهن، لكنها كانت لحظة صفاء القلب.

صفا قلب مريم أم عيسى في صلاتها وهي في المحراب وحدها؛ فكانت تأتيها فاكهة الصيف في فصل الشتاء، وفاكهة الشتاء في فصل الصيف.

صفــا قلب رجل من أصحاب النبي محمد اســمه أسـيد بــن حضير في لحظات يوم الجمعة وهو يقرأ ســورة الكهف؛ فتنزلـت الملائكة تحيط به، وملايين المسلمين يقرؤون سورة الكهف كل جمعة بلا أثر.

صفا قلب نيوتن لحظة؛ فاكتشــف قانون الجاذبية[RB]، والملايين قبله لم يلتفتوا لهذا القانون.

صفــا قلب بيتهوفن[RB] رغــم أنه أصم فأبدع؛ لأنه كان يؤلف الموســيقى بقلبه وليس بأذنيه.

صفــا قلب رجل قال لا إله إلا الله مــرة واحدة بصدق؛ فغلبت الكلمة كل سيئاته، ونحن نقولها ملايين المرات كل يوم بلا أي أثر.

صفاء الروح سيجعلك تنطلق في ملكوت السماء لترى ما لا يراه غيرك.. صفاء الروح يعني إجابة دعوة، أوتذوق معنى، أو فهم كلمة، أو تدفق فكرة.

شــاب هندي: هل هذا الصفاء القلبي مرحلــة لا يصل إليها إلا أصحاب القدرات العالية فقط؟

د/ ميــرزا: لا.. هــذه صفة يصل إليها كل إنســان يريــد ذلك.. بل يصل إليهــا حتى الحيــوان.. لذلك تجد الفهــد قبل الهجوم على الفريســة يمكث بهدوء رهيب، ليس فقط من أجل مراقبة الفريسة، ولكن ليركز ويأخذ طاقة خرافية للهجوم.

ثم إنها ظاهــرة طبيعية واضحة في الكون، فأنت لو وضعت ورقة أمام الشمس لن تحترق، لكن لو وضعت أمام الورقة عدسة مكبرة سيتركز الضوء علــى الورقة فتحترق.. وكذلــك العقل لو ركز في فكرة واحدة ســيخترقها بقوة. لن تقدر على اســتقبال الأفكار والمعلومات حتى يكون عقلك جاهزًا،

RB:www.RafiBarakat.com

وذلـك لـن يتـم إلا بتركيز كبير. والعدسـة المكبـرة هذه هـي الصلاة عند المسـلمين، وهي العزلة عند المسـيحيين، وهي اليوجا عند البوذيين، وهي المشـي عند الرياضيين، وهي الموسيقى عند الرومانسيين، ويجمعها كلها التأمل والتفكر.. وكل من لديه قدرات عالية أوخارقة سـببها الأساسـي هو صفاء الروح والقلب والعقل.

شاب هندي: فما الذي يحول دون صفاء الروح؟

د/ ميرزا: السـبب هو أن الناس عقولها مضطربة ومجهدة.. التشويش المسـتمر الذي يحـدث للعقل فلا يسـتقر على فكرة واحـدة، بل يقفز من فكـرة إلى فكرة، ومن خاطر إلى خاطر، حتى يصاب بالإجهاد الشـديد. إن تشويشـات العقل تشـبه أمواجًا متلاطمة.. الأفكار يضـرب بعضها بعضًا حتى يصير العقل مثل شـبكة اتصالات بهـا آلاف التليفونات في آن واحد. وتشويش العقل يؤثر على الروح والقلب وكل الجسد.

شاب هندي: وكيف أمنع هذا التشويش لتصفو روحي؟

د/ ميرزا: لا بد أن تربي عقلك وكل جسدك ليكون روحانيًّا.. الأفكار في عقلك مثل نهر جار.. لا بد وأن تتحكم فيما يدخل إلى عقلك. مدخلات العقل هي الأساس.. ماذا تشاهد؟ ماذا تسمع؟ ماذا تأكل؟ امش قدر ما تستطيع.. استمع للموسيقى الجميلة بدلًا من الصاخبة.. لا تشاهد فيلم عنف أو إثارة.. اختر نوعية الأكل.. إياك والخمور.. إياك والسـمنة.. صل واستمتع بصلاتك، وليـس لأداء الواجـب.. اختر نوعية الأصدقاء التي لا تفسـد عقلك أو قلبك.. باختصـار تحكم في الأفكار التي تشـوش على عقلـك.. لا بد أن تكون كل المدخـلات لعقلك نظيفة لتصل لصفاء عقلك، ويجب أن يصبح كل ذلك هو طريقة حياتك (Lifestyle).

كان الناس يستمعون لكلمات الحكيم الهندي بثقة شديدة، وكأن صفاء قلبه هو قد انعكس عليهم. لم يشعروا أبدًا أنه عالم مسلم، فقد كان عطاؤه للجميع بدون تفرقة بين مسلم وغير مسلم. لقد كانت كلماته للجميع.. للإنسان كل الإنسان.

قام رافي ودخل المسجد وصلى ركعتين، حقق فيها كل معاني صفاء الروح والقلب، ثم عاد إلى الساحة الكبيرة التي يجلس فيها الحكيم الهندي، ووجد نفسه يتخطى الناس ويقترب من الدكتور ميرزا شيئًا فشيئًا، حتى وجد نفسه يجلس أمام الرجل، فرمقه الدكتور ميرزا بنظرة فاحصة وركز في عيني رافي.

د/ ميرزا: أراك تبحث عن شيء يا فتى!

اختار رافي كلمات صادمة ليلفت انتباه الدكتور ميرزا إليه:

- ابحث عن حق أبي.

رفع الدكتور ميرزا نظارته ونظر بعمق إلى رافي:

- أرى في وجهك وجه شاب صادق يمتلك إصرارًا وتحديًا.

رافي: كيف قرأتني بهذه السرعة؟

ابتسم الدكتور ميرزا:

- من أين أنت يا فتى؟

رافي: أنا مصري.

رد الدكتور ميرزا بلغة عربية صحيحة:

- مصر والهند هما مهد الحضارة..

رافي: أنت تتكلم العربية!

د/ ميرزا: من لا يعرف العربية لا يتذوق جمال القرآن الكريم.

رافي: وأنا فخور بلغتي.

د/ ميرزا: انتظرني حتى ينصرف الناس.

أخـذ الدكتور ميـرزا رافي إلى حجرته الخاصة، وبدأ يسـتمع إلى رافي الذي أخذ يحكي قصته الكاملة بكل تفاصيلها.

د/ ميـرزا: الدكتور جامشـيد بهير.. طبعًا أعرفه، لكنـه يأتي إلينا بين الحيـن والآخر. هذا رجـل غامض، لكنه يحب الروحانيات، وإن كنت أشـك أنها تفيده.

رافي: لماذا؟!

د/ ميرزا: لو حققت كل أسـباب صفاء القلـب لكن في قلبك كراهية أو حقد أو غل لإنسان، فلن تصل إلى شيء.

رافي: وهل ترى أن الدكتور جامشيد كذلك؟

د/ ميرزا: لا أدري.. لكن غموضه يقلقني.

رافي: إذن أنت تصدقني وستساعدني؟

د/ ميرزا: نعم أصدقك، وإذا حضر جامشـيد سـأخبرك فورًا.. لكن هل يعرف هو شكلك؟

رافي: لا لم يرني من قبل.. لكني أعرفه جيدًا.

د/ ميـرزا: إذن عليـك أن تتواجد معي بانتظام، ليبـدو الأمر طبيعيًّا إذا حضر جامشيد.

وهكذا صار رافي يتردد على الحكيم الهندي يسمع كلماته وأفكاره.. وفي اللقاء التالي كان الحوار بين الدكتور ميرزا ورافي أكثر قربًا وأكثر عمقًا.

د/ ميرزا: إن أخطر ما زرعه الشيطان بين بني الإنسان هو الكراهية؛ لأنها ضد الحب، والحب هو مراد الله من بني البشر.

رافي: هذا الكلام يشبه كلام الشيخ سالم والأنبا باخوم.

د/ ميرزا: هذا كلام الأنبياء كل الأنبياء؛ لأنه كلام الله. الله يريد الحب، والشيطان يريد الكراهية: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

رافي: كانت هذه هي وصية أبي لي قبل أن يموت.. قال لي: «أوصيك بالصلاة وحب الناس».

د/ ميرزا: وهل الصلاة إلا صلة محبة مع الله؟ الحب هو كل شيء في الوجود يا رافي.

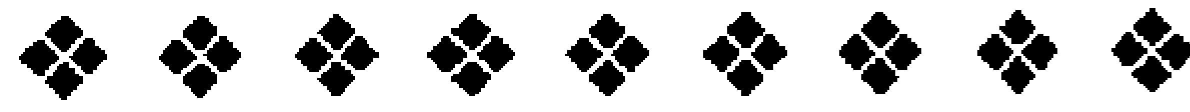
رافي: لكن هل الدين ممكن أن يدفع الناس للكراهية؟

د/ ميرزا: البعض يستخدمون الدين للترويج للكراهية، والدين عكس ما يفعلونه تمامًا. انظر كيف تعامل الأنبياء مع كل الإيذاء الذي تعرضوا له؟ فالإيذاء الذي حدث للأنبياء لم يُستخدم في تأجيج الكراهية والشعور بالاضطهاد، ولكن لإظهار أخلاق التسامح والعفو والرحمة.

أثناء ذلك جاء شاب للدكتور ميرزا وأخرج من جيبه كتابًا عنوانه «الذين يؤذون النبي» وقال:

- أنا ألفت هذا الكتــاب وجمعت فيه كل المواقف التي أوذي فيها النبي خلال فترة رسالته، وأريد منك أن تكتب لي مقدمة هذا الكتاب.

د/ ميرزا: هذا يؤجج نفســية الغضب، والأولى أن تلحق بكل قصة إيذاء قصة أخرى تبين كيف تعامل معها النبي بتسامح ورحمة؛ لتعطي الرسالة الصحيحة.



عــاد رافي إلى بيت عمته بعد هذه الجلســات الرائعة مع الدكتور ميرزا، والتــي غذت روحــه وعقله، لكنه عــاد ليجد الجميع صامتيــن وقد أصابهم وجوم شديد.

رافي: ماذا حدث؟

فيصل: خبر منشور في جرائد الهند اليوم.

رافي: أي خبر؟

أخرج فيصل الجريدة وأعطاها إلى رافي وأشار بيده:

- اقرأ هذا الخبر!

قرأ رافي بصوت مرتفع:

- وفــاة 3 علمــاء جيولوجيا في ظروف غامضة ليلــة أمس.. بينما كان الإنتربول الدولي يسعى للوصول إليهم.

علي: اقرأ أســماء العلماء الثلاثة.. إنها نفس الأسماء التي توصلت إليها من البحث على الإنترنت، والتي أبلغتها أنت للمقدم باسل.

رافي: غير معقول.. هذا معناه أن المايسترو شعر أن البوليس سيصل إليهم فقتلهم جميعًا!

علي: والعجيب في تفاصيل الخبر أن البوليس يقول إن هناك عالمًا رابعًا مهددًا بالقتل في الهند، وهذا ما توصلت إليه تحريات الإنتربول الدولي.

رافي: إذن الدكتور جامشيد ليس هو المايسترو، وإنما هو العالم الرابع.

أ/ شهاب: وهذا معناه أن المايسترو يحاول الوصول إلى الدكتور جامشيد أيضًا للتخلص منه قبل أن نصل نحن إليه.. وربما لذلك هرب لأنه علم أن المايسترو يريد قتله.

رافي: إذن كلانا الآن يبحث عن الدكتور جامشيد. إما أن نصل نحن إليه أولًا فنعرف الحقيقة، أو يصل إليه المايسترو أولًا فيموت الدكتور جامشيد وتموت معه أسرار المايسترو.

علي: لكن كيف عرف المايسترو أننا وصلنا إلى هؤلاء العلماء الثلاثة، وأننا أبلغنا المقدم باسل عنهم؟!

رافي: لا بد أن المايسترو قريب منا أكثر مما نتصور، وأنه يراقبنا بدقة، ويتابع تحركاتنا خطوة بخطوة.

ساد صمت طويل محفوف بحالة من القلق والشعور بالخوف واليأس.

زها: وما الحل الآن؟

رافي: لا بد من الوصول إلى طريقة خاصة نتواصل بها فيما بيننا على الإيميل وعلى الموبايل يستحيل على المايسترو فهمها.

زها: أنا عندي اختراع للغة خاصة للشباب، لا يفهمها إلا من يعرف الـ(Code) الخاص بهذه اللغة، ويمكننا التعامل بها.

اجتمع الفريق حول زها التي بدأت في شرح اللغة الجديدة والـ(Code) الخاص بها.

زها: هي لغة بالإنجليزية واسـمها (Irigi)[1]، ويتم اسـتخدامها بإضافة حرفي G وR إلى أي كلمة مع استخدام المد اللازم.

فمثـلًا كلمـة (Cat) تكـون (Caragat) بإضافة حرف (G)و(R) وسـط الكلمـة، مع الحفاظ على وزن الكلمـة وطريقة نطقها بإضافة المد بحرف (A) فتنطـق كاراجات. وهكذا ننطق أي كلمة بإضافة حرفي (G)و(R) لكل كلمـة، فمثلًا كلمـة (Sat) تنطـق (Saragat) (سـاراجات). و(The) تنطق (Thurege) (ذرجـي). و(Ice cream) تنطـق (Iragec crregam) (إرجـاك كراجام).

صافي: أعتقد أن لغة الصم والبكم أسهل بكثير.

زها: والآن تمرين.. من ينطق هذه الجملة: «القطة تريد آيس كريم»؟

صافي: أنا أنطقها (Thurege caragat waragant Iragec crregam).

زها: أنت مدهش يا صافي.

صافي: أنا طول عمري عبقري.

فـي هذه اللحظات جاء اتصال لرافي من الدكتور ميرزا.. لم يقل الرجل إلا كلمة واحدة:

- احضر حالًا.

(1) هذه اللغة حقيقية.

أدرك الجميع أن معنى هذه المكالمة أنه وصل إلى مكان الدكتور جامشيد.

رافي: هذا التليفون ليس له معنى إلا شيء واحد فقط.. أن الدكتور ميرزا عرف طريق دكتور جامشيد، ويريد أن يخبرنا بمكانه الآن.

علي: إذن لا بد أن نذهب إليه فورًا قبل أن يتحرك الدكتور جامشيد أو يغير مكانه.

انطلق الجميع في سيارة الدكتور زاهر إلى منطقة مسجد جاما.. كانت السيارة تتحرك بصعوبة؛ بسبب الزحام الشديد في المنطقة المحيطة بالمسجد الكبير، فهي أكبر منطقة شعبية في دلهي.

كان الجميع يلتقطون أنفاسهم بصعوبة، وقد ظهر عليهم التوتر الشديد، فهذه هي الفرصة الذهبية للوصول إلى جامشيد قبل أن يصل إليه المايسترو.

رافي: أرجوك يا دكتور زاهر أسرع قدر الإمكان.. لقد تأخرنا كثيرًا!

د/ زاهر: أنا أفعل ما في وسعي يا رافي، لكن كما ترى الطريق مزدحم للغاية.

د/ نبيل: هل يوجد طريق آخر يؤدي إلى منطقة المسجد؟

د/ زاهر: نعم لكنه أطول من هذا الطريق.

رافي: لماذا لا نقسم أنفسنا فريقين، ويذهب الفريق الآخر بأي وسيلة مواصلات من طريق ثان؟

د/ نبيل: أنا مستعد للذهاب من الطريق الآخر.

د/ مخلص: وأنا سأذهب معك.

صافي: وأنا أيضًا معكم.

وهكذا نزل الثلاثة من السيارة في محاولة من كل فريق ليصل في أسرع وقت.

وبعد عدة دقائق توقف المرور تمامًا، فما عادت السيارات تتحرك..

د/ زاهر: أعتقد أن علينا التوقف هنا وترك السيارة وإكمال الطريق على أرجلنا، وإلا سنتأخر كثيرًا، فليس بيننا وبين مسجد جاما إلا 2 كيلو فقط.

رافي: إذن هيا بنا بسرعة.. سنجري المسافة المتبقية، ومن يتخلف عنا أو يفقد الطريق يعود إلى هذا المكان.

د/ زاهر: يا شباب المسجد في هذا الاتجاه.. أما أنت يا سلمى سنترك لكِ السيارة. ابقي هنا ولا تتحركي ليكون تجمعنا بعد العودة عند السيارة.

سلمى: ود وزها لا تذهبا، وابقيا معي فالأمر خطير.

زها: لا.. نريد أن نذهب معهم.

سلمى: لا مجال للمناقشة.. اسمعي ما أقول ونفذيه فورًا.

انطلق رافي يجري بسرعة رهيبة حتى إنه سبق الكل. لم يكن رافي يلتفت إليهم ليلحقوا به، فقد كان يدرك أن هذه الفرصة لا يجب أن يفقدها أبدًا، وبالفعل وصل للدكتور ميرزا الذي كان ينتظره بلهفة واهتمام شديدين.

د/ ميرزا: جامشيد مختبئ خلف المسجد في هذه المنطقة الشعبية، في أحد الشوارع الضيقة، في مستودع يبيع الساري الهندي اسم صاحبه

«موكيش أرورا»، مكتوب اسمه على المستودع بلافتة كبيرة. وقد عرفت ذلك بالصدفة اليوم من صاحب المستودع الذي يختبئ فيه جامشيد.

انطلق رافي بسرعة جنونية.. لكن كيف يتجول في هذه المنطقة الكبيرة ليبحث عن هذا المستودع وقد يكتشف أمره؟! فكر رافي بسرعة فوجد حوله بعض السياح يركبون دراجة تشبه التوك توك، لكن بدون موتور. سأل رافي عن اسمها فعرف أن اسمها ريكشو (Rickshaw)[RB]؛ فاستأجر رافي واحدة منها، وطلب من سائقها أن يقوم بجولة في شوارع المنطقة، وكأنه سائح طبيعي دون أن يخبره باسم المستودع.

كانت دقات قلب رافي عنيفة ومتلاحقة. كان يركز في كل صغيرة وكبيرة فيما حوله، يبحث عن اسم «موكيش أرورا». كانت الشوارع ضيقة للغاية، تشبه خان الخليلي بمصر أو الحي القديم بطرابلس لبنان أو مدينة فاس بالمغرب، لدرجة أنك لا يمكن أن تدخل سيارة في هذه المنطقة، بل من ضيق الطريق يستطيع الجار أن يصافح جاره المقابل له في الناحية الأخرى من الطريق. أدرك رافي أنه يستحيل على الشرطة الدخول لمثل هذا المكان إلا متخفية، وشعر بالرهبة، فكيف سيصل إلى الدكتور جامشيد وحده، خاصة وأنه قد فقد الاتصال بجميع أفراد الفريق، فكل منهم صار في طريق ولم يعد يشاهد أيًّا منهم؟!

لذلك بقي رافي وهو داخل الريكشو يردد في سره كثيرًا: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله».. ودعا بكلمات قصيرة، لكنها صادقة في لحظة صفاء قلبي كبير: «اللهم إني أخرج من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك فاحفظني وبلغني الحقيقة».

RB:www.RafiBarakat.com

كان رافي يطالب سائق الريكشو بالإسراع، ويعده بمبالغ أكثر إذا أتم مهمته بنجاح، لكن ضيق الطرق كان يجبر السائق أن يتوقف ويوسع الطريق لريكشو آخر قادم في مواجهته في نفس الشارع، وحدث ذلك عدة مرات مما زاد من توتر رافي. لكن توقف الريكشو في المرة الثالثة حمل مفاجأة رائعة لرافي، فقد وجد نفسه قد توقف أمام مستودع للساري مكتوب عليه «موكيش أرورا».

نزل رافي بحذر ودخل المستودع، وبدأ يسأل صاحب المستودع عن أسعار الساري، ويفتش في كل أركان المحل بعينيه الثاقبتين، حتى وقعت عيناه على باب حجرة في آخر المستودع. شعر رافي في هذه اللحظة أن الدكتور جامشيد مختبئ في هذا المكان، وأدرك أنه يحتاج مساعدة بعض أفراد الفريق، ليشغلا صاحب المستودع، حتى يتمكن من الدخول إلى الحجرة الخلفية؛ فادعى أنه يعاين بعض أنواع الساري المعروضة، بينما كانت الحقيقة أنه يركز تركيزًا كبيرًا بصفاء نفسي شديد على استدعاء ذهني لأحد أفراد الفريق ليحضر إليه ولو بالصدفة؛ فاستدعى بذهنه الدكتور نبيل والأستاذ شهاب، لكن مرت الدقائق ولم يحضر أي منهما، فعاد إلى تركيزه واستدعى علي وفيصل ودعا واستعان بالله أن يحضرا.

كانت الدقائق تمر كأنها ساعات طويلة، خاصة وقد طالت فترة بقائه بالمستودع، وبدأ صاحب المستودع يتعجب من طول انتظاره دون شراء. وفجأة وصل علي وفيصل إلى نفس المكان صدفة ليجدوا رافي أمامهم، فطلب منهم رافي بلغتهم السرية الجديدة أن يتصرفا بهدوء، ويشغلا صاحب المستودع حتى يدخل هو إلى داخل الحجرة.

دخل رافي من باب الحجرة ليجد نفسه في ممر طويل ضيق لا يتسع لشخصين معًا، فهو بالكاد يسمح بمرور رافي، ثم إنه مخيف، فهو مظلم إلا من إضاءة خافتة لا يكاد يتضح معها نهاية هذا الممر الضيق، فأخرج رافي بطاريته الشهيرة ليرى في ضوئها نهاية الممر، لكنه في نفس الوقت كان يتصبب عرقًا؛ فالحرارة شديدة والمكان بلا تكييف.. بدأت خطواته البطيئة تقترب شيئًا فشيئًا من نهاية الممر، ليجد نفسه فجأة أمام حجرة مظلمة، فدخلها بحذر شديد..

فجأة أضاء أحد ما كل أنوار الحجرة، وفي يده سكين وصرخ في وجه رافي:

- من أنت؟ انطق فورًا وإلا قتلتك!

كانت المفاجأة شديدة على رافي.. إنه الدكتور جامشيد، لكنه ليس كما رآه رافي يوم أرض الرملية، فهو منكوش الشعر، وعلى وجهه علامات الاضطراب والإجهاد، حتى السكين التي في يديه واضح أنه لا يجيد استخدامها، فهو مرتبك وترتعش يداه.. أدرك رافي فورًا بحاسته السادسة من شكل الدكتور جامشيد أن الرجل لا يجيد القتل، وأنه فعلًا يخاف على نفسه من المايسترو، وأنه متورط في الموضوع، لكنه ليس بقاتل أو شرير.. إنه عالم متفوق في علمه، استغله المايسترو لتحقيق أهدافه، وهذا ما جعله يبدو غامضًا لأنه متردد وحائر.. ولأن رافي أدرك كل ذلك بسرعة، فقد كان أكثر تماسكًا وتحكمًا في مشاعره، مما ساعده أن يسيطر رغم فارق السن على أفكار ومشاعر الدكتور جامشيد.

رافي: اهدأ يا دكتور جامشيد.. أنا إنسان مسالم.. أريد مساعدتك ولست عدوًّا لك!

د/ جامشيد: من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟!

رافـــي: اسـمي رافي بـركات.. أنا ابن مالـك أرض الرمليـة بقرية بطن النعمة بمصر، وبحثت عنك حتى وصلت إليك.

صرخ الدكتور جامشيد بشدة:

- أرض الرمليـة! كل كوارث حياتي بدأت مـع أرض الرملية! ماذا تريد مني؟! انطق ماذا تريد؟!

رافي: أريد أن أعرف سر أرض الرملية.. أريد أن أصل إلى المايسترو!

أصيـب الدكتور جامشـيد بحالة هياج شـديدة، وغضب شـديد بمجرد سماعه اسم المايسترو، وزاد ضغطه على السكين التي في يده.

رافـــي: اهدأ يـا دكتور أرجوك.. أنـا جئت من مصر إلـى هنا لأصل إلى الحقيقة، وأنت آخر أمل لي لأعرف سر المايسترو.

رد الدكتور جامشيد بشكل هيستيري:

- اخرج من هنا وإلا قتلتك.. اخرج!

رافي: أنت لن تقتلني يا دكتور جامشـيد؛ لأنك لسـت بقاتل.. أنت رجل عظيم تحب الروحانيات وتحب أسـرتك.. لا تحمل الشـر، لكن المايسـترو استغل علمك للشر!

د/ جامشيد: من أنت؟! وكيف عرفت كل ذلك؟!

رافـــي: أنا ابـن مراد بركات الذي قتله المايســترو؛ لأنه رفض أن يمكنه من أرض الرملية.

د/ جامشيد: أنت مجنون.. أنا لا أعرف أباك، ولا أعرف المايسترو هذا.. اخرج حالًا من هنا!

رافي: حاضر سأخرج يا دكتور جامشيد، لكن أريدك أن تعرف خبرًا مهمًا.. علماء الجيولوجيا الثلاثة الذي زاروا مصر معك، قتلوا جميعًا الأسبوع الماضي. والدور عليك يا دكتور جامشيد.. المايسترو يبحث عنك في كل مكان.

سقطت السكين من يد الدكتور جامشيد، ونزل على ركبتيه باكيًا.

رافي: أرجوك ساعدني يا دكتور.. أرجوك!

انهار الدكتور جامشيد وبدأ يقول:

- أرض الرملية هي السبب في كل ذلك!

رافي: أرجوك احك لي السر يا دكتور جامشيد.

د/ جامشيد: أرض الرملية بها سر خطير.. هذه الأرض بسبب ما سقط عليها من نيازك من آلاف السنين تغيرت خواص الرمال والمعادن الموجودة بها، بحيث صارت لها قوة تأثير كتأثير الجاذبية الأرضية. بمجرد وضعها في محيط قطره 5 كيلومتر، فإنها تؤثر على كثير من المعادن الموجودة في هذا المحيط، خاصة الحديد والرخام، فقد تدمر مباني مصنوعة من الحديد والرخام دون الاحتياج إلى عملية تفجير. فقط بقوة الجاذبية الهائلة الموجودة في رمال هذه الأرض العجيبة.

رافي: هذا أمر خطير!

د/ جامشيد: والأخطر من ذلك أن تأثيرها لا يقف عند هذا الحد، ولكنه يمتد إلى الأجهزة والآلات التي تسري فيها الكهرباء مثل الكمبيوترات،

فيمكنـه أن يعطـل أو يوقف أو يأخـذ كافة المعلومـات الموجودة على أي جهاز كمبيوتر في العالم.

رافي: هذا يمكن أن يدمر العالم!

د/ جامشـيد: هذا المكون الجديد لا يوجد لـه مثيل في الكرة الأرضية إلا في أرضكم في قرية بطن النعمة، وكان قدماء المصريين على علم بهذه الخاصية، لذلك حذروا من استخدامها استخدامًا خاطئًا.

رافـي: لكن كيف تعمل أصلًا هذه المـادة؟ وكيف لم يعرف أحد طوال هذه السنين أن أرض الرملية لها كل هذا التأثير؟

د/ جامشيد: رمال أرض الرملية لا تعمل وحدها، ولكن لا بد من إضافة مـادة فعالـة لها لتحدث هـذا الأثر الخطيـر، وهذه المـادة الفعالة تضاف بكميات دقيقة جدًّا، وتخلط مع رمال أرض الرملية، ثم يتم تصنيعها لينتج عنها شريحة (Chip) في مثل حجم شريحة الموبايل، بحيث يحتاج تصنيع الشـريحة الواحدة إلـى 5 متر مكعب من رمال أرض الرمليـة، مضافًا إليه نسب دقيقة من المادة الفعالة.

رافي: 5 متر مكعب! هذا يحتاج سـيارة نقـل (Lorry) لتقوم بعمليات نقل الرمال من أرض بلدنا إلى مكان التصنيع.

د/ جامشـيد: هذا صحيح.. لذلك كان المايسـترو يرسـلني إلى بلدكم ليـس فقط لاختبار عينات مـن الأرض كما كنا ندعي، ولكـن كان الأهم هو الإشراف على عملية نقل كميات من الرمال لتصنيع الشرائح.

رافي: وكم عدد الشرائح التي تم تصنيعها؟

د/ جامشـيد: لا يعرف ذلك إلا المايسـترو وحـده.. لكن من المؤكد أن عددها قليل، فقد رفض أبوك وجدك بيع الرمال، لذلك كنا نأخذ عينات قليلة جدًّا لا تكفي لتصنيع الشـرائح.. وكنا في ذلك الوقت في مرحلة الاختبارات الأوليـة للرمال، فلما تأكدنا من خطورة نوعية الرمال بدأ أبوك يوقف عملية البيـع، لذلك كان المايسـترو يخطـط لقتله. فلما صار عمـك العمدة تمكن المايسـترو لأول مـرة من نقل كميات مـن الرمال لتصنيع الشـرائح، ومن يدري ربما اتفق مع عمك على نقل المزيد من الرمال دون أن يخبرنا بذلك.

رافي: وما مدة صلاحية هذه الشرائح؟

د/ جامشيد: الشريحة تحترق بمجرد استخدامها لمرة واحدة فقط.

رافي: وكيف تستخدم هذه الشرائح؟

د/ جامشيد: هذه الشرائح توضع في جهاز خاص تم تصنيعه خصيصًا لذلـك، ويتـم التحكم فيـه عن بعد بريمـوت كنترول، بحيـث إذا وضع هذا الجهاز وداخله الشـريحة في محيط 5 كيلو متر، فإن المايسـترو يستطيع أن يدمر طائرات أو سيارات أو مباني مصنوعة من الحديد أو الرخام، دون عمليـة تفجير، فقط بقـوة الجاذبية غير العادية. كما يسـتطيع أن يحصل على أي معلومات موجودة بأي جهاز كمبيوتر في هذا المحيط.

رافـي: أنا لا أسـتطيع أن أتخيل أن رمـال أرض بلدنا لها هذه الخواص غير العادية!

د/ جامشـيد: مثلًا إذا أراد المايسـترو الحصول على كافة المعلومات الموجـودة فـي أي مبنى مخابرات في العالم، فإن كل ما عليه أن يسـتأجر شـقة في محيط 5 كيلو مـن البنتاجون، ويضع بها الجهـاز ليحصل على

كافـة المعلومات التي يريدها، ويبيعها لأي دولة أخرى بمبالغ خرافية. كما يمكنه أن يبيع أسـرار الشركات العالمية للشركات المنافسة لها. باختصار يمكنه أن يدمر أو يسيطر على أي جهاز كمبيوتر في العالم.

رافي: وما هو شكل هذا الجهاز؟

د/ جامشـيد: أنا لم أر الجهاز أبدًا؛ فالمايسترو كان شديد الحرص ألا يعلـم أحد من العلماء الأربعة بتفاصيل عمل الباقين، لكني سـمعت أنه ظل يحـاول أن يجعل حجم الجهاز أصغـر ما يكون.. أعتقد أنه يمكن أن يكون في حجم الموبايل أو أصغر.

رافي: وماذا كان دورك أنت والعلماء الثلاثة في كل ذلك؟

د/ جامشيد: المايسترو كان شديد الذكاء، فلم يسمح لأي منا أن يعرف الخطوات الكاملة بهذه التركيبة الخطيرة، حتى لا يشـاركه أحد في معرفة السر الكامل. فأنا كان دوري هو اكتشاف المادة الفعالة، وكان دور العلماء هو تصنيع الجهاز الذي توضع به الشريحة. أما عملية تصنيع الشريحة فلا أحد يعرفها إلا المايسـترو وحده، فلم يجرؤ أحد منا أن يسـأل أين أو كيف يتم تصنيع الشـرائح النهائية.. لكن من المؤكد أن العلماء سلموا المايسترو الجهاز.

رافي: لذلك قتلهم؟!

د/ جامشـيد: نعـم.. لقد انتهى دورهم! وأنا أيضًـا انتهى دوري؛ فلقد توصلت إلى تركيبة المادة الفعالة!

رافي: وهل تعتقد أن المايسترو تمكن من تصنيع الشريحة بالفعل؟

د/ جامشيد: نعم.. أعتقد أن المايسترو إذا ذهب لأي مصنع متخصص في تصنيع الشرائح، فسوف يصنعونها له، ولن يكتشفوا أي مخاطر مترتبة على ذلك، بل سيرونها مجرد عملية تصنيع عادية.

رافي: إذن المايسترو يستطيع أن يدمر العالم الآن؟!

د/ جامشيد: ليس بهذه الصورة؛ لأن الأمر يحتاج إلى كميات كبيرة من هذه الرمال الموجودة بأرضكم، ثم إنه يحتاج أولًا لتجربة فعالة على محيط محدود، يجرب فيها فاعلية المادة الجديدة المستخدمة.

رافي: ولماذا قبلت أن تشاركه هذا العمل الخطير؟! أنت رجل عالم ناجح، لماذا تقبل أن تورط نفسك في كارثة قد تدمر البشرية؟!

د/ جامشيد: في البداية لم أكن أعرف خطورة الأمر.. ظننت أنه مشروع بحثي طبيعي، لكن بعد فترة بدأت أشعر أن هناك سرًّا ما.. حينها خفت وبدأت أتردد في إكمال المشروع، لكن المايسترو كان يعطيني مرتبًا سخيًّا جدًّا.. حوالي 5 أضعاف مرتبي في الجامعة كأستاذ، ثم إنه وعدني مبالغ ضخمة إذا أتممنا البحث؛ فقبلت الاستمرار أمام إغراء المال.. ثم إنه أخبرني أن أباك هو الذي يمنع إتمام هذا البحث، وطلب مني أن أطلب من إدريس السائق قطع فرامل سيارة أبيك مقابل مبلغ أعطيه له من المال، ولما رفضت أخبرني أن الهدف ليس قتل أبيك، وإنما تخويفه فقط ليتعاون معنا، فرفضت بشدة، لكن إغراءاته المالية لي تضاعفت، وبدأ يغدق علي بالمال حتى ضعفت وتورطت في هذا الأمر.

رافي: هذا الكلام يتفق مع شهادة إدريس سائق أبي.

د/ جامشــيد: ثم فوجئت بعــد موت والدك أن المايســترو بدأ يهددني بكشــف أمري للشرطة إذا لم أنفذ له ما يريد، وعرفت بعد ذلك أنه يستخدم نفس الأسلوب مع العلماء الثلاثة الآخرين.

رافــي: وما ســر اللوحــة التي رســمها الفنــان الهندي ولعبــة (Sand Game)؟

د/ جامشيد: هذا ما لا أفهمه؛ فقد طلب مني المايسترو أن أتواصل مع الفنــان وأعطيه صورة للنقوش الفرعونية عن أرض الرملية، ليرســم لوحة مشــابهة لها، وطلب مني أيضًا أن أعطي تفاصيل مراحل (Sand Game) للمبرمجة الهندية لتنفذ هذه اللعبة.

رافي: ولماذا كلفك بهذه الأشياء مع أنها تفضح خطواته وأهدافه؟!

د/ جامشــيد: لا أدري.. المايســترو رجل غريب الأطوار لا يمكن فهمه أبــدًا، لكنه صار يعتمد علي ويكلفني بمهــام كثيرة حتى صرت أنا الطرف الموجود في كثير من الأحداث.

رافي: ولماذا اختبأت هنا؟

د/ جامشيد: بعد اكتشافي للمادة الفعالة، شعرت في الأيام الأخيرة أن المايســترو ســيغدر بي؛ فخفت واختفيت خاصة بعد القبض على إدريس بمصر.

ســادت لحظة من الصمت أدرك فيها الدكتور جامشــيد ما هو الســؤال التالي لرافي..

رافي: من هو المايسترو يا دكتور جامشيد؟!

د/ جامشيد: أنت مجنون! أنت تريد أن يقتلني؟ إن نطقت باسمه سيقتلني!

رافي: بالعكس يا دكتور.. هو الآن سيقتلك كما قتل العلماء الثلاثة. لقد انتهى دوركم عنده، وعرف التركيبة، وسيتخلص منك كما تخلص منهم. والحل الوحيد لتنقذ نفسك أن تسلم نفسك للبوليس، وتعترف على المايسترو وتنقذ العالم من شره.

صمت الدكتور جامشيد وزاغت نظراته في تردد شديد.

رافي: من هو المايسترو يا دكتور؟ أرجوك أخبرني!

نظر الدكتور جامشيد إلى رافي وقد قرر أن يبوح لرافي باسم المايسترو، لكن المفاجأة كانت مؤلمة، فقد انطلقت رصاصة من مكان مجهول في ظهر الدكتور جامشيد أسقطته صريعًا، وصار ينهج بشدة.. لقد أدرك رافي أنها اللحظات الأخيرة في حياة الدكتور جامشيد.

ارتبك رافي هل يختبئ أم يجري خلف مصدر إطلاق الرصاصة أم ينادي رفاقه؟! لكنه قرر بسرعة أن يدرك اللحظات الأخيرة من حياة الدكتور جامشيد، لعله ينطق باسم المايسترو.

رافي: تكلم يا دكتور جامشيد.. أرجوك.. قل لي اسم المايسترو!

تكلم الدكتور جامشيد وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- هناك ما هو أهم من اسمه.. هناك كارثة يجب منعها قبل أن تحدث.. المايسترو هنا في الهند، وهو ذاهب إلى مدينة أجرا لاختبار فاعلية التركيبة النهائية للشريحة والجهاز، وسوف يزرع الجهاز داخل تاج محل ليضمن نجاح تجربة الجهاز والمادة الفعالة في تحطيم أكبر

بناء مصنوع من الرخام في العالم.. هناك في أجرا.. أرجوكم تحركوا قبل أن يهدم تاج محل!

رافي: متى سيذهب؟!

رد الدكتور جامشيد بصعوبة شديدة:

- سـيذهب غدًا من الصباح ليـزرع الجهاز داخل تاج محل ليدمره قبل غروب شمس الغد. لقد وجدت ورقة سقطت من جيبه دون أن يدري في آخر لقاء جمع بيني وبينه، سجل فيها موعد ومكان هذه التجربة.

وضع رافي يده على نبض الدكتور جامشيد قائلًا:

- ما اسم المايسترو يا دكتور جامشيد؟ ما اسمه؟

بدأ نبض الدكتور جامشيد يخفت بشدة، وقد حاول أن يتكلم:

- المايسترو اسمه...

مات الدكتور جامشـيد ولم ينطق باسم المايسـترو، ولكن رافي أدرك المكان الذي سيتجه له المايسترو غدًا لينفذ أول مخطط له.. تاج محل.

تـــاج مـحـــل

- 1 -

تاج محل.. دمعة على خد الزمن.

كانت هذه أول كلمة ســمعها رافي عن تاج محل، فلم يكن رافي ورفاقه يعرفون أي شـــيء عن تاج محل، ولا عــن قيمته التاريخية أو جماله كتحفة معمارية رائعة. كان كل ما يشــغله هو كلمات الدكتور جامشــيد قبل موته، فقــد اكتمل مخطط المايســترو وصار على بعد خطـوات من تدمير إحدى عجائب الدنيا السبع.. إنها تاج محل.

كان كل ما يشــغل رافي هو سرعة الاتصال بالبوليس الهندي لإنقاذ تاج محل قبل أن يدمره المايســترو. كان رافي يشعر أن مهمته قد صارت أكبر بكثيــر من حماية أرض الرمليــة والانتقام لدم أبيه؛ فلقد صارت مهمته هي إنقاذ البشرية من خطر كارثي لو ترك المايسترو ينفذ خطته الشريرة.

كانت الساعة التاسعة مساءً من نفس يوم مقتل الدكتور جامشيد، حين توجه رافي وعمته ســلمى وزوجها الدكتور زاهر إلى قسم البوليس، ليقص عليهم القصة من بدايتها، لكن ضابط البوليس لم يبد أي اهتمام كاف بكلام رافي، وتعامل مع الموضوع بشكل عادي.

ورغـم كل تحذيرات رافي بخطورة الموقف، لـم يقتنع الضابط بأهمية كلمات فتى صغير في سـن رافي ولم يصدقـه، لكن رافي طلب منه مقابلة رئيس الشـرطة أو وزير الداخلية، لكن الضابط طلب منه بهدوء شـديد أن يكتـب طلبًـا بذلك ليتم عرضه خلال 4 أسـابيع على الوزيـر لتحديد موعد باللقاء؛ فازداد شعور رافي أن الموضوع بعيد عن اهتمام الشرطة.

كانت الدقائق تمر سـريعًا، ورافي يزداد توترًا وانفعالًا.. فكر أن يتصل بالمقدم باسـل في مصر، لكنه خاف أن يكون المايسـترو يراقب اتصالاته فيغيـر خطتـه. وبعد تفكير طويل لـم يجد رافي أمامه غيـر أن يذهب هو ورفاقه إلى هناك.. إلى تاج محل لإنقاذه من يد المايسترو.

قـرر الجميع أن يتحركوا في الصبـاح الباكر من دلهي إلى أجرا.. وبات رافي ليلته متقلبًا في فراشـه لا يسـتطيع النوم، فكلما حاول النوم طاردته المخاوف أو قفزت إلى رأسـه الأفكار؛ فقام فجـأة ليكتب إيميل على موقع وزارة الداخليـة الهندية، يشـرح لهم القصة ويحملهم مسـئولية إنقاذ تاج محـل، ثم حاول أن ينـام مرة أخرى، لكنه راجع في خياله أحداث اليوم مع الدكتور جامشيد.

ظل يستعرض الأحداث بذاكرته الحادة، كأنه يراها شريط فيديو يتحرك أمام عينيه، لكنه فجأة انتفض من فراشـه ليسأل نفسه: أين اختفى الأستاذ شهاب والدكتور نبيل منذ بداية المطاردة؟ ولماذا عادوا متأخرين إلى بيت عمته سـلمى؟ وأين كانوا؟ كذلك الدكتور مخلص.. لقد اختفى تمامًا طوال اليوم، فهل خاف كعادته من مثل هذه المواجهات؟

أحس رافي بحاسـته السادسـة أن هناك شـيئًا غامضًا وغير مريح في مواقف الأسـاتذة الثلاثة، خاصة وأن حضورهـم للهند وظهورهم فجأة في

الطائرة كان غير مبرر بشــكل كاف، ثم ما تفسير أن المايسترو يعرف أولًا بـأول كل تـحركات رافي وفريقـه، وكأنه قريب جدًّا منهـم، أو كأنه يعيش معهم خطوة بخطوة؟

فجأة ولأول مرة قفزت فكرة صادمة لرأس رافي وكانت كالصاعقة لمجرد أنه فكر فيها.. هل ممكن أن يكون أحد الأساتذة الثلاثة هو المايسترو؟!

وجد رافي نفســه يوقظ علي صديقه المقرب، ويتفق معه على استخدام لغتهم الخاصة فيما بينهم فقط، دون إخبار الثلاثة الكبار بها. ورغم أن علي لم يفهم لماذا يريد رافي ذلك، إلا أنه اســتجاب لطلب رافي دون مناقشــة، فقد كان نائمًا بعد إجهاد يوم شاق وعصيب.

في اليوم التالي وفي الخامســة فجرًا، استيقظ الجميع للسفر من دلهي إلى أجرا، وركبوا ســيارة الدكتور زاهر وبدأت الرحلة. كان جميع الشــباب متعبين خاصة صافي الذي استيقظ بصعوبة بالغة.

صافي: أتعرف يا رافي ما هو أصعب فراق في التاريخ؟

رافي: لا.. ما هو؟

صافي: فراق المخدة في الصباح.

لــم يرد رافي الــذي مازال حزينًا متأثرًا بمشــاهدة لحظة مقتل الدكتور جامشيد، وقسوة الأحداث التي يمر بها.

فيصل: الخطأ الوحيد في هذه الرحلة أن هذا الكائن جاء معنا!

بدأت زها في استخدام اللغة الخاصة، وتحدثت إلى رافي:

(Caragan yorogu parugt thurege paragaln)

رافي: Dorogne.

تحدث صافي بصوت خفيض في أذن فيصل:

- ممكن ترجمة لو سمحت؟

أجاب فيصل بصوت عال:

(Yorogu arrage sirageck)

تحدث صافي مرة أخرى في أذن علي:

- ممكن ترجمة لو سمحت؟

فرد علي بصوت خفيض:

- زها قالت لرافي (Can you put the plan?) ممكن نضع الخطة؟

صافي: وماذا قال لها رافي؟

علي: قال لها (Done).. أي تم وضعها بالفعل.

صافي: وماذا قال لي فيصل عندما سألته؟

علي: قال: (You are sick)

صافي: تمام.. الآن فهمت.

كانت السيارة تنطلق بسرعة كبيرة، وكان الجميع يسيطر عليه التوتر الشديد لخطورة الموقف، لكن هذا لم يمنع الشباب أن يستغلوا الطريق ليسألوا سلمى عمة رافي وزوجها الدكتور زاهر أسئلة كثيرة عن تاج محل وتاريخه وقصته.

ود: ما هو تاج محل يا دكتور زاهر؟

د/ زاهــر: تاج مـحــل مدفن ليس له مثيل في تاريخ البشــرية، هو أكبر وأضخم مدفن في التاريخ[1].. تحفة معمارية، بناه الملك شاه جاهان الذي حكم الهند في القرن الســادس عشــر الميلادي، وكان ملكًا مسلمًا، وكانت زوجته اســمها ممتاز مـحــل، وكان يحبها حبًّا عجيبًــا. لكن زوجته مرضت مرضًا شديدًا، وقبل أن تموت طلبت منه ثلاث أمنيات: طلبت منه ألا يتزوج بعدهــا امرأة أخرى، وأن يرعى أولادها الثمانيــة، وأن يبني على قبرها بناء يزوره الناس ليؤنسوها في قبرها ولتخلد ذكراها.

سلمى: وكان الملك رجلًا عظيمًا، فوفى لها بالطلبات الثلاثة؛ فلم يتزوج بعدها، وظل يرعى أولادها، وبنى من أجلها «تاج محل».

ود: Woooow .. هذا البناء وراءه قصة حب كبيرة!

د/ زاهر: صحيح.. لذلك وضع الملك كل أمواله وإمكانياته لإتمام أعظم بناء في التاريخ يخلد ذكرى حب رجل لزوجته.

ود: وهل هو بناء ضخم؟

د/ زاهــر: المبنى وزنه 250 مليون طن، كلــه من الرخام، طوله 75 مترًا، وبه نوافير عديدة يصل عددها إلى 100 نافورة. تاج محل له قبة عظيمة عليها منــارة من ذهب تنتهي بالهــلال، وطول المنارة 10 أمتــار، وكأنها بناء من 5 أدوار. وقد تم إغلاق الســلالم المؤدية إلى أعلى المنارة، لانتشار حالات انتحار العشاق والمحبين عندما يفشل أحدهم في حبه أو في الزاوج من حبيبته.

ود: وكم استغرق بناء تاج محل؟

د/ زاهر: بدأ البناء سنة 1631 م، وانتهى سنة 1653 م، أي 22 سنة.

(1) يمكن مشاهدة صور حقيقية لتاج محل في الموقع الإلكتروني.

علي: معقول؟! 22 سنة كاملة من أجل الوفاء لزوجته الحبيبة؟!

سلمى: فعلًا الحب يصنع المعجزات!

ود: لكن لماذا يقولون عنه إن دمعه على خد الزمان؟

سلمى: لأن باقي قصة تاج محل فيها أحداث درامية مؤثرة.

ود: كيف هذا؟

سلمى: كان يفترض أن يبني الملك لنفسه مدفنًا في الناحية الأخرى من النهر أمام قبر زوجته، لكن ابنه أراد الاستيلاء على السلطة، وسجن أباه في سجن القلعة على بعد 2 كيلو من تاج محل، فطلب الملك أن يكون محبسه في غرفة يرى من خلف قضبانها تاج محل، ليرى قبر زوجته في كل وقت، فتم له ذلك حتى مات الملك في سجنه، فشعر ابنه بالندم بعد فوات الأوان؛ فقرر أن يدفن أباه في نفس غرفة دفن الملكة وبينهما 3 أمتار فقط، وكلاهما مدفون في اتجاه مكة.

ود: فعلًا تاج محل دمعة حب على خد الزمان.

عاد الصمت يخيم من جديد على كل الفريق، فالأمر خطير والمغامرة كبيرة.. لذلك كانت سلمى تخفف من حدة توتر الشباب بأشياء مثيرة تجذب انتباههم؛ لتقلل من توترهم، وقد جاءتهم هذه المرة بنظارة قامت بتوزيعها على رافي ورفاقه.

سلمى: هذه نظارة مختلفة تسمى نظارة «Google Glass»[RB] وهي نظارة عبارة عن كمبيوتر صوتي توجه لها الأمر بالصوت، دون استخدام أي زر، ودون استخدام اليدين، فتظهر لك النتائج على زجاج النظارة، أو بإصدار معلومات صوتية في أذنك.

لبس فيصل النظارة ثم قال:

- OK glasses read my e-mails.

علي: إنها مذهلة حقًّا!

صافي: إنها ترد علي بصوت في سماعة موصلة لأذني.

زها: نظارة.. كم درجة الحرارة في أجرا الآن؟

صوت النظارة: 37 درجة.

سلمى: أنا اشـتريت نظارة لكل واحد منكم، لتسهل لكم الحصول على أي معلومة تريدونها أثناء هذه المهمة الصعبة.

وهكذا امتصت سـلمى توتر الشباب وشغلتهم بشيء مهم سيعينهم في مهمتهم.

بعد 3 ساعات كاملة، وصل الجميع إلى أجرا ليجدوا أنفسهم أمام بوابة تاج محل.

علي: يا لها من بوابة ضخمة! إن ارتفاع البوابة يشعرني بالرهبة، ويزيد فضولي لأرى تاج محل من الداخل.

فيصل: ما هذا الطابور الطويل؟ معقول سنقف في هذا الطابور حتى ندخل؟

د/ زاهـر: هذه أول مـرة أرى فيها مثل هذا الطابور الطويل عند دخول تاج محل، رغم أن اليوم ليس بيوم عيد من أعياد الهند.

سلمى: وما هذا العدد الهائل من رجال الشرطة والكلاب البوليسية؟!

حدث رافي نفسه:

- لعل ذلك أثر الإيميل الذي أرسلته بالأمس لموقع وزارة الداخلية!

د/ نبيل: دعونا نسأل أحد الحراس عن هذا الطابور الطويل.

د/ مخلص: أنا سأذهب لأشاهد وأسأل عن سبب هذا الطابور.

نظر رافي إلى علي وكأنه يطلب منه شيئًا ما.

علي: أنا قادم معك يا دكتور مخلص لنعرف سويًا السبب.

د/ مخلص: ok.. تعال معي!

بعد دقائق عاد الدكتور مخلص ومعه علي.

د/ مخلص: إنها عملية تفتيش عادية، فأجهزة التفتيش هي للكشف عن المتفجرات أو أي مواد قابلة للاشتعال.. إنها نفس الأجهزة التي تستخدم في مصر عند تأمين الآثار ضد أي تفجيرات.

علي: وحتى الكلاب البوليسية الموجودة عند البوابة، هي لاكتشاف المتفجرات.. هكذا أخبرنا أحد مدربي الكلاب.

رافي: هذا غباء.. الجهاز الجديد ليس به مواد متفجرة!

فيصل: وبالتالي لن يكتشف الجهاز في عملية التفتيش.

رافي: لا بد أن نفعل شيئًا.. أنا ذاهب إلى قائد الحرس.

أ/ شهاب: أنا ذاهب معك يا رافي.

كان قائد الحرس مشغولًا بمتابعة التفتيش، فكان يسمع لرافي بلا اهتمام، ثم ابتسم ابتسامة فيها سخرية وقال:

- عد إلى مكانك في الطابور إذا كنت تريد الدخول، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

رافي: أرجوك أنا أعلم خطورة الموقف، ولا بد أن تستمع إلي!

قائد الحرس: ما اسمك؟

رافي: رافي بركات.

انتبه قائد الحرس وبدأ ينظر في أوراق بين يديه:

- أنت الذي أرسلت إيميلًا بالأمس لموقع وزارة الداخلية؟

رافي: نعم أنا.

قائد الحرس: أنا مكلف من وزير الداخلية بالوصول إليك والتعاون معك.. تعال معي إلى مكتبي.

دخل رافي والأستاذ شهاب إلى مكتب قائد الحرس.

رافي: سيدي القائد الأجهزة التقليدية لن تكشف الجهاز.. وربما يكون المايسترو..

أ/ شهاب: وربما يكون المايسترو قد دخل بالفعل.

قائد الحرس: هل تعرف شكل الجهاز؟

رافي: لا.. ولكنه في حجم الموبايل أو قد يكون أصغر.. هكذا أخبرني الدكتور جامشيد قبل أن يموت.

قائد الحرس: نحن لا نملك أن نمنع الناس أن تدخل بأجهزة الموبايل الخاصة بهم.

أ/ شهاب: فلماذا لا يغلق تاج محل اليوم لهذه الظروف الطارئة والخطيرة؟

قائد الحرس: تاج محل مزار عالمي لم يغلق منذ تم إنشاؤه، وإغلاقه أمر خطير يؤثر على سمعة الهند، خاصة إذا أعلنا أن السبب تفجيرات محتملة، وبالتأكيد فإن ذلك سيؤثر على السياحة في الهند بشكل عام.

أ/ **شهاب:** أنا لا أفهم ماذا تقول.. نحن نحدثك عن احتمال انهيار تاج محل!

قائد الحرس: أولًا أنا لا أملك اتخاذ هذا القرار بإغلاق تاج محل، وحتى وزير الداخلية لا يملكه.. هذا قرار سيادي من الدرجة الأولى، لا يتخذ إلا بإذن رئيس الدولة شخصيًّا. ثم إننا لا يمكن أن نغلق تاج محل لمجرد بلاغ أرسله شاب عمره 14 سنة.. لذلك فقد اكتفينا بتكثيف التفتيش.

رافي: فقط هذا ما ستقومون به؟!

قائد الحرس: وقد يكون البلاغ كاذبًا، وعندها ستتعرض يا سيد رافي للمساءلة القانونية الصارمة.

سادت لحظات من الصمت تبادل فيها رافي وقائد الحرس النظرات، فبينما كانت نظرات قائد الحرس تحمل ألوانًا من التهديد والوعيد، كانت نظرات رافي تحمل المزيد من الإصرار والتحدي، بينما حبس الأستاذ شهاب أنفاسه من شدة خوفه على رافي.. وإذا بمفاجأة تقطع هذا الصمت المخيف..

دخل مساعد قائد الحرس حجرة رئيس الحرس صارخًا:

- سيدي.. تعطلت جميع أجهزة التفتيش!

قائد الحرس: ماذا تقول؟ كيف حدث ذلك؟!

المساعد: هناك شيء غير مفهوم.. الأجهزة لا تعمل وكأنها فصلت عنها الكهرباء تمامًا، وقد حاول المهندسون إصلاحها، لكنهم فشلوا تمامًا ولا يعرفون السبب.

قائد الحرس: وماذا عن الجمهور خارج البوابة؟

المساعد: هناك أعداد غفيرة تريد الدخول، وقد أصابهم التذمر الشديد من طول الانتظار.

قائـد الحرس: ضاعـف عدد الـكلاب البوليسـية عند البوابـة، واجعل التفتيش يتم بواسـطة الكلاب، وأمر رجالك أن يفتشوا السائحين فردًا فردًا بمنتهى اليقظة والدقة.

المساعد: تمام يا سيدي القائد.

قال قائد الحرس وهو ينظر إلى رافي:

- أعتقد أننا نحتاج إلى مساعدتك.. قم معي إلى البوابة.

رافي: سـيدي القائد، الكلاب البوليسـية أيضًا لن تكشف الجهاز.. أنتم تفكرون بطريقة تقليدية لحل لغز غير تقليدي، وهذا مستحيل.

قائد الحرس: فماذا تريد أن أفعل؟!

رافي: أنا عندي فكرة غير تقليدية.

قائد الحرس: وما هي؟!

رافي: نحضر كلبًا بوليسيًّا شـديد الذكاء، ومدربًا تدريبًا عاليًا، ونجعله يشـم عينة من رمال أرض الرملية التي صنعت منها الشـريحة الموضوعة بالجهاز، ونطوف به أرجاء تاج محل، وبذلك سيتعرف على الجهاز إذا كان موجودًا أو تم دفنه في أي جزء من أجزاء المكان.

أ/ شـهاب: هذا أمر مسـتحيل يا رافي.. الشـريحة صنعـت من الرمال هذا صحيح، لكن عملية التصنيع تجعل طبيعة الشريحة ورائحتها مختلفة تمامًا عن طبيعة الرمال الأصلية.

قائد الحرس: الكلاب البوليسية لديها 250 مليون حاسة شمية[RB].

أ/ شهاب: ومن أين أصلًا نأتي الآن برمال أرض الرملية؟

RB:www.RafiBarakat.com

رافــي: وهل تعتقد يا أســتاذ شــهاب أنــي أقوم بــكل هذا الجهــد وبكل هذه المغامرات، دون أن يكون معي أثر من آثار أرض الرملية أتحرك به في كل مكان؟

أخــرج رافي مــن جيبه علبة صغيرة مغلقة بإحــكام، وفتحها أمام قائد الحرس ليشاهد رمالًا صفراء تبرق وسطها أحجار فضية صغيرة.

برقت عين قائد الحرس، وأخذ يفرغ حبات الرمال على كف يده:

- هل هذه هي رمال أرض الرملية؟

ترقرقت دموع رافي قائلًا:

- نعم.. هذه هي أرض جــدي وأبي.. هذه هي أرض بلدي.. ومن أجلها قتل أبي!

اتصل قائد الحرس بالتليفون، ونادى بحماس: «أحضروا فورًا أذكى كلب بوليسي لدينا»؛ فدخل مســاعد قائد الحرس ومعه مدرب الكلاب الرئيسي، ومعه كلب متوسط الحجم.

رافي: Wow! هذا كلب جيرمان شيبرد!

مال رافي على الكلب وداعبه، فتجاوب معه الكلب مباشــرة، وكأنه أدرك بذكائه صلة رافي بمهمته.

أ/ شهاب: ما اسمه؟

الحارس: اسمها رامبي.

بدأ المدرب يضع حبات الرمال أمام رامبي لتشمها عدة مرات.

المدرب: ســيدي رامبــي تحتاج تدريبًا لمدة لا تقل عن أســبوعين حتى تكون قادرة على متابعة هذه الرائحة.. ما تطلبه مني مستحيل!

رافي: لا.. رامبي ستكون قادرة الآن على التعرف على الرائحة!

المدرب: كيف يا سيدي؟!

نـزل رافي على ركبتيـه واحتضن رامبي، وظل يداعبها في رأسـها، ثم جلـس أمامها وظل ينظر في عيني رامبي بقوة وإصرار، وبدأ يكلمها كأنها إنسان أمامه:

- رامبـي أرجوك.. لا بد أن تتعرفي على هذه الرائحة الآن وإلا سـيهدم تاج محل. ركزي يا رامبي، كل شيء ممكن بالتركيز!

بـدأ رافي يقـرب حبات الرمال مـن أنف رامبي التي ظهـر عليها هدوء عجيب، وكأنها تركز بالفعل، وبدأت تشم الرمال والمدرب مندهش مما يراه بعينيه.. لقد علم رافي رامبي فن القدرات الخاصة.

قال قائد الحرس لمساعده:

- الآن يدخل رافي وفريقه إلى تاج محل بدون تفتيش و...

فقاطعه رافي بحدة:

- لا.. لا بد من التفتيش لكل فريقي وأنا أولهم!

لـم يفهم أحـد لماذا أصر رافي علـى تفتيش فريقه قبـل الدخول، لكن الواضح أن رافي كانت بداخله أشياء كثيرة لا يصرح بها.

فقال قائد الحرس لمساعده:

- يدخـل رافي وفريقه بعد التفتيش إلى داخل تاج محل، ومعهم الكلبة رامبي، وأنت تكون معهم، وانشروا رجال الخدمة السرية ليراقبوا أي تصرف مريب ويبلغوا عنه فورًا.

– 2 –

دخل رافي وفريقه إلى تاج محل، وكانت لحظات مثيرة ومبهرة للجميع؛ فتاج محل عندما تدخل من البوابة وترى الحدائق الرائعة الواسعة أمامك، وفي نهايتها مبنى تاج محل الرائع؛ يرق قلبك وتأخذك عاطفة عجيبة تهز وجدانك، حتى إنك تشعر أن المكان حضن كبير يحتويك. إنه شعور عجيب يذكره كل من يأتي إلى هنا أيًّا كان جنسه أو وطنه أو دينه، وكأن ذاكرة التاريخ لقصة الحب الرائعة بين الملك شاه جاهان وزوجته ممتاز محل تملأ المكان بالأحضان وعاطفة الحب، وكأنك خرجت من عالم المادة القاسي في ماديته إلى عالم العاطفة الرقيق في روحانيته.

ود: هل تشعرون بالعاطفة التي تملأ المكان؟

زها: نعم.. هل معقول أن روح الحب التي بني بسببها هذا المكان تبقى لتظلل كل من يأتي إلى هذا المكان؟

ود: أليس هذا دليلًا على سمو الحب؟

زها: أتمنى الآن أن أركب آلة الزمن لأعود إلى زمن الملك شاه جاهان وزوجته ممتاز محل؛ لأرى بنفسي الحب النادر الذي كان بينهما.

ود: فعلًا.. نادرًا ما يجد الرجل امرأته الكاملة، ونادرًا ما تجد المرأة رجلها الكامل!

زهـا: كنـت أظن أن قصص الحـب الكبرى في التاريـخ دائمًا لا تنتهي بـزواج، مثل قيس وليلـى أو روميو وجوليت.. حتى حضرت هنا لأرى قصة حب خالدة وانتهت بالزواج.

د/ زاهر: انظروا إلى حوائط تاج محل.. إنها نوع نادر من الرخام عليه نقوش رائعة الجمال.

سلمى: ومكتوب عليه آيات قرآنية بطول البناء كله.

علي: أنا أستطيع أن أقرأ الآيات رغم أنها بخط عربي قديم.. فهذه سورة الفجر، وهذه سورة ياسين.

كان المكان مزدحمًا بآلاف السياح، والمصورون في كل مكان يلتقطون الصور التذكارية للسياح.. في هذا الجو المزدحم كان يصعب على الشرطة وعلى رجال الخدمة السرية متابعة هذه الأعداد الهائلة. أما رافي فقد امتلكته حالـة من التركيز الشـديد لم تحدث له في حياته من قبل، ليكتشـف قدرة خارقة جديدة لم يكن يعلمها عن نفسـه. لقد اسـتطاع أن يجعل عقله مثل شاشـة كبيرة تغطـي كل أجزاء تاج محل، وكأنه جالـس في غرفة عمليات ينظر لمئات الشاشات المنتشرة في كل أرجاء المكان.. فقط بدأ يدور بعينيه وبجسده دورة 360 درجة، فحفظ آلاف الوجوه وجهًا وجهًا، وقرأ تفاصيل هـذه الوجوه في ثوان معدودة، بل حـدد أماكنهم وتوقع مكانهم التالي، ثم عـاود بعد دقيقة أو دقيقتين الدورة فدار مرة أخرى 360 درجة؛ فوجد كل إنسـان قد تحرك إلى مكانه الجديد كما توقعـه تمامًا.. هكذا صارت حركة رافي بتركيز رهيب في أنحاء تاج محل، حتى حفظ وجوه السـائحين كلهم تقريبًا، وكان يحدث نفسه بدهشة: كيف وصلت لهذه القدرات الهائلة؟ هل الإصرار يوجد في الإنسان كل هذه القدرات المجهولة لديه؟

وبينما يدور دورته وقعت عينه على مقعد وسط حديقة تاج محل، يجتمع عنده مئات السياح لأخذ صور تذكارية عند هذا المقعد بالذات، ودورة بعد دورة فوجئ رافي بشرخ لا يزيد عن 2 سم حدث في هذا المقعد. انزعج رافي وخاف أن يكون الشرخ له علاقة بخطة المايسترو، وقبل أن يتجه إلى هذا المقعد وجد أحد الحراس يهرول نحو مساعد قائد الشرطة.

الحارس: سيدي، حدث شرخ مفاجئ في مقعد الأميرة ديانا.

جرى مساعد قائد الحرس نحو المقعد:

- هيا بسرعة لنرى ماذا حدث!

رافي: ما هو مقعد الأميرة ديانا؟

مساعد قائد الحرس: عندما زارت الأميرة ديانا الهند جلست على هذا المقعد، وكانت متأثرة بشدة لهذا الحب الكبير، والعاطفة الكبيرة التي بنى من أجلها تاج محل، وبقيت جالسة على هذا المقعد عدة دقائق.. فسمي هذا المقعد باسمها.

تحدث رافي إلى نظارة جوجل:

- نظارة.. أريد معلومات أكثر تفصيلًا عن مقعد الأميرة ديانا.

صوت النظارة: يقع مقعد الأميرة ديانا وسط تاج محل تمامًا، وأمام مبنى تاج محل بشكل مباشر، وقد زارته الأميرة ديانا في فبراير 1992.

وصل رافي إلى المقعد ليجد جميع الشباب قد وصلوا إلى نفس المكان ليأخذوا الصور التذكارية.

أ/ شهاب: انظروا إلى هذا الشرخ.. إنه يكبر تدريجيًا!

مساعد قائد الحرس على اللاسلكي: شرخ في مقعد الأميرة ديانا.

لكـن بعد دقائق معدودة تحطم مقعد الأميـرة ديانا تمامًا دون انفجار، فقط تحول إلى شذرات صغيرة للغاية من قطع الرخام تشبه حبات الرمال وسط دهشة الجميع!

د/ نبيل: هذا شيء عجيب لم أره من قبل.

د/ مخلص: لا.. هذا شيء مخيف.. كيف يتحول الرخام إلى تراب بهذه السرعة دون انفجار؟!

أ/ شـهاب: معنى هذا أن المايسـترو قد أدخل الجهاز بالفعل إلى تاج محل، وجرب استخدامه في مقعد الأميرة ديانا.

علي: وللأسف نجحت التجربة.

فيصل: ومعنى هذا أن المايسترو موجود هنا في تاج محل.

قائد الحرس: كم كانت المدة الزمنية بين حدوث الشرخ وبين تحطيم المقعد؟

رافي: حوالي خمس دقائق.

بدأ السياح يجتمعون ليشاهدوا المقعد الشهير وقد تحطم، وبدأت حالة من الهياج والاضطراب.

قائد الحـرس: امنعوا التصوير وأغلقوا المربـع المحيط بمقعد الأميرة ديانا فورًا.

لكن تجمع الناس زاد، وحدث زحام شديد في المنطقة.

قائد الحرس: ما هذا الزحام الشديد؟ أنا لا أستطيع أن أحرك قدمي من شدة الزحام!

المساعد: لقد تصادف تحطم المقعد مع حضور أبطال فيلم (Slumdog millionaire)[RB] فــي ذكرى إنتاج الفيلــم، فزاد ازدحام الناس لالتقاط صور تذكارية معهم.

نادى صافي من بعيد:

- ممكن صورة؟ أنا شــاهدت فيلمكم.. أنا صديــق رافي.. أنا جد جدي كان هنديًّا!

نظــر رافــي حوله فلم يجد أي فــرد من أفراد الفريق حولــه إلا الدكتور نبيل، الذي كان خلفه تمامًا. وفجأة شــعر رافي بســخونة في ذراعه الأيمن، وكأن أحدًا يحقنه بمادة ســائلة وســط الزحام. لم يستطع رافي أن يسحب ذراعه بعيدًا لشــدة الزحام، لكن الدكتور نبيــل رأى الحقنة في ذراع رافي، لكنه لم ير الشخص الذي حقن رافي، فقد دس نفسه وسط الزحام.

صرخ الدكتور نبيل:

- اسحب يدك يا رافي!

رافي: أنا غير قادر على تحريك يدي.

وبســرعة خاطفــة أبعــد الدكتور نبيل يــد رافي، فلم يدخل مــن المادة السائلة إلا جزء قليل، واختفى الشخص الذي حقن رافي بين الزحام.

حضن الدكتور نبيل رافي قائلًا:

- هل أنت بخير؟

رافي: نعم وإن كنت أشعر بألم في ذراعي.

د/ نبيل: لا تخف.. هذا من أثر وضع الحقنة في ذراعك، ولكني سحبت يدك قبل أن يدخل السائل.

رافي: أشكرك يا دكتور نبيل.. لقد أنقذت حياتي.

د/ نبيل: أنت ابني يا رافي.. لا بد أن نخبر الشرطة فورًا.

رافـي: لا يا دكتـور نبيل، فقد يكون هدف المايسـترو مـن حقني هو تعطيلنا أو إثارة الفوضى في المكان لينفذ هو مخططه.

د/ نبيل: كلامك صحيح يا رافي.

بدأ رافي يفكر مرة أخرى، وسـأل نفسـه فورًا: ترى أين اختفى الأستاذ شهاب والدكتور مخلص؟ ترى أين هما الآن؟ وماذا يفعلان؟!

خرج رافي والدكتور نبيل من وسط الزحام، فوجدا قائد الحرس أمامهم.

رافي: سيدي القائد، إن الأمر خطير.. أعتقد أنه لا بد من إخلاء تاج محل بالكامل، وإغلاقه فورًا قبل أن ينفذ المايسترو مخططه ويهدم تاج محل.

قائـد الحـرس: لقد قمت بالاتصـال الفوري بوزيـر الداخلية، وهو قام بدوره بالاتصال برئيس الهند.

رافي: وبماذا رد الرئيس؟

قائد الحرس: الرئيس أعطانا مهلة سـاعة واحدة من الآن لإيجاد الجهاز والمايسـترو، فإن لم نصل لأي منهما فالقـرار هو إخلاء تاج محل وإغلاقه بعد ساعة من الآن.

رافـي: إذن لا بـد أن نتحرك فورًا نحو مبنى تـاج محل، فمن المؤكد أن الجهاز سيكون هناك.

وصـل رافي إلى مبنى تـاج محل الرائع، حيث يدخل آلاف السـياح إلى الغرفـة الكبيـرة المدفون بهـا الملك والملكـة، تحت قبة كبيـرة هي القبة الرئيسية لمبنى تاج محل، وهناك وجد رافي كل الفريق في انتظاره.

صافي: ماذا تحت مبنى تاج محل؟

قائد الحرس: تاج محل فوق الماء، وله قواعد خشـبية ضخمة لا تتآكل بفعل المياه.

صافي: معنى هذا أنه إذا سقط تاج محل سأجد نفسي أسبح في الماء؟!

نظرت رامبي إلى صافي بضيق..

فيصل: حتى رامبي غير قادرة على تحمل كلامك.

صافي: هذا الكلب لو كان ذكيًّا فعلًا كان اكتشف الجهاز.

بدأت رامبي تزوم ورفعت ذيلها استعدادًا للهجوم على صافي.

صافي: أنا آسف يا رامبي سحبت كلامي.

فجأة نظر رافي حوله ليرى الدكتور مخلص يخرج عدسـة مكبرة يدقق بها في أسـفل جـدار مبنى تاج محل، كأنه يتأكد من شـيء مـا، لكنه بعد صمت طويل صرخ:

- الجهاز موجود هنا.. الجهاز موجود هنا!

رافي: كيف عرفت؟!

د/ مخلص: أنا خبير آثار، وأعرف ما الذي يحدث عندما يتعرض مبنى ما لمبادئ شروخ، وأنا أرى هنا بداية شرخ لا يظهر حتى الآن إلا بالعدسة المكبرة.

قائد الحرس: أنا لا أرى شيئًا.

د/ مخلص: أنا متأكد مما أقول.. هذا تخصصي وعملي.

بعد دقائق بدأ الشرخ يظهر للعين المجردة، حتى رآه الجميع؛ مما أثار الرعب في صدور الجميع.

أ/ شهاب: لا بد من تصرف فوري.

علـــي: إذن المايســترو نفذ مخططه بالفعل، وزرع الجهاز هنا، وأعطى الأمر بتدمير المبنى.

د/ مخلــص: إذا لم نوقف الجهاز فإن هذا النوع من الرخام ســيتحطم خلال فترة تتراوح بين ربع وثلث ساعة.

رافي: لا بد أن نتحرك فورًا قبل حدوث الكارثة.

أ/ شهاب: لا بد أن نخلي المكان فورًا.. فقد يسقط المبنى على رؤوس السياح.

قائد الحرس: اخلوا المبنى فورًا من السياح بحجة صيانة عاجلة لحجرة المدفــن وامنعوا التصوير.. لكن اســمحوا للجماهيــر أن يبقوا في الحدائق المحيطة بالمبنى.

أ/ شهاب: لا بد أن نوزع أنفسنا في المكان ليبحث كل منا في كل زاوية من زوايا المبنى.

نظر رافي إلى الأستاذ شهاب قائلًا:

- لا.. أفضل أن يتحرك كل شاب منا مع أحد الكبار.

أ/ شهاب: لا وقت لذلك يا رافي، فالدقائق تمر.

هـز رافي رأسـه موافقًـا على مضض، ثـم نظر إلى رامبـي ونزل على ركبتيه، وركز في عيني رامبي.

رافـي: أرجوك يا رامبي.. إذا لم نجد الجهاز خلال ربع سـاعة سـيهدم تاج محل.

اعتدلـت رامبي فـي وقفتها كأنها فهمت كلمـات رافي وأدركت خطورة الموقف، فأخذها رافي وبدأ يتحرك معها يبحث في كل مكان.

بدأ الـكل يتحرك.. الكل يبحث.. الكل ينتفض قلقًـا وخوفًا. بينما كانت الدقائق تمر سـريعًا والشـرخ يزيد تدريجيًّا.. مرت 5 دقائق بلا أي جدوى أو أي أثر.

بدأ رافي يتمتم في تذلل شديد لله: يا رب أتوسل إليك لا تخذلني اليوم.. يا رب احم تاج محل!

ثم بدأ يركز بشدة ليستخدم حاسته السادسة في تحديد المكان، وفجأة وجد أمامه سلالم عليها باب حديد مغلق.

رافي: إلى أين تؤدي هذا السلالم؟

قائد الحرس: تؤدي إلى ممر تحت تاج محل يوصل إلى القواعد الخشبية للمبنى فوق ماء النهر.

تحدث رافي إلى نظارة جوجل:

- نظارة.. أريد معلومات عن قواعد تاج محل!

صـوت النظـارة: قواعد تـاج محل عبارة عـن منصة خشـبية ضخمة، مصنوعة من آلاف الألواح الخشـبية السـميكة، والتي لا تتشـرب الماء أبدًا، واحتاج تكوينها لعدد كبير من السنوات.

رافي: أريد أن أنزل فورًا تحت المبنى.

قائد الحرس: هذا مكان مغلق يستحيل أن يدخل إليه أحد، فلا تضيع وقتك.

رافي: أرجوك لا بد أن أنزل.. حاستي السادسة تحدثني أن الجهاز هناك.

قائد الحرس: احضروا من مكتبي مفتاح السلم السفلي لتاج محل.. هيا تحركوا بأقصى سرعة.

كان القلـق قد بلغ أقصـاه على وجوه الجميع، فقد مرت 5 دقائق أخرى بلا أي نتيجة، وأخيرًا جاء الحراس بالمفتاح ونزل رافي السـلالم إلى مكان شـبه مظلـم تحت المبنى، فأخـرج بطاريته كالعادة ليفاجـأ لأول مرة بأن رامبي تزوم وتنبح بأعلى صوتها، حتى سمع صوتها كل فريق رافي.

أسـرع الجميع إلى أسـفل المبنى ليسـيروا خلف رامبي.. والوقت يمر، فالباقـي مـن الوقت أقل من ثلاث دقائـق. وفجأة توقفـت رامبي أمام لوح خشـبي ضخم للغاية، وفي زاوية تعانقه مع لوح خشـبي آخر توجد فجوة صغيرة تسع بالكاد ليد إنسان ويظهر منها ماء النهر.

رافي: هنا.. أكيد هنا سنجد الجهاز!

علي: لا بد من إيقاف مفعوله فورًا.

فيصل: لكن أين هو؟ أنا لا أرى شيئًا هنا.

د/ زاهر: وأنا أيضًا لا أرى أي أثر لأي جهاز.

زها: أخشى أن تكون رامبي قد أخطأت.

صافـي: لو أخطأ وسـقط المبنى فمـن المؤكد أننا سـنموت في الحال تحت أنقاض المبنى!

ود: أنا خائفة بشدة!

د/ مخلص: أقترح أن نخرج من هنا فورًا، حرصًا على أرواح هؤلاء الشباب.

رد رافي بحدة وهو يحرك بطاريته يمينًا ويسارًا في الظلام:

- أنا لن أخرج من هنا إلا ومعي الجهاز!

د/ نبيل: أرجوك يا رافي لا بد أن تسمع إلى صوت العقل.

قائد الحرس: نعم.. أنا آمركم جميعًا أن تخرجوا من هنا فورًا، فلم يبق إلا دقيقة واحدة.

رافي: أين الأستاذ شهاب؟ أين اختفى؟ هل هو...

فجأة ظهر صوت الأستاذ شهاب:

- أنا هنا يا رافي.

رافي: أين أنت؟

أ/ شهاب: أنا هنا في الماء تحت الألواح الخشبية.

رافي: ماذا تفعل هناك؟

أ/ شهاب: أنا وجدت فتحة واسعة بين الألواح الخشبية هناك بعيدًا، فنزلت منها إلى الماء وسبحت حتى وصلت إلى المكان الذي حددته رامبي.

رافي: سامحني أنا ظننت أنك.. هل وجدت شيئًا؟!

أ/ شهاب: لا، لكن الظلام شديد.. أرجوك أعطني بطاريتك.

مد رافي يده في الفتحة الضيقة بين اللوحين الخشبيين، وناول بطاريته للأستاذ شهاب، وازداد نباح رامبي، واقتربت عقارب الساعة من 15 دقيقة.

حبس الجميع أنفاســهم وهم بين الحياة والموت، وإذ بصرخة الأســتاذ شهاب تهز المكان:

- وجدت الجهاز.. وجدت الجهاز.. إنه مثبت تحت اللوح الخشبي بجوار الفجوة عند نقطة تعانق اللوحين!

قائد الحرس: ناولني الجهاز فورًا.

مد الأستاذ شهاب يده وهي مبللة بالماء وناوله لقائد الحرس.

قائد الحرس: إنه يشبه التليفون المحمول تمامًا.. لكن كيف أغلقه؟ من يفهم في التكنولوجيا جيدًا؟!

د/ نبيــل: أنــا تخصصي التكنولوجيا.. أعطني إيــاه، لا بد من وجود زر يطفأ منه.

وضع الدكتور نبيل يده يتحســس الجهاز، والجميع ينظر بقلق شــديد، وفجأة صرخ الدكتور نبيل:

- هذا هو الزر!

أسرع رافي ووضع يده على الزر وأغلق الجهاز.

صاح الجميع: أطفأنا الجهاز.. الحمد لله.. أنقذنا تاج محل!

تعالــت صيحات الفــرح، وصار الجميــع يعانق بعضهم بعضًا، وســلم الدكتور نبيل الجهاز لقائد الحرس.

صرخ رافي:

- أنقذنا تاج محل.. أنقذنا تاج محل!

الجميع: الحمد لله.. الحمد لله.

رافي: لكن أين المايسترو؟!

عاد الجميع إلى بيت سلمى بين حالة من الفرح بإنقاذ تاج محل، وحالة أخرى من الهم والضيق أنهم بعد كل هذا الجهد لم يصلوا إلى المايسترو.. أحيانًا يشعر الإنسان أنه بذل مجهودًا خارقًا، وسافر بلادًا وتعرض للمخاطر، لكنه في النهاية لم يحقق شيئًا.

كان رافي مهمومًا بشدة لهذه المعاني، ولم يجد أمامه إلا عمته سلمى. لقد كان بداخله سؤال كبير من أسئلة الحياة الصعبة، وكان يحتاج لمن يتحاور معه بانفتاح ليرد على هذا السؤال، فلم يجد سوى عمته سلمى.

رافي: بداخلي سؤال صعب ومحير.. أريد أن أسألك عنه.

سلمى: قل يا رافي.. أنا أسمعك.

رافي: لقد بذلنا كل الجهد لنصل إلى المايسترو، وذهب كل جهدنا بلا فائدة..

سلمى: تسألني كيف تصل إلى المايسترو؟

رافي: لا ليس هذا هو السؤال، لكن أسألك عن القضاء والقدر.. هل نحن مسيرون أم مخيرون؟ هل القدر هو الذي يحركنا؟ أليس الله يعلم كل أفعالنا؟ فهل نحن مجبرون على ما نفعل؟ هل نحن مبرمجون على ما نفعل من خلال «تحكم عن بعد»؟ لم علينا أن نسعى ونحاول مادام الأمر في النهاية محسومًا؟ لم علينا أن نبذل جهدًا؟ بل كيف ستكون لدينا الإرادة لكي نبذل جهدًا؟ لقد ماتت الإرادة.. فماذا بعد؟!

سلمى: يا رافي، إذا فكرنا كذلك فإن كل شيء سيكون مثل مسرحية لا معنى لها.. تمثيلية نحن فيها ممثلون نقرأ من نص أعد مسبقًا دون أن نملك

«خروجًــا» عن النص. وهذا ضد عدل الله وحكمته، فعندما قال تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة»، فإن مقصد الآية واضح، كل ما تسعى إليه ونكسبه بعملنــا وفعلنا واختيارنــا وإرادتنا. وعندما قال: «وقل اعملوا فســيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»، فإن الكلام واضح.. اعملوا ثم اعملوا، فأنتم الذين ترســمون مستقبلكم في الدنيا والآخرة!

رافي: نعم، ولكن أليس الله يفعل ما يشاء، ولا يقع شيء إلا بمشيئة الله؟!

ســلمى: صحيح.. مشيئة الله مسيطرة حتمًا على كل شيء، لكن أحيانًا يترك الله عز وجل مشــيئتنا تفعل وتعمل.. لا لعدم قدرته على «الســيطرة» عليها، بل لأن جوهر وجودنا يعتمد على أن تكون لنا مشــيئة وإرادة وفعل؛ لأن عدله وحكمته يقتضيان أن تكون مشيئتنا فاعلة لنثبت نجاحنا أو فشلنا في «الاختبار».

رافي: ما معنى هذا؟ هل هناك مثال على ذلك؟

سلمى: نعم فمثلًا الآية: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» لكنه لم يشأ ذلك، تركهم يشاءون. لــم يتدخل في مشــيئتهم، فاختــار بعضهم الكفر واختار آخــرون الإيمان. وكذلك الآية: «ولو شــاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون». لم يشأ شيئًا في هذا.. لو شاء ألا يفعلوا لما فعلوه، لكنه ترك الخيار لهم، ترك لهم مشيئتهم. واحد وعشــرون موضعًا في القرآن الكريم اســتخدم فيها القرآن عبارة «لو شاء» فيما يخص الإنسان.. والمعنى أنه «لم يشأ».

أعادت كلمات ســلمى الإيمــان والثقة بنفس رافي، بل إنــه حمد الله أن جعل له إنسانًا يسمعه ويجيب على أسئلته دون غضب أو صراخ.

لكـن الصمـت كان لا يزال يخيـم على الفريق؛ فقد انتهـت مهمتهم في الهند بلا نتيجة، ولم يعد هناك معنى لاستمرار البقاء في الهند، فرغم إنقاذ تاج محل والوصول إلى الجهاز الذي تحفظت عليه السلطات الهندية، إلا أن رافي ورفاقه فشـلوا في الوصول إلى المايسترو وأي خيط يوصل إليه، فما عاد هناك معنى للبقاء في الهند، فجاء القرار بالعودة إلى مصر.

وفـي مطار دلهي كان رافي يحتـاج أن يفتح قلبه لصديقه علي بما في نفسه، فقال له:

- تعرف يـا علي.. أنا ظلمت الأسـاتذة الثلاثة، وظننـت بهم ظن خطأ أن أحدهم هو المايســترو، لكن الآن زال الشـك تمامًا، وتأكدت أنه لا يمكن أن يكون المايســترو هو أي منهم. لأول مرة تخونني حاســتي السادسة.

علي: وكيف تأكدت أنه ليس أيًّا منهم هو المايسترو؟

رافي: لسـبب بسـيط، هو أن كلًّا منهم فعل شـيئًا غير عادي.. الدكتور نبيل أنقذ حياتي، والأسـتاذ شـهاب الذي خاطر بنفسه حتى اكتشف مكان الجهاز، والدكتور مخلص هو الذي حدد مكان الشـرخ، ولكن الأهم من كل ذلـك والدليل الأكبـر على براءتهم أنهم جميعًا كانـوا معنا تحت المبنى في لحظـات بيـن الحياة والمـوت، ولا يمكن لو كان أحدهم هو المايســترو أن يعرض نفسه للموت ليتابع خطواتنا.

علـي: كلامك منطقي يا رافي، ولكن هكذا المسـألة تعقدت أكثر.. فمن هو المايسترو؟

رافي: هذا السؤال صار أصعب سؤال في حياتي.

وجد رافي نفسه يشكر الدكتور نبيل والدكتور مخلص والأستاذ شهاب، فكل منهم كان له فضل كبير في إحباط خطة المايسترو.

وقبل الصعـود إلى الطائرة كانت هناك لفتة لطيفـة من وزير الداخلية الهندي، فقد حضر لوداع رافي ورفاقه ومعه قائد حرس تاج محل.

وزيـر الداخلية: أنـا مكلف من رئيس الدولة أن أشـكركم باسـم الهند حكومةً وشعبًا، وأن أقدم لكم وسام الدولة من الدرجة الأولى لجهودكم في إنقاذ تاج محل.

قائد الحرس: وأنا معي هدية لك يا رافي.

رافي: ما هي؟

قائـد الحرس: رامبي كلبة شـديدة الـذكاء، ومدربة تدريبًـا عاليًا، وقد تعلقت بك بشـدة.. سـتكون هدية لك، وسـنتولى توصيلهـا إليك في محل إقامتك بمصر.

وبعد لحظات من التهاني والصور التذكارية، طلب رئيس الشـرطة من رافي أن يحدثه في موضوع خاص.

قائد الحرس: هنـاك موضوع مهم يجب أن تعرفه يا رافي، وأحببت أن يكون بيني وبينك.

رافي: وما هو؟

قائد الحرس: لقد كشـف تحليـل المعمل الجنائـي أن الجهاز تم إلغاء مفعوله بالريموت كنترول المتحكم فيه، بمجرد نزولنا إلى أسفل مبنى تاج محل، أي قبل أن يصل الأستاذ شهاب إلى الجهاز بدقائق قليلة.

رافي: لكن الزر كان مفتوحًا حتى أغلقته بنفسي!

قائد الحــرس: صحيح كان الزر مفتوحًا، لكن الجهاز تم فصل مفعوله بالتحكم عن بعد قبل أن تصلوا إليه بدقائق.

رافي: هذا كلام خطير.

قائــد الحــرس: هذا يعنــي أن المايســترو كان يعلم بــكل خطوة كنتم تخطونها.

رافي: أو يعني أن المايسترو كان معنا، وخاف أن يموت، فأبطل مفعول الجهاز في اللحظات الأخيرة!

تحركــت الطائرة ليعود الجميع إلى مصر، لكن رافي طوال الطريق كان فــي حالة صمت، فلقــد كانت هذه هي المرة الأولى التــي يحدث فيها رافي نفسه أن المايسترو هو..

أرض الرملـيـــة

– 1 –

عاد رافي إلى قريته بطن النعمة. لقد اكتشف بعد رحلته إلى الهند معنى الحنين للوطن.. اكتشــف أن الوطن يسري في دمائنا ونحن لا ندري، حتى إذا فارقناه اشتقنا إليه حتى نعود إليه مرة أخرى ليسري فينا ويسري بنا.

كان أول شــيء فعله عندما وصل إلى قريته أن ذهب إلى أرض الرملية، الأرض التــي اكتشــف ســرها وعرف خطــورة رمالها. وقف رافــي يتأملها طويلًا، فمن أجل هذه الأرض كانت رحلته ورحلة أبيه وجده في الحياة، ثم ذهب إلى هرم سنفرو ودخل المعبد الجنائزي، وظل يتأمل اللوحة المنحوتة على جدران المعبد، وركز نظره على المايسترو وعصاه التي يشير بها إلى الفرقة الموســيقية الفرعونية. كانت لحظات تأمل عميقة، وكأنه يستعرض شريطًا طويلًا لرحلته التي لم يحقق ما كان يتمناه منها.

وجد رافي نفســه مشــتاقًا لأن يتجول في شــوارع القرية. زار المزرعة، مزرعــة عائلة بركات، ومر على مســجد القرية. كان مشــتاقًا للقاء الشــيخ ســالم، ذلــك الرجــل الذي جعل رافــي يدرك معنــى جديدًا لم يكــن يعرفه مــن قبل عن الدين. إنــه نوع جديد مــن التدين لا يعرفه أغلــب المتدينين. إنه التدين الإنســاني والفقه الإنســاني والقرآن الإنساني. ببساطة كان ذلك

هو الإسـلام الذي تعلمه رافي من الشـيخ سـالم، والذي لا يعرفه كثير ممن يسـمون أنفسـهم متدينين. أما بهلـول فقد دمعت عينـاه عندما رأى رافي قادمًـا من بعيد. لقد تخلى بهلول هذه المرة عن تصرفاته البهلوانية، وكأن قلبه أصبح في هذه اللحظة عقلًا باطنيًّا يتحكم في عقله الذي فقده أو الذي يظن الناس أنه فقده.

كل هذه المشـاهد كانت تحرك مشـاعر رافي بقـوة، وتزيد حنينه لبلده ولأهـل بلـده، حتى وقعت عينـاه على المقهى فعـادت إليه أحزانـه.. إنهم مازالوا جالسـين كما هم، والشيشـة في أيديهم يراقبون الدخان المتصاعد من أفواههم، وربما حتى لم يغيروا أماكنهم. لقد سافر رافي وعاد وهم كما هم على المقهى، كل شـيء في الكون يتحرك ويتغير وهم كما هم. الشمس تجري والقمر يمضي والليـل يطوي النهار وهم كما هم، حتى خلايا الوجه تموت وتتجدد.. وهم كما هم.

سـأل رافي نفسه: ماذا لو قرر هؤلاء أن يعملوا في كل يوم 10 ساعات؟ لكـن مـاذا يعملون وهم بلا عمل؟ إذا كانوا بلا عمل فماذا لو قضوا العشـر سـاعات في تعلم شـيء جديد؟ حرفـة أو مهنة أو لغة أو مهـارة أو باعوا واشتروا أو أنشأوا مشروعًا صغيرًا يتعاونون فيه سويًّا، أو تطوعوا في عمل خيـري حتى يجيدوه، أو قبلوا عملًا مهما كان صغيرًا أو في نظرهم مهينًا، فمـا بعث الله نبيًّا إلا ورعى الغنم.. المهم أن يعملوا سـاعات وسـاعات كل يوم، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

بعد جولة طويلة في القرية، عاد رافي إلى بيت عمه. كان أيضًا مشـتاقًا لعمه، فمهما حدث فهو عمه، لكن عباس اسـتقبل رافي اسـتقبالًا باردًا. لم يكن عباس يتصـور حجم التطور الذي وصل إليه رافي، فإن قانون الحياة

يأبـى إلا أن يكافئ المجتهديـن المكافحين، فيتعلمون في ســنة ما يعرفه غيرهم في عشرين سنة.

ألزم نفســه اختياريًا أن يصل رحمه ويبر عمه، ويصبر عليه مهما لقي من سوء المعاملة، فهو يعامل الله قبل أن يعامل عمه. أما أحمد الحوت فهو أيضًــا كما هو، مازال يلتهم فطائر النابالم، ومازالت أمه تقضي أغلب وقتها أو قــل عمرها في المطبخ تعد له الفطائـر. أدرك رافي مدى الفارق الكبير بين أن يعيش الإنسان وهو يدرك أنه خليفة مسئول عن الأرض يصلح فيها قــدر طاقته، وبين أن يعيش فقط ليعيش. فهناك أناس يتطورون يومًا بعد يـوم بإصرارهــم نحو هدف يحققونه فــي الحياة، وهناك أنــاس تبقى في أماكنها من الميلاد وحتى الوفاة.

فــي هذه الأثناء جاءت رامبي الكلبة المهداة لرافي من الشــرطة الهندية بعد أن أنقذ تاج محل؛ فجعلها رافي تحرس البيت المهجور بيت والديه. لم يفهم أحد لماذا اختار رافي ذلك، لكنه كان يرسل رسالة مؤدبة لعمه أن هذا البيت بيت أبي وملكي أنا، ولذلك ســأكون أنا المســئول عن حراسته. وفهم عمه الرســالة، لكنه مازال مصرًا أن يبقى ميراث رافي وعمته سلمى معلقًا، وهو لا يدري أن تعليق حق الأبناء والنســاء في الميراث من أكثر ما يغضب الله؛ لأنه يشبه عملية تحد لإرادة الله، لكن عباس لم يكن يدرك ذلك.

ظل رافي أيامًا وأيامًا لا يغادر غرفته إلا إلى المزرعة. لا يشــغل تفكيره إلا شــيء واحــد، وهو التأكد من شــخصية المايســترو. فقد بدأت حاســته السادسة منذ اللحظات الأخيرة في تاج محل تدفعه نحو شخص محدد أنه هو المايسترو، لكنه يحتاج إلى دليل قوي يؤكد حاسته السادسة.

ففي الهند كانت لديه شكوك أن المايسترو قريب شديد القرب منه ومن فريقـه، وإلا كيف عرف تفاصيل تحركات الفريق في كل خطوة إلا إذا كان قريبًا منهم بشدة؟! كانت شكوكه تتجه نحو رجل من ثلاثة: الأستاذ شهاب، أو الدكتـور نبيل، أو الدكتور مخلص. صحيح أن الثلاثة سـاعدوه وأنقذوه ووقفوا بجانبه، لكن هذا لا يمنع أن يكون.. هو المايسترو! لكن أين الدليل؟!

مـرت أيام وأيـام ورافي يقضي السـاعات الطويلة في حجرته يمسـك بورقـة وقلم، يحاول أن يفك شـفرة اسـتحال على الجميع حتى الشـرطة التوصل إلى رموزها.

لكـن رافي لا يعرف كلمة في الحياة أكبر من كلمة الإصرار ثم الإصرار؛ فقـرر عدم التوقـف عن البحث. وهكذا يحـب الله أن يرى عبـاده، وأحيانًا يتركهم يبحثون ويبحثون حتى يستنفدوا طاقاتهم، ثم يكشف لهم بقدرته، وبشكل بسيط للغاية، وبأهون سبب ما أمضوا فيه شهورًا طويلة من العرق المتواصـل ولم يصلـوا فيها إلى نتيجـة. وما ذلك إلا ليعلمهـم معنى مهمًّا وجميـلًا، ألا وهـو: عليكم بالجهـد وعلينا النتائج. ابذل جهـدك، لكن تذكر أن جهدك سـيوصلك لكن بمعرفـة من الله، فلا تنـس أن ربك قدر جهدك، والأهم ألا تنســى أنه معك يعينك ويفتح لك الأبواب المغلقة عندما تسـتنفد كل جهدك وطاقتك.

هـذا ما حدث تمامًا مع رافـي، فبعد أن بذل كل جهـده جاءته الحقيقة تهرول وتسـعى إليه بعد أن كان هو الذي يسـعى إليها، لكنه لولا سعيه لما سـعت إليه، ولولا هرولته لما هرولت إليه، ولولا سـفره إلى الهند بحثًا عنها لما جاءت هي بين يديه.

فـــي ليلة من الليالي قرر رافي أن يذهب إلى بيت والديه، وكعادته أخفى مفتاح الجـراج، وأخذ معه بطاريته وخرج في ظلام الليل حتى دخل البيت وأضاء بطاريته. لم يكن يريد شـيئًا أو يبحث عن شـــيء. فقط إنه البر.. إنه الحب.. إنه الشـوق لوالديه. كانت الذكريات هـــي التي تدفعه دفعًا من أجل أن يجد أي شـــيء يذكره بوالديه، ربما تذكار قديم أو ربما ألبوم للصور أو سـبحة أو أي شـــيء.. ليس المهم ما هو، كان المهم فقط عند رافي هو أن يشعر بدفء الذكريات مع أبيه وأمه.

دخل حجرة النوم وضوء البطارية يخترق الظلام، ثم فتح دولابًا صغيرًا كان مراد وليلى يضعان به الأشياء الخاصة بهما جدًّا والغالية عليهما. وجد أمامــه ألبوم صور، فأخرجـه رافي وجلس على ســرير والديه، وظل يقلب صفحات الألبوم بيد ويمســك البطارية بيده الأخرى. كان يتأمل كل صورة ويبتســم، وربما يتحدث مع الصورة ويكلمها ويسترجع تفاصيل حدوثها. كانــت الصور كلها صور شــخصية للعائلة ولأصدقاء العائلــة. كان معجبًا بدقة تنظيم الألبوم، فكل صورة تحتها تاريخ التقاطها وربما تعليق عليها. وجد صورة لوالده مع جده بركات الكبير وعمته ســلمى وعمه عباس.. إنها صورة عائلية رائعة. ووجد صورة أخرى لوالده مع الدكتور نبيل والأســتاذ شهاب والدكتور مخلص ومكتوب تحت الصورة: «مع الأصدقاء الثلاثة سنة 2010».

طــوى رافي صفحــة الألبوم إلى الصفحــة التالية، لكنــه فجأة انتفض من مكانه كأنها لدغة ثعبان غرس ســمه في لحــم رافي؛ فقفز رافي وأعاد الصفحة وظل ينظر إلى صورة والده مع الأصدقاء الثلاثة وبدأ يصرخ:

- لا يمكن.. لا يمكن.. لا أكاد أصدق ما أرى!

أخـذ يركز البطارية أكثر ويقربها أكثر مـن الصورة. كان يريد أن يرى تفاصيل الصورة أكثر وأكثر، فعاد يكرر وهو يتصبب عرقًا:

- مستحيل.. معقول ما أراه؟!

أخـذ رافي الصورة ووضعها في جيبه، وأغلق الألبوم وأعاده إلى مكانه، وعاد بسـرعة إلى بيت عمه. كان مصدومًا.. كانت دموعه غزيرة، وكان قلبه يرجف بشـدة، فقد جاءت الحقيقة تسـعى إليه بعد أن بذل الجهد الرهيب ليصل إليها، وكانت الدهشـة تسـيطر عليه.. فيا لعجائب القدر كيف يكون الدليل عند أبيه وفي بيت أبيه وبتعليق كتبته أمه!

كانت دقات السـاعة تشير إلى الواحدة صباحًا. ظل رافي يراقب عقارب الدقائـق والثواني ينتظـر الصباح، ومع أول ضوء للشـمس جرى إلى بيت علي وزها.

رافي: علي.. زها.. انظرا إلى هذه الصورة.

علـي: ماذا بك يا رافي؟ أنت لم تنم ليلة أمس.. تبدو مرهقًا للغاية.. هل أنت بخير؟

رافي: أرجوك.. فقط انظر إلى هذه الصورة وركز فيها.

علي: ماذا بها؟ إنها صورة لوالدك مع الأسـاتذة الثلاثة.. ثم إنها صورة قديمة من عام 2010.

رافي: هذه الصورة هي مفتاح كل شيء.

علي: مفتاح ماذا؟ أنا لا أفهم ماذا تريد؟ إنها مجرد صورة عادية.

رافي: ألا يلفت نظرك شيء في هذه الصورة؟

علي: شيء مثل ماذا؟ أبوك مع أصدقائه جالسين، وخلفهم مكتبة على أرففها بعض التحف والأنتيكات و...

رافي: انظر فوق آخر رف على يمين الصورة.. إنها عصا مايسترو ومعها نوتة موسيقية. انظر جيدًا إلى العصا.. إنها صورة طبق الأصل من العصا المرسومة في المعبد الفرعوني!

زها: فعلًا إن العصا تشبه تمامًا صورة العصا المرسومة على اللوحة الفرعونية!

علي: وماذا في ذلك؟ قد تكون هذه مجرد صدفة أن صاحب المكتبة أعجب بهذه العصا، أو قد تكون أهديت إليه كتذكار.

رافي: لو كان الأمر متوقفًا على العصا فقط لقبلت كلامك.. لكن انظرا جيدًا في الصورة.

علي وزها: أين؟ أين؟

رافي: انظرا في الصورة بجوار العصا، يوجد ورقة صغيرة مربوطة بخيط صغير في العصا.

علي: نعم هناك ورقة صغيرة، لكن لا يمكن قراءتها في الصورة.. كيف قرأتها أنت يا رافي؟ وكيف رأيت الخيط الدقيق الذي يربط الورقة بعصا المايسترو؟

رافي: أنا لا أعرف كيف قرأتها، لكنني شعرت أن عيني صارت عدسة مكبرة ترى الكلمات بوضوح تام.

زها: أنا لدي عدسة مكبرة.. سأحضرها لأقرأ المكتوب على الورقة.

أحضرت زها العدسة وقالت:

- الخط صغير للغاية.

رافي: أنا سأقرأها لكم.

علي: نعم هذا أفضل.

رافي: مكتوب: «لا بد للمايسترو أن يسيطر على العالم».

علي: معقول المايسترو بهذه السذاجة ليترك شيئًا خطيرًا هكذا يظهر في الصورة؟

رافي: الصورة قديمة قبل قتل أبي، وبالتالي فهي هواية قديمة له، وما كان يشعر في ذلك الوقت أنها ستكون سببًا في كشفه. ثم إن علم النفس يقول إن أي حلم كبير لا بد أن تكتبه وتضعه أمامك دائمًا ليبقى ذهنك حاضرًا ومنشغلًا به حتى تحققه، وهذا بالضبط ما فعله المايسترو.. كتب حلمه في ورقة وربطها بشيء رمزي يذكره دائمًا بالهدف..عصا المايسترو.

علي: ماذا تقصد من كل ذلك يا رافي؟

رافي: أقصد أن المايسترو هو أحد الأصدقاء الثلاثة الذين وثق بهم أبي.. إما الأستاذ شهاب، أو الدكتور نبيل، أو الدكتور مخلص.. وهذا ما يؤكد حاستي السادسة.

علي: وماذا كانت حاستك السادسة تقول؟

رافي: حاستي السادسة من يوم تاج محل تقول إن المايسترو هو واحد منهم.

زها: هذه الصورة تشير إلى أنها أخذت في مكتب وليس في بيت؛ فالأثاث الموجود بالصورة أثاث مكتبي.

رافي: هذه ملحوظة مهمة يا زها.

علي: لكن كل هذا لا يكفي كدليل.. ثم كيف ستعرف من هو المايسترو من بينهم هم الثلاثة؟!

رافي: لذلك لا بد أن أسافر فورًا إلى القاهرة.

علي: وماذا تفعل في القاهرة؟

رافي: لا بد أن أذهب إلى كل واحد منهم بشكل مفاجئ، وأستغل عامل المباغتة لأتأكد من الحقيقة.

علي: كيف يا رافي؟

رافي: لا بد من المواجهة وجهًا لوجه.. ولا بد من الحوار عقلًا أمام عقل. أغلب الناس يا علي تخاف المواجهة والحوار، وهي لا تدري أن هذه هي أفضل وسيلة لكشف الحقائق. الحوار يجعل الأذن تسمع والعقل يفهم والقلب يدرك ويحس، ومن هذه الخلطة تظهر الحقائق.

علي: لا يا رافي هذا خطر عليك.

رافي: هذه هي الفرصة الأخيرة يا علي.

علي: كيف ستبرر سفرك لعمك؟

رافي: ليس هذا هو المهم الآن.. فقط أريد منك أن تتصل بالمقدم باسل وتخبره بموضوع الصورة ليراقب ما يحدث عن قرب.

وهكذا انطلق رافي يبحث عن أول وسيلة مواصلات تأخذه إلى القاهرة.

كان رافي طوال الطريق مشغولًا بإيجاد أي خيط يوصله لتحديد شخصية المايسترو من بين الأساتذة الثلاثة، وبدأ يركز مستخدمًا ذاكرته

غير العادية ليستعرض تصرفات الأساتذة الثلاثة أمام عينيه، كأنها شريط فيديو يسجل لحظة بلحظة كل الأحداث.

قرر رافي أن يبدأ بزيارة الأقرب فالأقرب إلى محطة وصوله القاهرة، فبدأ بالدكتور مخلص بمنطقة الهرم، الذي فوجئ بحضور رافي إليه في هذا الوقت المبكر من الصباح، فلم تكن الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف صباحًا، وإن كان قد رحب به كثيرًا، لكن بقي بداخله تساؤل عن سبب الزيارة المفاجأة، فاستثمر رافي هذه المفاجأة ليسأله بشكل مفاجئ أيضًا:

- تعتقد من هو المايسترو يا دكتور مخلص؟

د/ مخلص: لا أدري يا رافي، ولا أريد أن أفكر في هذا الموضوع. أنت تعرف مبدئي، أنا رجل عالم آثار وحسب، ولا أريد مشاكل في حياتي.

رافي: لكنك مع ذلك ساعدتني كثيرًا.. فلم تفعل شيئًا ضد مبادئك؟

د/ مخلص: صحيح أنا ساعدتك، ولكن فيما له علاقة بعلم الآثار فقط لا غير. أما مغامراتكم فلم أكن أبدًا طرفًا فيها.

رافي: ولماذا حضرت معنا إلى الهند؟ ألم تكن هذه مغامرة؟

د/ مخلص: أنا تصادف وجودي معكم في الهند لحضور مؤتمر علمي عن آثار مصر والهند، وكان في نفس وقت سفركم.

رافي: هذا ما قلته أنت يا دكتور!

د/ مخلص: لا هذا ما تقوله ورقة الدعوة الرسمية التي أرسلت إلي من الهند يا رافي.

أخرج الدكتور مخلص من درج مكتبه ورقة الدعوة، فإذا هي كما قال لرافي في نفس التاريخ.

رافي: سامحني يا دكتور إذا قلت لك إنك دائمًا تظهر أنك تخاف من المشاكل.. لماذا لا تكون هذه طريقة منك لإخفاء شخصية المايسترو؟

د/ مخلص: الله يسامحك يا رافي! كيف تقول ذلك وأنا الذي قدمت لكم أول خيط عن المايسترو يوم أخبرتكم باللوحة الفنية الموجودة بالمعبد الجنائزي بهرم سنفرو؟ أنسيت هذا يا رافي؟!

كان رافي ينظر في وجه الدكتور مخلص يتأمله بعمق شديد. لم يكن كلام الدكتور مخلص فيه تناقض أو اضطراب. كان سلسًا ومنطقيًا، حتى قسمات وجهه كانت مرتاحة هادئة.

خرج رافي من عند الدكتور مخلص وهو مطمئن أنه ليس هو المايسترو، وبذلك انحصرت شكوك رافي بين الأستاذ شهاب والدكتور نبيل.

لم يكن رافي يدري بمن يبدأ؛ فقرر أن يذهب إلى الأقرب من المكان الذي هو فيه، فكان مكتب الدكتور نبيل بمنطقة الزمالك. أما الأستاذ شهاب فأجل زيارته للغد، لبعد مكان مركز القدرات غير العادية الذي يديره الأستاذ شهاب.

وصل رافي إلى مكتب الدكتور نبيل في حدود الساعة العاشرة صباحًا. دق جرس باب المكتب، لم يكن الدكتور نبيل قد وصل بعد. أدخل السكرتير رافي إلى غرفة المكتب لينتظر بها حتى يصل الدكتور نبيل.

أخرج رافي الصورة من جيبه محاولًا أن يجد أي علاقة بين شكل المكتب الموجود بالصورة والمكتب الذي يجلس فيه؛ فلم يجد أي علاقة، فالمكتب الذي في الصورة كلاسيك، بينما المكتب الذي يجلس فيه حديث مودرن بكل معاني الكلمة.. ظل رافي حائرًا مترددًا.

كان الصمت يحيط بكل جزئيات المكان. كان كل شـيء ينتظر إجابة.. كل شيء يترقب حتى الجماد بالمكتب، كتم أنفاسه منذ وصول رافي، فزاد المكان صمتًا على صمت. غير أن رافي بحواسـه اليقظة وسط هذا الصمت الرهيب سمع شيئًا يدق دقات منتظمة. قد تكون دقات ساعة، لكن لا يمكن لدقات السـاعة أن تكون مسموعة هكذا. هل هذا الصوت مجرد دقات ساعة وأذنه هي الحساسة للغاية؟ أم إن هناك شيئًا آخر يصدر هذا الصوت؟

بدأ رافي يبحث عن مكان الصوت. نظر حوله في المكتب لكن لا أثر لهذا الصـوت. فكر أنه ربما يكون الصوت صـادرًا من أحد أدرج المكتب. حاول فتـح الأدراج لكنها كانت مغلقة بالمفتاح. اقتـرب بأذنه من أدراج المكتب، لكنه تأكد أن الصوت ليس مصدره المكتب.

بدأ يتجول داخل الحجرة.. كان يشعر أن هذا الصوت له أهمية ما، لكنه لا يعرف ما هي هذه الأهمية.. فقط قادته حاسته السادسة للبحث والإصرار علـى إيجاد مصدر الصوت. فجـأة أدرك أن الصوت ليـس قادمًا من داخل حجـرة المكتب، وإنمـا الصوت قادم من حائط من حوائـط الغرفة. اقترب بأذنه من الحائط، وألصق أذنه على الحائط، فتأكد أن الصوت قادم من قلب هذا الحائط.. لكن كيف وما هو هذا الصوت؟

أخذ رافي ينظر في كل مكان حول هذا الحائط، فلمس بأصابعه الحائط الأملس، ومرر كف يده عليه، ففوجئ أن الحائط يهتز قليلًا، وأنه ليس حائطًا ثابتًـا. حاول دفع الحائـط بكلتا يديه فلم يتحـرك. أدرك أنه يجب التعامل مـع هذا الحائط بذكاء وليـس بعنف. تذكر رافي أن الدكتور نبيل خبير في التكنولوجيـا، وبالتالـي فمن المؤكـد أن هذا الحائط لن يتحـرك إلا بوجود سنسـور في مكان ما، فإذا تحركت اليد أمام هذا السنسـور سيفتح الباب.

بدأ رافي يحرك يديه يمينًا ويسارًا في الاتجاهات المختلفة.. كان متأكدًا أن هذا الباب له كود معين مرتبط بسنسـور يؤدي إلى فتح الباب، حتى جاءته فكرة غريبة، وهي أن يتخيل أن هذا الحائط باب عادي، وأن له مفتاحًا، وأن معه هذا المفتاح، وما عليه إلا أن يتخيل أنه يضع المفتاح في موقع مقبض الباب ويديره وعندها سـيفتح بلا مشاكل. نفذ رافي فكرته الخيالية، فكان هذا بالفعل هو الكود السري، فإذا بالحائط ينفتح أمامه كأنه باب طبيعي. فـي هذه اللحظة أدرك رافي كذلك أن الدكتور نبيل شـخص غير عادي في اسـتخدام الخيال مـع التكنولوجيا التي هي تخصصه، وعندها سـأل رافي نفسه: ما الذي يخفيه الدكتور نبيل في هذه الحجرة؟ ولماذا هذه التأمينات الكبيرة؟

دخـل رافي الحجـرة وهو في قمـة الاندهاش، ليجد أمامـه على مكتب صغيـر داخـل الحجرة جهازًا صغيـرًا كان هو مصدر الصـوت. قلب رافي الجهـاز، ولـم يعرف ما هـو هذا الجهاز. أخـذ رافي يتأمل الحجـرة.. إنها حجرة صغيرة، لكنها حجرة العجائب، فجميع الحوائط عليها لوحات فنية، وكل ركن من أركان الحجرة به آلة موسيقية.

أدرك رافــي أن هذه الحجـرة هي صومعة الهوايـات الخاصة بالدكتور نبيل، والتي تؤكد أن سلوكيات المايسترو طوال الفترة الماضية منطقية مع شخصية الدكتور نبيل كما تظهر الآن. ظل رافي ينظر إلى اللوحات المعلقة علـى الجدران حتى وجد أمامه اللوحة الفرعونيـة.. يا لها من مفاجأة! إنها اللوحة الأصلية وليسـت المـزورة، وبالفعل قلبها رافي ليجـد مكتوبًا على اللوحة من الخلف إمضاء المايسترو، ومكتوب بجوار اسمه: «رمال تسيطر على العالم».

هذه هي اللوحة التي اختفت من معرض اللوحات الفنية.. فعلًا الدكتور نبيل كان معنا يومها.. أخذ رافي اللوحة من مكانها وأخذ يتأملها وهي بين يديـه، لكنه أحس أن أصابعه تلمس شـيئًا تم إخفـاؤه بين اللوحة والبرواز المحيط بها. حاول رافي أن يسـتخرج هذا الشيء بسرعة قبل أن يشعر به أحد فلم يقدر، فوجد سـكينًا صغيرًا في الحجرة، فاستخدمه ليحدث خدشًا بسيطًا في اللوحة ليستخرج الشيء الموجود هناك.. وبالفعل أخرجه رافي ليجد مفاجأة كبرى! لقد كان الشيء المخبأ هو الشريحة! نعم إنها الشريحة المصنعة من أرض الرملية..

بـدأت كل الأحـداث تتداعى أمام عينيـه.. نظر مرة أخـرى إلى الجهاز. حاول فتحه فإذا به مكان سـري بداخله توضع الشريحة.. أدخل الشريحة فدخلت في الجهاز.

أخذ رافي اللوحة بيده اليمنى والجهاز بيده اليسرى، وظل ينظر إليهما، وبـدأت كل أحداث الماضي تمر فلاش باك أمامه ويربطها ببعضها، ليفاجأ بصوت يأتيه من على باب الحجرة:

- ماذا تفعل هنا يا رافي؟!

ارتبك رافي.. إنه الدكتور نبيل.. وصمت لحظات من هول المفاجأة..

د/ نبيل: أقول ماذا تفعل في حجرتي يا رافي؟

رافي: أنت المايسترو يا دكتور نبيل.. عرفتك أنت المايسترو!

د/ نبيل: نعم يا رافي أنا المايسترو.

رافي: أنت الذي قتلت أبي، وأنت الذي قتلت الدكتور جامشـيد والعلماء الثلاثة!

المايسترو: أبوك كان عنيدًا، مع ذلك لم أنو قتله.. أردت فقط تحذيره ليبعد عن طريقي. أما الدكتور جامشيد والعلماء الثلاثة فهذه هي اللعبة، إما أن تقتلهم أو يقتلوك. إن لم أقتلهم أنا كانوا سيقتلونني هم. هذه اللعبة لا تسمح للجميع أن يعيشوا. الأجرأ على القتل أولًا هو الذي يفوز.. هو الذي يعيش.

رافي: ولماذا كل هذا؟

المايسترو: من أجل الحلم الذي أحلم به.. السيطرة على المعلومات والأفكار في العالم.. الموضوع يساوي ملايين الملايين من الدولارات.

رافي: ولماذا كشفت نفسك ووضعت أسرار أرض الرملية على لوحة فنية؟ ولماذا وضعت تفاصيل خطة الوصول إليك في لعبة (Sand Game)؟!

المايسترو: المال وحده لا يمتع الإنسان الذكي، لكن المتعة الحقيقية في تحدي عقول الأذكياء، ثم تقهرهم بذكائك حتى تحقق غرضك. فأنا المايسترو وأعشق منذ طفولتي دور المايسترو الذي يحرك الجميع كيف يشاء بحركة بسيطة من عصاه السحرية.. هكذا كنت أفعل مع الجميع.

رافي: لكني عرفتك واكتشفت حقيقتك، وسأمنعك أن تحقق غرضك.

المايسترو: لقد قهرتني يا رافي.. نعم قهرتني بإصرارك. أنا تمكنت من خداع الأذكياء، لكنك بإصرارك عوضت الفارق، بل سبقت بإصرارك ذكاء الأذكياء. أنت أثبت أن العمل الجاد أقوى من الذكاء.

رافي: وكيف استطعت أن تخدع جدي وأبي عندما قلت لهما إنك تعمل في الشركات التي تشتري أرض الرملية لمعرفة سرها، بينما كنت أنت المالك الحقيقي لهذه الشركات؟

المايسترو: هذا خطأ أبيك وجدك اللذين لم يبحثا جيدًا وراء هذه الشركات، ولو بحثا بإصرار وجدية لاكتشفا أمري كما اكتشفته أنت، ولو بحثا جيدًا لوصلا إلى الحقيقة الكاملة.

رافي: وما هي الحقيقة الكاملة؟!

المايسترو: الحقيقة الكاملة أن خواص رمال أرض الرملية لها وجهان للاستخدام: أحدهما في الشر للسيطرة على أجهزة الحاسب الآلي في العالم، والآخر للخير وهو أن أرض الرملية يمكن أن تكون أكبر مولد للطاقة الشمسية في العالم بها، يمكن أن تكون هذه الأرض الصغيرة هي التي تزود العالم كله ولمدة 50 سنة قادمة بكل احتياجاته من الطاقة الشمسية.

رافي: لعل هذا هو السر الذي عرفه جدي يوم أن سماها بطن النعمة!

المايسترو: هذا صحيح.. أنت كنت كثير الشبه بجدك في إصرارك.

رافي: ولماذا كنت تساعدني بنصائحك التي مكنتني من معرفة الحقيقة؟!

المايسترو: الحقيقة أني لم أساعدك أبدًا إلا عندما كنت أتيقن أنك ستصل لا محالة إلى الحقيقة، فعندما ساعدتك في الوصول إلى إدريس سائق أبيك كنت أرى من طريقة عملكم كفريق عمل واحد ومن إصرارك الشديد أنكم ستصلون إليه، فكان الذكاء يحتم علي أن أدلكم عليه بنفسي؛ لأبعد أي شبهة توجه إلي، ثم أسعى لأجعله يهرب من مكانه بعد ذلك، لكنكم وصلتم إليه.

رافي: ولماذا أنقذت حياتي في تاج محل من الحقنة القاتلة؟ ألست أنت الذي دبرت هذه الحقنة؟

المايسترو: نعم أنا الذي دبرتها لأحدث لك ارتباكًا شديدًا، ولأحدث ضجة حولك، ولأصرف الأنظار عن موعد ومكان تفجير تاج محل، لذلك قلت لك لنخبر الشرطة فورًا، لكنك كنت ذكيًا فرفضت وقلت لي: «لا.. فقد يكون هدف المايسترو من حقني هو تعطيلنا أو إثارة فوضى في المكان لينفذ هو مخططه».. وهذا ما كنت أخطط له فعلًا.. ألم أقل لك قهرتني بإصرارك؟!

رافي: لكن لماذا لم تقتلني بالفعل في تلك اللحظة وتنتهي من الأمر؟!

المايسترو: لماذا يظن الناس أن الشر مطلق أو أن الخير مطلق؟ أنا لم تطاوعني نفسي أن أقتلك يا رافي، فأنت كنت تكسب احترامي وإعجابي في كل موقف وأنت تفك شفرة الألغاز المخيفة التي وضعتها في طريقك.. ثم في النهاية أنا إنسان.

رافي: أي إنسان تتحدث عنه وأنت تريد أن تنهب أرضًا ليست ملكك؟ تأخذ خيراتها وتترك أهل بلدنا في فقرهم وجهلهم وهم أصحاب الكنز الحقيقي! أين رحمتك بهؤلاء الناس أيها الإنسان؟!

المايسترو: أي أناس تتحدث عنهم؟ أهل بلدكم أناس كسالى لا يعملون.. يقولون إنهم مؤمنون ويدعون كاذبين أن الله خلقهم لتعمير الأرض لكنهم كذابون؛ فأنا الذي أعمر الأرض بما لدي من تكنولوجيا وليس هم. هؤلاء يكفي أن يمدوا أيديهم ليأكلوا من فتات المال الذي كنت أدفعه لأبيك وجدك على قدر كسلهم.. أنا لم أظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم بكسلهم وضعف عزيمتهم.

رافي: هذه كلمة حق أريد بها باطل.

المايسـترو: أنا ما كنت لأطمع فـي أرض الرملية لولا غفلة أهلها عنها. لقد كنـت رجلًا عاديًا، عالـم تكنولوجيا، هواياتي الفن والموسـيقى، حتى وقـت فراغي كنت أقضيه في ألعـاب التكنولوجيا، لكني وجدت أمامي كنزًا يمكـن أن يجعلني أقوى وأغنى رجل في العالم وأنتم نائمون غافلون عنها آلاف السنين، فكيف أترك هذه الفرصة وأنا الذي اكتشفت سرها؟

رافـي: لو كنت صادقًا لسـاعدت أبي وجدي في تعليـم أهل البلد، وفي معرفـة سـر أرض الرملية! ولو كنـت صادقًا لتعاونت معهـم في كل ذلك، لكنك اخترت الغدر.. اخترت الخيانة.. أنت خنت أمانة الله في هذه الأرض!

المايسـترو: الخائن الحقيقي من جعله الله خليفة على أرضه فأهملها، ولـم يراع أمانته فيها، ثـم ادعى الفقر واعترض على القـدر وهو يمتلك ما يجعله غنيًا. أما أنا فلسـت بخائن، لقد أنفقـت كل أموالي التي جمعتها في حياتي العملية على أبحاث هـذه الأرض، وعلى العلماء الذين كانوا يعملون معي.. فأنا صاحب الحق الحقيقي في أرض الرملية.

رافـي: لم يعد يفيد هذا الـكلام.. لقد انتهى الأمر، وأنت الآن ليس أمامك سوى أن تسلم نفسك للشرطة.

تحرك المايسترو نحو باب الغرفة فأغلقها بإحكام، وأخرج مسدسًا من درج مكتبه، ثم نظر إلى رافي بهدوء وقال:

- أو أن أقتلك وأهرب، فأنت الوحيد الذي يعلم سري.

رافي: أنت لن تقتلني!

المايسترو: ولماذا لا أقتلك؟

رافي: لأنك مازالت بك بقايا إنسان.

المايسترو: لكن روحي أغلى من أي شيء.

رافي: ما قيمة الروح إذا فُقدت الإنسانية؟

المايسترو: هل تحاول أن تستميل قلبي بهذه الكلمات الناعمة؟

رافي: لا أنا أثبت لك نظريتك.. ألم تقل إنه لا يوجد شر مطلق ولا خير مطلق؟

ضحك المايسترو قائلًا:

- كنت دائمًا معجبًا بإصرارك، وأنا الآن معجب بقوة شخصيتك وأنت تواجه الموت.

فرد رافي بشموخ:

- الحياة والموت بيد الله وحده. لن يزيد عمري أو ينقص ثانية واحدة إلا بإذن الله، وحتى يأتي الموت سأظل أبذل كل جهدي من أجل أن أصلح في بلدي ما استطعت، فأنا اسمي رافي.

المايسترو: أتعرف ما هي أهم صفة فيك وليست موجودة في أهل بلدك؟

رافي: ما هي؟

المايسترو: أنت مكافح وأهل بلدك تنقصهم ثقافة الكفاح.. ثقافة العرق.. ثقافة السعي والجهد المتواصل، لذلك لن أقتلك يا رافي. لن أقتلك لأنك لا تستحق الموت.. خسارة أن يموت مثلك. الأرض بها آلاف الكسالى الجبناء الذين يستحقون الموت، لكن أنت لا تستحق الموت. لو قتلتك سأكون شريرًا حقًا بكل معاني الكلمة، لكني في نفس الوقت سأنفذ مخططي دون أن أقتلك. لقد وقعت عقد ملكية الأرض مع عمك بسرية تامة منذ عدة أيام، فالأرض الآن ملكي.

رافـــي: لا لا! الأرض ليســت ملــك عمي وحــده.. أنا لي نصيــب في هذه الأرض، ولا يملــك عمي أن يوقع وحده، ثم إن الأرض جعلها جدي وقفًا لكل أهل البلد.

المايسترو: لا قيمة لهذا الكلام.. لقد صرت أنا مالك الأرض الآن.

رافي: لن أتركك تفعل ذلك.

المايسترو: والآن في هذه اللحظة هناك أكثر من 20 سيارة لوري تنقل الرمــال مــن الأرض لمكان لا يعرفه أحد، حيث ســيتم تصنيع عدة شــرائح لأسيطر بها على العالم.

رافي: لن تفعل ذلك.. لقد كشفت سرك للشرطة قبل أن آتي إلى هنا.

المايسترو: أعتذر إليك يا صديقي، سأخرج الآن وسيعود الحائط مغلقًا كمــا كان، ولن تســتطيع فتحه من الداخل، فهو مصمــم ليفتح من الخارج فقط. أنا مســافر إلى أوروبا بعد 3 ساعات من الآن، وستصل الشرطة إليك وســيعرفون كل شيء بعد أن أكون قد سافرت، وهناك ستصل إلي الشرائح لأنفذ مخططي.

– 2 –

تحرك المايســترو بسرعة نحو الباب ليخرج ويغلقه على رافي، فتحرك رافي مســرعًا خلفه ليمنعه من ذلك، لكن المايســترو أطلق رصاصة بجوار قدم رافي ليخيفه وليشــل تفكيره لحظة حتى يتمكن من الخروج. وبالفعل وقف رافي في مكانه، فأســرع المايســترو وأغلق الحائط على رافي، وبقي رافي للحظات لا يدري كيف يتصرف.

فكر سريعًا في الاتصال بعلي أو بالمقدم باسل ليدركوا المايسترو قبل أن يغادر البلاد. أخرج الهاتف المحمول ففوجئ أنه لا توجد شــبكة إرسال في الحجرة، فمن الواضح أن المايســترو كان قد وضع جهازًا يمنع وصول الإرســال للحجرة ليتصرف بها كيف يشــاء وبدون مراقبة. حاول رافي أن يحرك الحائط أو أن يســتخدم نفس الأســلوب الســابق لفتــح الحائط لكنه فشل تمامًا. صار يتحرك داخل الغرفة بتوتر شديد لا يدري ماذا يفعل.. هل يبقى محبوسًــا هكذا ينتظر إلى أن يحضر إليه علي أو المقدم باســل بينما يكون المايسترو قد غادر ليفلت بجريمته؟

دقــق رافي النظر في كل شــبر في الحجــرة.. كان يبحث عن مخرج أو عن شــيء يحطم به الحائط فلم يجد شــيئًا.. لكنه وجد نافذة صغيرة أعلى الحجــرة لا تزيد مســاحتها على عدة ســنتيمترات. وقف رافــي على مكتب تحــت النافذة ليفتحها، وتســلقها لينظــر منها، فإذا هي تطل على شــارع صغيــر أمامه مبنى مزدحم بالطلاب.. إنه مبنى لكلية الفنون الجميلة بحي

الزمالـك. حاول أن يصـرخ، أن ينادي لعل أحد الناس يسـمعه هناك، لكن مـع الزحام والحركة والضوضاء لم يسـمعه أحد، ففكر فـي طريقة يلفت بها انتباه الشـباب في الكلية، فأخرج ورقـة وكتب عليها: «أنا محبوس في هذه الحجرة.. أرجوك أنقذني». ووضع حجرًا صغيرًا داخل الورقة ليجعلها ثقيلة، وألقاها من النافذة وأخذ ينتظر كل أحد يلتفت إليها فلم يحدث.

ازداد توتر رافي ولم يجد أمامه إلا أن يستخدم قدراته الخارقة؛ فأخرج رأسه من النافذة وبدأ يركز عينيه الثاقبتين على أحد الشباب الذين يجلسون في كافتيريا الكلية.

بذل رافي كل تركيزه ليجعل شابًّا محددًا يرفع رأسه لأعلى ليرى رافي، وأخذ يرسـل إشارات وإيميلات ذهنية، وظل يلح أن يخاطبه عن بعد.. مرت دقيقة ودقيقتان والشـاب غارق في حكاياته مـع أصدقائه، فزاد رافي في إصراره وتركيزه على التواصل مع هذا الشـاب. وفجأة صمت الشاب تمامًا، ورغم بعد المسـافة رفع رأسـه إلى أعلى، إلى نافذة المكتـب، ليجد عينين كعيون الصقر تنظر إليه بقوة، كأنها توجه إليه رسـالة، فتسمر الشاب في مكانـه دون حركـة، فأخذ رافي ورقة أخرى كان قـد جهزها ولفها بحجر، وألقاها في اتجاه الشـاب الذي قام مسـرعًا من مكانه وأخذ الورقة وقرأها، وهو لا يدري ما هذا المغناطيس الفكري الذي يملكه هذا الشاب الذي يقف خلف النافذة ليجذبه بهذه الطريقة.

ومـا هي إلا دقائق حتى وصل مجموعة شـباب مـن الكلية إلى المكتب، لكنهم وقفوا حائرين أمام الحائط.. صرخ رافي من الداخل يخبرهم بطريقة فتـح الحائط. بعـد دقائق من المحاولة خرج رافي وهو يشـكرهم ويجري بأقصى سـرعة وهم لا يفهمون شـيئًا. نزل رافي من المكتب وعاد الإرسال

لهاتفه المحمول، فاتصل بالمقدم باسل فلم يرد عليه، فأعاد الاتصال مرات بلا جدوى، فأوقف تاكســي وطلب منه التوجه بســرعة إلــى المطار ليفعل أي شـــيء لمنع المايســترو من الســفر. لم يجد أمامه وهو في التاكسي إلا أن يتصــل بعلي صديق عمره ليســأله هل تواصل مع المقدم باســل أم لا.. لكن علي أخبره أن المقدم باسـل رد عليه وأخبره أنه في مهمة عمل خارج المكتب، وسيرســل من يســاعد رافي. زاد قلق رافي فهو لم يصل إلى شيء بعــد. كان تصرفًا غريبًا من رافــي أن يتصل بعلي مرة أخرى يطلب منه أن يحضــر رامبي إلى المطار، فلــم يفهم علي، ولم يدر رافي لماذا طلب ذلك.. إنه كان فقط يعبر عن حاسته السادسة.

وصــل رافي إلى المطــار ليجد المقدم باســل هناك فــي يقظة وتركيز شديدين، فأدرك أنه توصل إلى الحقيقة.

المقدم باسـل: عرفنا كل شــيء يا رافي. لقد وجدت الشــرطة الهندية بصمــات الدكتور نبيل أبو العز على مســدس ســقط منه وهــو يجري في الحي الفقير بالهند، على مسافة قليلة من مكان قتل الدكتور جامشيد، كما اكتشــفنا أنه كان يستخدم تكنولوجيا (Holography)[RB] ليظهر في أكثر من مكان في نفس الوقت ليضلل الجميع. فبينما كان هو يختبئ ليقتل جامشيد كنت تراه أنت أمامك من بعيد في الحي الفقير، لكن الذي رأيته لم يكن هو، بل هذه التكنولوجيا التي تجســد صورته وحركته عبر شعاع ضوئي ثلاثي الأبعاد 3D.

رافي: وهذا الأسلوب هو الذي جعل الجميع لا يشك فيه.

المقدم باسل: نعم، فالتكنولوجيا مثلها مثل كل أدوات العصر يمكن أن تستخدمها في الخير، كما يمكن أن تستخدمها في الشر.

RB:www.RafiBarakat.com

رافي: لكن ماذا عن الشرائح المستخدمة من أرض الرملية؟ لقد اشترى المايسترو أرض الرملية من عمي وأرسل 20 سيارة لوري لمكان غير معروف لتصنيع شرائح جديدة.

المقدم باسل: اطمئن يا رافي.. لقد عثرنا على مكان تصنيع الشرائح وأوقفنا التصنيع، وتأكدنا أنه ليس معه إلا شريحة واحدة في جيبه، لذلك لا بد أن نجده قبل أن يسافر.

رافي: لكن كيف عرفت أنه قادم الآن إلى المطار وأنه سيسافر خلال 3 ساعات؟

المقدم باسل: نحن نشك منذ فترة في الدكتور نبيل لكن لم يكن لدينا أي دليل، لذلك جندنا سكرتير مكتبه ليخبرنا عن تحركاته، وهو الذي أخبرنا أنه سيغادر البلاد الآن.

رافي: ولماذا لم يخرجني السكرتير من الحجرة التي حبسني بها المايسترو؟

المقدم باسل: لقد طلبنا منه أن ينزل من المكتب فورًا خلف الدكتور نبيل ليراقبه، فتحرك بسرعة ولم يلتفت إليك. ومع ذلك للأسف فقد متابعته له في الطريق واختفى منه وسط زحام الطريق. حتى نحن لم نستطع أن نحدد مكانه؛ لأنه أغلق جميع هواتفه ولم يستخدم سيارته.

رافي: لكن كيف سنجده الآن؟

المقدم باسل: لقد وضعت صور الدكتور نبيل لدى كل الأجهزة الأمنية بالمطار، وأبلغتهم بضرورة القبض عليه بمجرد وصوله إلى المطار. لكن حتى الآن لم نعثر عليه، والمشكلة أننا لا نعرف إلى أين هو مسافر بالضبط.

رافي: يمكننا أن نبحث لدى شركات الطيران المتجهة إلى أوروبا عن تذكرة باسمه.

المقدم باسل: بحثنا فلم نجد تذكرة باسمه.

رافي: فما الحل إذن؟ الوقت يمر ولم يتبق إلا ساعة ونصف على التوقيت الذي حدده للسفر.

المقدم باسل: فعلًا الوضع حرج للغاية.

في هذه الأثناء حضر علي ومعه رامبي إلى المطار..

المقدم باسل: لماذا أحضرتم هذه الكلبة؟

رافي: لا أدري هكذا حدثتني حاستي السادسة.

المقدم باسل: وما ضرورة وجودها؟

رافي: هي الوحيدة المدربة على رائحة الشريحة المصنعة من أرض الرملية، وهي التي اكتشفت الجهاز الذي توضع به الشريحة في تاج محل.

المقدم باسل: ممتاز.. خذها وتجول بها في المطار يا رافي لعلنا نصل إلى شيء.

بدأ رافي هو وعلي يتجولان في المطار ومعهم رامبي التي كانت هادئة ساكنة كعادتها؛ مما جعل رافي يطلب منها أن تركز كما طلب منها في تاج محل. وكالعادة أخرج من جيبه علبة صغيرة بها رمال من أرض الرملية، وجعلها تشم رائحة الرمال. كان المسافرون يتعجبون من وجود رامبي في المطار بهذه الصورة، وكانت بعض النساء يفزعن منها، لكن رافي وعلي كانا يطمئنان الناس أنها هادئة فلا تنزعجوا.. ظلت رامبي هادئة، وظل الوقت يمر، وظل رافي يتوتر أكثر وأكثر.

وفجأة تحركت رامبي نحو أحد المســافرين وظلت تنبح بشدة وتريد أن تهاجمه..

رافي: توقفي يا مجنونة.. ماذا تفعلين؟ إنه ليس الدكتور نبيل!

أخذ رافي يشدها بقوة ويعتذر للمسافر الذي انزعج من رامبي لكنه بقي هادئًــا، لكن رامبي ازدادت إصرارًا على الهجوم على هذا المســافر، وازداد نباحها حتى أثارت اهتمام واستغراب كل من في المطار.

جرى المقدم باســل نحو المسافر، بينما كان رافي في شدة الاستغراب مما يحدث!

قام المقدم باســل بتفتيش المسافر بقوة، ليجد في جيب الجاكيت الذي يرتديه آثار رمال. لم يفهم أحد شــيئًا، لكن رامبي عادت لتنبح بشــدة على مســافرة أخرى بالمطار، وعندما تقدم نحوها المقدم باسل وقام بتفتيشها وجد آثار رمال في حقيبة يدها التي كانت قد نســيتها مفتوحة.. بدأ المقدم باسل يدرك حقيقة الموقف.

المقدم باســل: المايســترو موجود بالفعل بالمطار، وربما تخوف من احتمال استخدام الشرطة لكلاب بوليسية مدربة على اكتشاف رائحة أرض الرملية، لذلك أراد تضليلنا فوضع حفنة من الرمال في جيوب عدة أشخاص دون أن يشعروا، ليستفيد هو من الوقت ليصعد إلى الطائرة.

رافي: لكن كيف يصعد إلى الطائرة وأنتم وزعتم صوره في كل مكان؟

المقدم باسل: أكيد لديه باسبور مزور وصورة مختلفة، ولا أستبعد أن يكون قام بمكياج لتغيير ملامح وجهه.

رافي: وما التصرف الآن؟

لم يرد المقدم باسل، لكنه تحرك بسرعة نحو لوحة الإعلان عن حركة الطائرات المتجهة إلى أوروبا خلال ساعة من الآن. فوجئ المقدم باسل أن هناك طائرة تستعد للإقلاع خلال 10 دقائق متجهة إلى روما بإيطاليا. نظر إلى الطائرة التالية لأوروبا وجدها بعد ساعة ونصف ومتجهة إلى باريس.. أدرك المقدم باسل أن هناك احتمالًا كبيرًا أن يكون المايسترو على طائرة روما.

جرى المقدم باسل نحو مدير المطار ومسئول الأمن يطلب منهما إيقاف الطائرة ومنعها من الانطلاق، حتى يتم إجراء عملية تفتيش عاجل للركاب.

وبالفعل تم إيقاف تحرك الطائرة، وأسرع المقدم باسل ومعه رافي ورامبي إلى الطائرة. ظل رافي يتجول بين الركاب.. كانت الوجوه بعيدة كل البعد عن شكل الدكتور نبيل. كاد اليأس يدب في نفس رافي، إلا أن رامبي فجأة بدأت تنبح مرة أخرى نباحًا شديدًا على أحد الركاب، حتى بدأت تهاجمه، لكن رافي نظر في وجه المسافر فوجده شابًّا في منتصف الثلاثين من عمره، وأدرك أنه أحد ضحايا المايسترو ليضللهم، ولا شك أن في جيبه حفنة من رمال أرض الرملية.

أخذ رافي يشد رامبي بعيدًا نحو باب الطائرة. أما المقدم باسل فبخبرته الكبيرة أدرك أن هناك شيئًا غير طبيعي في وجه هذا المسافر، فتلمس شيئًا في رقبة المسافر وبدأ يشد جلد وجه المسافر.. فإذا به ماسك يغير الوجه الحقيقي للمسافر. نزع المقدم باسل الماسك، وكانت مفاجأة للجميع.. لقد كان هو المايسترو!

المقدم باسل: انتهت اللعبة يا دكتور نبيل.. أنت انتهيت.. أنت مقبوض عليك!

سحب المقدم باسـل الباسبور المزور للدكتور نبيل الذي استسلم دون مقاومـة، وبدأ يتحرك مع المقدم باسـل، لكنه توقف فجـأة أمام رافي عند باب الطائرة.

المايسترو: لحظة واحدة يا سيادة المقدم.

المقدم باسل: ماذا تريد؟

المايسترو: هناك ملف مهم يجب أن أعطيه لرافي.

رافي: أي ملف؟

أخرج المايسترو من جيب الجاكيت الخاص به (CD) وسلمه لرافي.

المايسترو: خذ هذا الـ(CD) يا رافي.

رافي: ما هذا؟!

المايسـترو: هذا ملـف كامل به دراسـة وافية فنية وماليـة عن كيفية اسـتخدام أرض الرملية فـي الخير.. أقصد في توليد طاقة شمسـية تكفي العالم كله لمدة 50 سنة قادمة.

رافي: لماذا تفعل هذا؟! أنا لا أفهمك!

المايسـترو: فـي النهايـة أنا رجل عالم، وإذا سـجنت قـد تضيع هذه الدراسة ولن يكتشفها أحد، وأنت أكثر إنسان يقدر قيمة هذه الدراسة.. هي ملكك بلا مقابل.

أمسك رافي الـ(CD) باهتمام شديد، ونظر إلى المايسترو بدهشة:

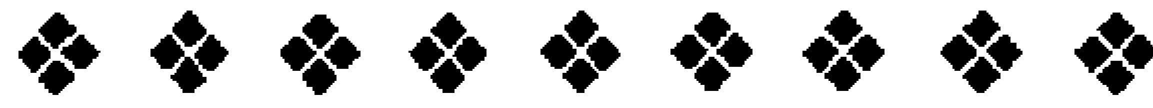
- أنت إنسان عجيب!

المايســترو: ألم أقل لك لا يوجد شر مطلق؟ صدقني أنا لم أكن أريد أن أقتل أباك، ولم أفكر يومًا أن أقتلك، رغم أني كنت أعلم أنك ستعرف يومًا ما الحقيقة.. أنا لســت بقاتل.. أنا كنت عالمًا طموحًا أفســده كسل وجهل أهل بلدك.

رافي: من اليوم لا بد أن يتعلم أهل بلدي ثقافة العمل والعرق والكفاح.

المقدم باسل: تفضل معي يا دكتور نبيل.

المايسترو: تذكر يا رافي أن الحياة قصة يكتبها المكافحون ويشاهدها الكسالى.



عاد رافي إلى بطن النعمــة ليجد القرية كلها في انتظاره، وليجد رفاقه الخمســة في مقدمــة الناس، حتــى عمه عبــاس كان هناك؛ فقد انتشــرت أخبار رافي والمايســترو في كل مكان، وعـرف الجميع قيمة أرض الرملية والمشروع الكبير للطاقة الشمسية، الذي سيدر مبالغ كبيرة من المال على أهل البلدة، بل وصل الأمر إلى إســراع المســئولين في الدولة إلى الحضور بأنفســهم لمعاينة أرض الرملية؛ للتعرف على الفرص التنموية التي يمكن أن تعـود علــى البلــد كلها من هــذه الأرض، فقــد حضر وزيــر الطاقة مع مساعديه ليعاينوا أرض الرملية للتخطيط لمشروعات كبرى تقام عليها.

كان عباس يشــاهد كل ذلك بضيق شــديد، فلم تعد له المكانة التي كان يحظــى بها كعمدة، كما فقد فرصة بيــع أرض الرملية. فقد تم إلغاء عملية البيــع التي عقدها مع المايســترو، وعــادت الأرض وقفًا يســتفيد منه أهل القريــة كلهم، وبذلك ضاعــت كل أمنياته وأحلامه وفي نفس الوقت وجد أن

رافـي.. ذلك الطفل من وجهـة نظرة.. قد بدأ يأخذ مكانـة كبيرة في البلد، لكن عباس اختار الصمت، فكيف له أن يواجه هذه الموجة العالية من الحب لرافـي، ومن إدراك أهل البلد حقهم في أرض الرملية؟ فبقي عباس صامتًا، لكنه من الداخل كان يغلي كالبركان غضبًا وسخطًا على رافي وما فعله.

أمـا رافي فجمع أهل البلد وقد تذكر كلمات أبيه: «كل شـيء في الحياة ممكن أن نـراه بطريقتين.. هذه الأرض كنا نراها نقمة، وكان جدي بركات يراها بطن النعمة».

رجـل من أهل البلد: صدق جدك يا رافي.. فعـلًا أنتم بركات على البلد كلها.

رافي: من اليوم سيتغير كل شيء في بلدنا.. مشروع توليد الطاقة سيدر علينا أموالًا كثيرة، وسـنبني المدرسة وسننشئ معهدًا للتكنولوجيا الحديثة على أعلى مسـتوى، يدرس أحـدث ما وصلت إليـه التكنولوجيا في العالم، وسننشـئ محطات هائلة لتوليد الطاقة الشمسـية، وسـيكون كل شيء في قريتنا يعمل بالطاقة الشمسية.. سنغير كل شيء إلى تكنولوجيا حديثة.

فوجـئ رافي وهو يحلم بكل ذلك بأحد شـباب القريـة المتدينين تدينًا متشددًا يرد عليه:

- ما هذا يا رافي؟ ستغير عيشتنا المتدينة إلى عيشة الخواجات؟ كل ما قلته لم يفعله النبي وليس من سنة النبي.

الشـيخ سـالم: أريد أن أسألك سؤالًا: هل تريد أن تعيش عصر النبي أم حياة النبي؟

الشاب: وما الفرق بينهما؟!

الشيخ سالم: عصر النبي هو طريقة الأكل والشرب والسكن ووسائل الانتقال الموجودة في عصره، ونوعية النقود المستعملة في ذلك الوقت.. دنانير مضروبة في روما، ودراهم مضروبة في فارس.. المنبر 3 درجات، وأرض المسجد من حصى.

ثم تطورت الدنيا.. العصر تغير.. تغير الدينار والدرهم بورق بنك نوت.. دخلنا المسجد المفروش بالسجاجيد، ولأن الناس زادت صار المنبر 7 و8 درجات.

لما دخل الميكروفون إلى المساجد حصلت ثورة في القاهرة، فقد ظنوا أن مكبر الصوت هذا من الجن، ثم تطور العصر أكثر وأكثر حتى اليوم.. هذا عن عصر النبي.

أما حياة النبي: فهي أخلاق النبي ورحمته ودعوته للخير ورسالته لإصلاح البشر.. حياة النبي فيها هذا الحديث: «خيركم خيركم لأهله». وفيها: «إنما أنا رحمة مهداة». وفيها: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفيها الإيمان والصلاة: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». وفيها: «إن الله جميل يحب الجمال».

حياة النبي: منهج لجميع الناس على الخير.. روح الشريعة.. الإيمان.. محبة الله.. الصلاة.. الحب.

لا بد أن تحدد ماذا تريد.. عصر النبي أم حياة النبي؟

الشاب: فما هو الصحيح إذن؟ عصر النبي أم حياة النبي؟

الشيخ سالم: أنا الذي أسألك.. من هو الإنسان الملتزم بسنة النبي؟ من أراد أن يحيا عصر النبي أم من أراد أن يحيا حياة النبي؟

الشاب: أنا أريد أن أعيش عصر النبي.

الشيخ سالم: إذا كنت تريد أن تعيش عصر النبي، أوقف إرادة الله في التغيير.. أوقف قوله تعالى: «كل يوم هو في شأن». أوقف التطور في الحياة، ثم لو أردت ذلك فأنت تقول إن الإسلام لا يصلح لكل زمان ومكان؛ لأنك تريد إيقاف الإسلام على عصر النبي في حين أن الحياة تتطور كل يوم.. إذن أنت ضد الإسلام ولست معه كما تدعي.

الشاب: لكن أليس كل ما يريد رافي أن يفعله هو بدعة لم يأت بها النبي «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»؟

الشيخ سالم: البدعة هي مخالفة أمر ثابت في الدين وليست تطوير الحياة.. حياة النبي كلها تطور. البدعة مخالفة أصل ثابت من أصول الشريعة الثابتة، وكل ما عدا هذه النقطة فليس بدعة. أنتم وسعتم كلمة البدعة حتى ضيقتم الدين وضيقتم الحياة.

الشاب: لو كان الرسول بيننا.. أكان يقبل كل هذا التغيير؟

الشيخ سالم: هذا العصر الجديد لو كان النبي يعيش فيه.. كان سيعيش فيه بكل طرقه ووسائله الحلال، لكنه كان سيعيش فيه دون أن يتخلى عن الرحمة – الكرم – العبادة – تعلق القلب بالله.. لكن سيعيش عصره الجديد بكل ما فيه ملبسه ومطعمه وسكنه و...

وفي النهاية الدين ليس ضد الحياة.. الدين جزء من الحياة.

رافي: نحن بهذه الأشياء التي سنفعلها في بلدنا سنعيش عيشة أجمل وأسعد، ستكون الدنيا أجمل وسننتقل من الفقر إلى الغنى.. صدقوني لو تعلمنا وأنتجنا ستجري الدنيا بين أيدينا وبالحلال.

الشــاب المتشدد: الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله، ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها.. الدنيا ملعونة وسميت دنيا من دنوها.

الشـيخ سالم: غلط.. حديث الدنيا ملعونة حديث ضعيف، وكيف تكون الدنيــا ملعونة وهي التــي جعلنا الله خلفاء عليهــا لنعمرها؟ هذه المفاهيم يجب أن تزول تمامًا من عقولنا.

الشاب: كيف تقول ذلك والقرآن ذم الدنيا؟

الشـيخ سـالم: أيضًا خطأ.. القرآن فــرق بين كلمة الدنيــا وبين كلمة الحياة الدنيا. جاءت الدنيا في القرآن «115» مرة. ليس فيها مرة واحدة ذم للدنيا، بل على العكس هناك التأكيد على تقديرها: «فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً». «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِـنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ». الذم كان فقط للحياة الدنيا.. هناك فرق في القرآن بين الدنيا وبين الحياة الدنيا.

الشاب: فما الحياة الدنيا إذن؟

الشيخ سـالم: «الحياة الدنيا» شــيء آخر.. إن معناها أنها طريقة حياة خاطئة (Lifestyle). طريقة حياة لا تركز إلا على ما هو سيئ من القيم ومن الأخلاق ومن الشهوات.. الذم ليس للدنيا الجميلة، ولكن لنمط حياة مرفوض.

الشاب: أقنعتني يا شيخ سالم.. أنا معك يا رافي.. أنا معك.

رافي: من الآن لا بد أن نبدأ العمل.. العرق.. السعي.. الكفاح.

رجـل مــن أهل البلد: إذا كانــت الأرض أوقفها جدك للــه، فلماذا الجهد والعرق والكفاح؟ لماذا لا نبيع رمال الأرض بأسعار عالية ونكسب جميعًا؟

رافــي: لا لا.. أرجوكم حــرام عليكم.. كفاية بيــع لموادنا الخام برخص التراب، لينتج غيرنا بملايين الدولارات، ثم يعطينا الفتات!

الشيخ سالم: إلى متى نظل ننتظر غيرنا أن ينتج لنا؟

أ/ شــهاب: الحل أن نبني مدرســة ليتعلــم أبناء القريــة، وليعملوا في مشروع توليد الطاقة الشمسية.

د/ مخلص: نحن نعيش مأســاة بكل معاني كلمة مأســاة.. مأساة في العمل والإنتاج.. مأساة في العلم والتعلم.. مأساة في فهم الدين.. مأساة في الانتماء للوطن. لم يعد هناك أمل إلا في الجيل الجديد.

أ/ شــهاب: نحتاج إلى التجديد.. تجديد شــامل للحياة.. تجديد شــامل للعقــل والروح.. تجديد شــامل للهــدف والرؤية.. تجديد شــامل للأفكار.. تجديد شامل لفهم دور الدين في الحياة.

الشيخ سالم: نحتاج إنسانًا جديدًا..

إنسانًا يقدس العمل ويعشق العلم.

إنسانًا يؤمن بثقافة الكفاح والعرق والتحدي.

إنسانًا يطلق قواه الخفية فيملأ الدنيا نجاحًا وعطاء.

إنسانًا يملك إصرارًا يحرك الجبال ويحقق المعجزات.

إنسانًا مبادرًا يغامر ليكتشف الجديد ويتحرك ليتخطى العقبات.

إنســانًا كلــه أمل وحيويــة.. يؤمن بلا تكلف.. يســأل بلا خجل.. يفكر بلا قيود.

إنسانًا وطنيًا يحب بلده ويعشق ترابها.

إنسانًا لديه أخلاق.. أخلاق.. أخلاق.

رافي: ببساطة نحتاج إنسانًا يحقق المعادلة:

أرض غنية + إنسان فعال + قيم وأخلاق = حضارة تسعد الناس وتغنيهم.

تحركت دموع الأستاذ شهاب وتقدم نحو رافي:

- هذه كلمات أبيك.. صحيح الكلمات التي نهمس بها بصدق في آذان أولادنا الصغار لا تموت، بل تعيش معهم حتى تتحقق؛ لأنها كانت صادقة.

أما رافي وقد جرت دموعه هو أيضًا، فقد تذكر في هذه اللحظة أباه وأمه، فأخرج من جيبه صورة كان يحتفظ بها لهما سويًّا، وأخذ ينظر إلى ابتسامة والديه في الصورة، وشعر أن هذه الابتسامة له هو ومن أجله هو.. شعر أنهما يبتسمان الآن فقط ولأول مرة من موتهما، وكأنها ابتسامة شكر على ما فعله، فدم أبيه وأمه لم يضع.

شعر أن أمه تكلمه وتقول له: كنت فعلًا بارًّا بنا يا رافي بعد موتنا، كما كنت بارًّا بنا في حياتنا.

وشعر أن أباه يكلمه ويقول له: حققت حلمي وحلم جدك في معرفة سر أرض الرملية وإنقاذ أهل البلد.

أحس رافي بالفخر والسعادة لرضى والديه عنه واحتضن الصورة، وانهمرت دموعه، فتقدم الأستاذ شهاب والدكتور مخلص واحتضنا رافي.

رافي: لا أدري كيف أشكركما.. لقد وفيتما لأبي ووقفتما بجواري.. أرجو أن تسامحاني فقد شككت فيكما في بعض الأوقات أن أحدكما هو

المايسترو، لكن الحمد لله ظهرت الحقيقة.. أنا فعلًا أشكركما بشدة.. وسأحتاج إليكما دائمًا.

كان الشباب الخمسة يشاهدون كل ما يحدث والدموع في أعينهم فرحًا بالانتصار وحزنًا على الفراق.

صافي: معقول انتهت مهمتنا ولن نلتقي كما كنا نلتقي؟

فيصل: ومن يدري ربما تباعد بيننا الأيام وينسى كل منا الآخر!

ود: لا.. أرجوكم.. يجب أن نحافظ على هذه الصداقة!

زها: نادرًا ما يجد الإنسان صداقة رائعة مثل صداقتنا.

علي: نحن نجحنا كأصدقاء ولا بد أن نستمر كذلك.

رافي: نحن نجحنا لأننا كنا فريق عمل واحدًا في مهمة كبيرة.. ولن نفترق؛ ستكون لنا مهمة جديدة وقصة جديدة!

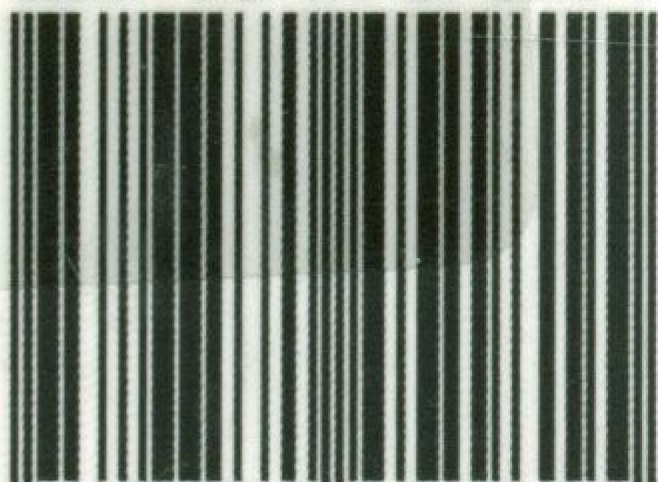
الفهـرس

رافي بركات

رافي بركات رواية تمزج الواقع بالخيال والأمل بالعمل، في مغامرات مثيرة تأخذنا إلى عالم جديد، عالم ما وراء الطبيعة؛ لنتأمل عجائب الحاسة السادسة، والتخاطب عن بعد، وسيطرة العقل على الجسد، ونسافر خارج الزمان، ثم نفاجأ أن كل ذلك لم يكن خيالاً، بل كان حقائق علمية.

هي قصة تبشر بالتجديد، وترسم ملامح إنسان جديد يخرج من بلادنا، ويكون أفضل منتج للنوع الإنساني في العالم الذي نعيش فيه.

رافي بركات شاب صغير نشأ في قرية من قرى صعيد مصر. منعته الظروف أن يعيش حياة هادئة، لكنه يمتلك قدرات غير عادية؛ فقرر أن يواجه التحديات والصعاب في رحلة من مصر إلى الهند ليصل إلى الحقيقة. فهل يستطيع را… الخمسة معرفة سر أرض الرملية، واكتشاف أثر الن… سقطت عليها؟ أم إن المايسترو وفريق الشر سيكونو… في السيطرة على هذا الكنز؟

ISBN: 978-977-14-5181-5




www.rafibarakat.com
